

العنّاقية

أو

الموت والحشر والنشور

للفقير الزاهد المحدث

أبي محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي

حقيقه وعلق عليه

عبد الله أبو عبد الرحمن المصري الأثري

العنّاقية

أو

الموت والحشر والنشور

للفقير الزاهد المحدث

أبي محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحمن الأزدي الأشبيلي

حققه وعلق عليه

عبد الله أبو عبد الرحمن المصري الأثرى

كِتَابٌ قَدْ حَوَى دُرَرًا . بَعَيْنِ احْسَنِ مَلْحُوظَةٍ

لِهَذَا قُلْتُ تَنْبِيهًا

حَقُوقِ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٍ

بَطْنًا

لِلدَّارِ

الصَّحَابَةُ لِلثَّرَاتِ

لِلنَّشْرِ - وَالتَّحْقِيقِ - وَالتَّوْزِيعِ

ت: ٣٣١٥٨٧ ص: ب. ٤٧٧

شَارِعُ الْمَدِيرِيَّةِ - أَمَامَ مَحْطَةِ بَنْزِينَ النُّعَاوَنِ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

سنة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق :

« إن الحمد لله تعالى نحمده ، ونستعين به ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران - ٣ : ١٠٢] ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء - ٤ : ١] ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ [الأحزاب - ٧٠/٣٣ - ٧١] أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، نعوذ برضا الله العظيم من سخطه ، وبمغافاته من عقوبته والخذلان ونعوذ به تعالى من فتنة القول ومن فتنة العمل ، ونسأله - جل جلاله - أن يرزقنا الإخلاص والتجرد لوجهه الكريم - وأن يكون - عز اسمه - من وراء قصدنا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

« وبعد »

فهذا كتاب جديد ، يكون بين يديك - منشورا - لأول مرة - قيضنا الله الكريم لإخراجه عن أصله المخطوط - المحفوظ بظاهرية دمشق - حفظها الله - بعد أن وفق الله - أئحانا البحاثنة المتجرد - خادما العلم وأهله - الأستاذ الفاضل صاحب

دار الصحابة للنشر والتحقيق والتوزيع حفظها الله الحافظ - للحصول على نسخة مصورة بالفوتوغراف - منه وهذا - ولا مرة - فضل آخر جديد - يضاف إلى فضله القديم الكثير في التنقيب عن دفائن الدرر ومطمورات الجواهر واستخراجها من مدافن الهمة لتقريبها للناس والنفع بها ؛ نفع الله تعالى به .

وأجدني مدفوعًا - بشدة - إلى تقديم أسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان لهذا الرجل النبيل ، الذي قلّ - في علمي - أن تجد في مثل نُبله أحدًا في أيامنا هذه ؛ « وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين » .

وأثبت شكرى وتقديرى وعرفانى - بخط يدى - لأيديه البيضاء الكثيرة ، على أهل العلم - عامة - وعلى بخاصة - وإنى إذ أشكر له جميل صنعه ، فإنى لا أفعل ذلك من باب أن « القلوب جبلت على حُبٍّ من أحسن إلها » فحَسْبُ ولكنى - والله - لا أعدو تقرير فضله وما له من معروفٍ طوّق به عنقى - ما أظن أن تذهب به الأيام . و « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » (١) فشكر الله له ، وأجزل مشوبته وجزاه أجره بأحسن ما كان يعمل .

والله - فى عليائه - يشهد - وكفى بالله شهيدا - أنى لا أقول ذلك من حيث لا أدرى (١) فإنى قد تعلمت أن لا أقول إلا بما أعلم ، ولا أشهد إلا بما أستيقن ، وإنى لأعلم أن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والخير كله من عنده ؛ وإن لى من دينى ما يمنعنى - إن شاء الله - من أن أنزلف أحدًا ، أو أن أداهن أحدًا ؛ وإنما - فقط - أقدر ما للرجل من فضل ، فإنما يعرف الفضل من الناس أهل الفضل ؛ وإلى الله المصير وجزى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه - أخانا أبا إسحق الحوينى الأثرى - الذى كان سببًا فى تعارف أجسادنا بعد أن تعارفت أرواحنا فى أزل الله القديم فالله الكريم أسأل أن يجمعنا فى « دار المقامة من فضله لا يمسنّا فيها نصَب ولا يمسنّا فيها لغوب » كما جمعنا على محبته فى دار الفناء بفضله وعظيم منّهُ إنه سبحانه أكرم مسئول وأبرّ مأمول ... آمين .

* * *

وأما بخصوص التمهيد للكتاب والتعريف بموضوعه وما يحتويه ، فهذا غير خافٍ حتى أبينه ؛ وسوف لن أسهب طويلا فى الكلام على ذلك ، فعنّا قليل

ينجلى ؛ وإنما بدا لي أن أبين بعض أشياء لحظتها من خلال عملي ، أحببت أن أورها
على القارئ الكريم قبل الشروع في بيان منهج العمل ؛ إن كان لي من عمل يستأهل
أن يُعمل له منهج أصلاً (١) فقد :

(١) لاحظت - وهذه عندي - أخطر ما يلاحظ بالنسبة لعمل الباحث أن المصنف
رحمه الله قد يستشهد لكلامه ويستدل به بحديث قد يكون ضعيفاً - ضعفاً لا
يكاد يقوم معه - وقد يكون في الباب غيره مما هو أقوى منه وأصح (١)
والمفترض في المصنف - رحمه الله - وهو الفقيه الخبير بالعلل - كما وصفه
الناس - أن يكون عالماً بذلك عارفاً به فيُنَحِّيه عن كتابه تنقيّةً له من شائبات
الكدر ، ودفعاً لتعقب المتعقب (١) ولكن لا بأس (١) فما أعلم سَلَمَ من ذلك
أحد - إلا ما شاء الله (١) ودونك الحفاظ الكبار ؛ كانوا يصنعون ذلك في
تواليهم ؛ لا سيما في الفضائل والترغيب والترهيب والرفق والزهد وما إليها ،
وما كانوا يتخيرّون أو يتحرّون الصحيح ويشترطونه دون غيره - في مثل هذه
المُصنّفات (١) قال الحاكم - رحمه الله - : سمعت أبا زكريّا العنبري يقول : إذا
ورد الخبر لم يُحرّم حلالاً ، ولم يحلّ حراماً ولم يوجب حكماً ، وكان في ترغيب
أو ترهيب أغمضَ عنه وتُسوِّهَل في رواته « أ.هـ. وأخرج البيهقي في « المدخل »
عن ابن مهدى - رحمه الله - : إذا روينا عن النبي - صلى الله عليه وآله
وسلم - في الحلال والحرام والأحكام شدّدنا في الأسانيد وانتقدنا في الرجال ؛
وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب سهلنا في الأسانيد وتسامحنا في
الرجال « أ.هـ.

وللإمام أحمد - رحمه الله تعالى - كلام له هذا المعنى والله تعالى أعلم
فحاصله : أنهم كانوا يتساهلون في مواطن التساهل ويتشدّدون في مواطن
التشدّد حسب ما يقتضيه الحال ، راجع كلامهم في كتب المصطلح يشفيك ،
وقد أرى الله تعالى العصمة إلا لكتابه .

٢ - - لاحظت - كما سلاحظ القارئ الكريم - أن المصنف - رحمه الله - كثير
النقل عن كتاب « إحياء علوم الدين » - رحم الله مصنفه أبا حامد الإمام
الغزالي - حتى إنه لينقل فقرات بكاملها وبوضعيها في « الإحياء » كما عاينت

بنفسى (١) وليس فى ذلك ما يُعاب (١) فما زال الناس ينقل بعضهم عن بعض ، ويقتبس بعضهم من بعض - سيّما وأن المقاطع التى اقتبسها ، إنما هى فى الرّقائى والوعظيات التى اشتهر بها الإحياء - كما يعرفه من له إلمام به .
وإنما الذى يُعاب - وهذا على عمومّه - فهو النقل دون تمحيص (١) والتعويل فى الاستشهاد والاستدلال على تلكم الإسرائيليات التى لا يُحتجّ بها فى شرعنا ،
والتي كان يوردها أبو حامد رحمه الله مُعلّقة تعليقاً تنقطع دون وصله الرّقاب (١) والتي يَغسُر - إن لم يَسْتَحِلْ - أن تَرَدَّ أخبارها - حتى فى غير كتاب أئى حامد - مسندة موصولة ، فضلاً عن وجود نظائرها وأشباهاها بوفرة فى قرآننا وفى سنة نبيّنا صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم - بما يغنى عن اللجوء لغيرها (١؟)

٣ - لحظت جنوح المصنف - رحمه الله - إلى الفصل فى قضية فقهية - ما - إلى ما قد يراه البعض مخالفا لما عليه الجمهور سيّما فى الخلافات الفقهية - كأن يحمل أمراً تكليفياً على الإباحة - [مثال : (٣٤٩) قد يراه البعض محمولا على التحريم مثلاً كما سترأه فى موضعه إن شاء الله تعالى - ولا غرابة (١) فالرجل مجتهد وله رؤيته ، وهذا وإن كان قليلاً - إلا أننا نشير إليه وننبه عليه لأنه صدر عن رجل اشتهر بتصنيفه فى الأحكام ، وهو إمام عامّة رحمه الله تعالى وغفر لنا وله .

٤ - لاحظت أن المصنف دائم النقل - تقرّياً - عن صحيح الإمام أئى الحسين مسلم بن الحجاج وتقديمه على صحيح الإمام أئى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى - رحمهما الله - وهذا بخلاف الأولى - كما يعرف ذلك من له أدنى مُسكّة من هذا العلم الشريف (١)

وهذه - إن وجدنا لها وجهاً - وهو شيوع صحيح مسلم واشتباره عند المغاربة أكثر من صحيح البخارى ، فإن الذى يلفت النظر - أن المصنف قد يسوق حديثاً هو فى الصحيحين - أو أحدهما - ويعزوه لغيرهما - سواء من الكتب المشهودة أو الأجزاء المتشورة فهذا أيضاً بخلاف الأولى ؛ فالعزو إلى الصحيحين أو أحدهما - فضلاً عن تعزيز هذا العزو بجمالة الكتابين - مُقدّم على غيرهما (١) ولم أستطع توجيه ذلك من المصنف سوى أنه كان - رحمه

الله - يكتب من حفظه ، فلما أن يستحضر الرواية ؛ ولا يكون في نفس الوقت مستقرًا عنده - يَقْطَعُ - أنها في الصحيحين أو أحدهما فإنه كان يَتَهَيَّبُ من العزو إليهما ، فيعزوها لِمَن يكون متيقنا من أنه أخرجها في كتابه أو أنه يبعد عدم وجودها فيه - سَيِّما الكتب المعروفة بالاتساع أو كتب الفوائد أو نحوها وأرى منه - ذلك - عين التعقل وورود موارد السلامة فتأمل (١) فإن العزو إلى غير الصحيحين مع وجود الحديث فبهما أسلم وأنجى من العزو إليهما مع العكس (١) يعضد هذا أن الكتاب عاير عن الأسانيد التي هي إحدى القرائن التي بها يُعرف هل أخرجنا هذا الخبر أم لا (١٩) هذا ما ظهر لي في هذا الخصوص ، وأرجو أني به أصبت الصواب ، وإلا فاستغفر الله العظيم وأتوب إليه .

٥ -- لاحظت - وأزعجني - بل وساءني هذا كثيرا ، ولم أذر برأس من أعصب جنايته - إيراد الآيات القرآنية الكريمة مسوقة مساقًا واحدًا وفي سلك واحد دُونَما آية فواصل أو حدود تُنبّه على الانتقال من سُورَةٍ إلى أخرى (١) هذا فضلاً عن بعض الأخطاء (١) مختلفة الأنواع فيها (١) والخطر إنما يكمن في أن الآيات تكون كثيرة ، من سور كثيرة في موضع واحد (١) ومع عدم وجود تلكم التنبّهات بالواصل أو الحدود بينها ، فإنه لا يُؤمّن على غير الخبر بالقرآن أو غير الحافظ أو غير العارف بِمُتَشَابِهَاتِ القرآن - من الوقوع في اللبس أو الخطأ (١) فإن أقل ما يُتصور حدوثه هو تصوّر ذلك القارئ - خطأ - أن كل هذه الآيات هي من سورة واحدة (١)

الأمر الثاني - في صدد سرد الآيات - هو عدم مراعاة الترتيب فإن المصنف رحمه الله - كان عندما يستشهد بالقرآن ، يسوق الآيات كيفما اتفق له الاستحضار (١) فقد تكون الآية من سورة الواقعة - مثلاً - فأجدها مُقَدِّمة على الآية من سورة البقرة ، والمعنى مُتَّحِد - تقريباً - فبهما (١) ولا نقول أن هذا يُخِلُّ بالمقصود ، أو أننا نُفَضِّلُ آية الأنعام على آية النحل ؛ ولكن كنا نودّ لو أنه راعى الترتيب ، أما كان أجود (١٩) الله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم ... وبعد فأرجو أن ما تَوَقَّفتُ عنده - فيما أوردته آنفاً - كان جديرًا بأن

يُلَحَظ ، وأنى لم أسود وجوه الصّحائف بما لا طائل وراءه والله عز وجل من وراء الرجاء لا رب غمره .

* * *

أما وقد آن أو أن الشُّروع في بيان منهج ما قمتُ به - بحول الله من عمل - في هذا المخطوط النافع - إن شاء الله تعالى - فلا بُدّ لي من أن أسوق بين يديّ ذلك اعتذارا عما قد يراه القارئ الكريم من عوار - ما أخذ منه بمنأى - والكمال المطلق لله جلّ ثناؤه - فإنه قابلتني حُرُومٌ - بالأصل المصنور - كثيرة وبياضات لم أستطع حياها شيئا ، فإن الأمانة العلمية تقتضى نقل ما في الأصل - بنصّه وفصّه - بلا زيادة ولا نقصان - ووضعه بين يدي القارئ - بعد تحقيقه بالمنهج العلمي وبالأصول التي اصطلح عليها الناس - فاقتنى ذلك أن أترك بعض السقط والبياضات - لاسيما من كلام المصنف نفسه - طلبا للسلامة من الافتيات عليه وتقويله ما لم يُقل وفي ذلك ما لا يخفى (١٢١) وأما النصوص المنقولة - من آيات قرآنية كريمة ، أو أحاديث نبوية شريفة ، أو قواعد فقهية ، أو فقرات من كتب الغير - فقد بذلت فيها جهدي ونصحت وما ألوت ، ولم أدخر وسعا في ضبط ما أشكل منها - بإرجاعها إلى أصولها المتاحة ومطابقتها على جميع مظان وجودها زيادة في الاستيثاق والاستبراء للعرض والدين ، فإن ندد - بعد ذلك - مني شيء - فهو مما لا منجى لأحد من مقارفته ، وصلى الله وسلم على أنبيائه المعصومين .

ولعل - بما جهدت في هذا العمل - جهدا لا يعلمه سوى من ابتغيته به وجهه الكريم - أكون قد أعذرتُ إليه - تقدّس وجهه - فإنه سبحانه - خير من يُرجى نواله ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ﴾ [٤٢ : ٢٥]

عمل في الكتاب :

- ١ - تخرج الأخبار الواردة في الكتاب - بمعنى الدلالة على مواضعها من كتب السنة المشرفة - مقرونة بذكر الجزء والصفحة ، وجمع طرق الحديث واستقصاء أطرافه - قدر الوسع وفوق الوسع - والكلام على ذلك - جرحا

- وتعدّيلًا - حسب أصول الصنعة ، من المصادر المتاحة ، وإلا فأحيل على مواضعها في الكتب التي مازالت رهينة الأرفف في خزائن الكتب (١١١)
- ٢ - شرح الغريب والمشكل ، وإيراد النكت الفقهية والأصولية واللغوية والحديثية وغيرها - ما وجدت إلى ذلك داعيًا وسبيلًا من المصادر المعتمدة والتي سأفرد لها جريدة مفصلة في آخر الكتاب إن شاء الله .
- ٣ - الاكتفاء - أحيانًا - بإيراد الحديث برواية الصحيحين - أو أحدهما - إن كان الخبر فیهما - لجلالتهما - ولأن الناس - سيّما من اشتغل منهم بهذا الفن - يصرف بصره عن الخبر - ثقة بصحته - إن كان معزّوًا إلى الكتّابين الجليلين - إلّا أن يدعو داعٍ لغير ذلك - فتبيّنه - أو الاكتفاء بالدلالة على موضع الخبر في المصدر الذي أحال عليه المصنف رحمه الله - مع النقد .
- ٤ - في بعض الأحيان - وذلك قليل - أقدم ذكر غير الصحيحين عليهما ، وذلك لأمر فنيّ ؛ كأن يكون صحابي الحديث - رضي الله عنه - غير الذي عندهما - ثم أردفه بقولي : « ويشهد له ما في الصحيحين من طريق فلان عن أبي هريرة (مثلا) ونحو ذلك مما يعرف بداهة ، فليتنبّه إلى ذلك - حتى لا يقول قائل : « ها .. قد أحلّ بما اشترطه من تقديم الصحيحين .. » فيجنى علينا دوغما جناية منّا (١١) »
- ٥ - اتباع المنهج العلمي ، الخاضع للأصول والقواعد التي وضعها أصحاب الشأن - لله درّهم وعليه شكرهم - فقد لا أتقيد بتصحیح إمام أو تضعيفه لحديث ما - إذا تبّين لي أنّ التحقيق بخلافه - وإنما جعلت كل همّي إعمال القاعدة العلمية حسبما وضعها الناس وتلقيناها عن علمائنا - رضي الله عنهم - وليس من ديدني أن أرفع متقدّمًا لتقدّمه أو أضع متأخرًا لتأخّره - بل هو المقياس العلمي ولا شيء غيره وإن أرجف مُرجفون وزعم زاعمون (١١) فإن هذا العلم دين ، والتوفيق فيه - وفي غيره - من الله ربّ العالمين .
- ٦ - لم أجعل من شأنى تخريج المقاطيع والمراسيل والموقوفات ونحوها - إلا ما يسره الله تعالى ودعا إليه داعٍ وفي الأخبار المرفوعة - وهى كمّ جمّ - الغناء إن شاء الله .

٧ - وضعت أرقاماً عدديّة مسلسلة لما ورد بالكتاب من أخبار - من أوله إلى آخره - إلا ما شدّ عني في بياضات الأصل - وكذا رقت لجميع ما علقته من حواشي .

٨ - لله دَرّ من قال :

ولا تكتب بكفك غير شيء يُسرّك في القيامة أن تراه (١)

وكان من تقدير الله العزيز الحكيم - أن حضر - دون استحضار - هذا البيت في ذهني إبان عملي في الكتاب ، وعليه فلم يسعني الإبقاء على الأخطاء والأغلاط والتصحيقات والتحريفات وغيرها مما ورد بالخطوط ، وبين يديّ من الأصول ما تتواطأ رواياته على إصلاح ذلك (١) نعم : الإبقاء على الأصل - كما هو - مطلوب ، ولكن الخطر من ذلك يكمن في أنه قد يثبت الخطأ في ذهن القارئ ، ويُعسرّ بعد ذلك تصحيحه ، حتى ولو أثبت ذلك التصويب في حاشية الكتاب في أسفل الصّحيفة ، والنفس البشرية مَلُولَة ، مستوطنة للعجز جانحة للكسل - إلا ما شاء الله - فأحياناً تجدني أصلح الخطأ في الأصل ذاته - مُنبّهاً عليه ومُعِلِّماً عليه - وفي غالب الأحيان أنه على ذلك في الحاشية ، دفعني إلى ذلك ما أسلفت بيانه من خشية ثبوت الخطأ ، وأضيف أن كثرة انتقال النظر بين المتن والحاشية - مع كثرة وجود الأخطاء - قد يُسبب نوعاً من الإملال الذي قد يدعُ المرء - من جرّائه - الكتاب جُمْلَةً (١) وهذا كتاب وضعه صاحبه لعامة الناس الذين ليسوا في حاجة إلى أن نُعَنِّمهم - أكثر - بما سبق ذكره ، فَصَنَعْتُ - سُدّاً لِيَتِلَكَ الذَّرِيعَةُ - ما صنعتُ ، والله تعالى من وراء القصد .

٩ - في بعض الأحيان - وذلك قليل - أثبت رواية البخاريّ رحمه الله تعالى - في تعليقي - حتى ولو كان حديث الباب من رواية مسلم - أو روايتهما جميعاً - فإنّ مما أدين الله تعالى به - وما هو معلوم - حتى عند أغمار الناس وأفنائهم - أن كتاب أبي عبد الله - قدّس الله رُوحَه وروّحَ ضريحه - أصحّ صحيحاً ممّا سواه من الكتب المُصنّفة في السُّنّة قاطبة ، وكان ممّا تَرَيَّيْتُ على اعتقاده أن « صحيح الإمام البخاريّ أصحّ الكتب بعد كتاب الله جلّ ذكره » (١) نعم اكتشفت بعدما كبرت أن فيه بعض هَنَاتٍ - يطمرها

ويكتسحها بَحْرُهُ الرَّخَّارُ وَسَيْلُهُ الْجَرَّارُ - لا تستحق عِرْفَانًا بفضل البخارى العظيم أن تُذكر - إِذْ هِيَ - والله - أشبه شئٍ برمية صبي صغير بحصاة في بحر لا ساحل له - ولكنى اكتشفت أيضا الحكمة العظمى وراء وجود هذه الهنات الصغار في هذا الكتاب الأجل - ذلك لكى تكون العصمة المطلقة لكتاب واحد على ظهر هذه الأرض - هو القرآن العظيم - كتاب ربنا العزيز - الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (١) أعرفت الآن (٢) فالزَّمْ ، ولا يهولنك إلفك الأفاكين ولا دعاوى المُتَحَرِّصِينَ المُتَرَحِّصِينَ دعاة التفسخ والتَهَرُّؤ والهزيمة ، وربنا الرحمن المستعان .

١٠ - لم أطول النفس في علوم الآلة والمصطلحات الفنية الدقيقة - إذ ليس هذا موضعه - وإنما هو كتاب عامة كما اسلفنا القول ، اللهم إلا أن تمس حاجة أو تدعو ضرورة .

١١ - سيقابل القارىء الكريم - كثيرا - قولى : « قال شيخ الإسلام ... كذا » فإذا لقيتني أطلقتها - هكذا - فاعلم أنى أقصد بها الحافظ الجبل ابن حَجَر - رحمه الله تعالى - فإن كان غيره قيَّدْتُ ، فليعرف ذلك . وبالله تعالى التوفيق .

١٢ - قمت بتخريج الآيات القرآنية وتعيين رقم الآية واسم السورة وأتبعها موضعها من الأصل بين معكفين [/] وبعد .. فهذا - إجمالا - منهج عملى القليل وجهدى الكليل في هذا الكتاب الذى أرجو الله عزَّ وجلَّ أن ينفع به .

فإنَّ علم الله - تقدست أسماؤه - صِدْقَ نِيَّتِي وَصَفَاءَ طَوَيْتِي وَتَقَاءَ سَرِيرَتِي وإخلاصى وتجردى فى عملى فيه ، فسَيُبَلِّغُه الموقِع الذى أردت من إصلاح مسارات السلوكات المعوجَّة ، وسيفتح الله تعالى به قلوبًا غُلْفًا وآذَانًا صُمًّا وَأَعْيُنًا غُمًّا ، وَسَيُقِيمُ به على الطريق أَقْدَامًا انحرفت عن الجادة وجائبت الاستقامة أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يجعل لى غُنَمَهُ وَأَنْ يُجَنِّبَنِي غُرَمَهُ ، وَأَنْ يَدْخِرَهُ لى فى خزائن رحمته ليوم تكون فيه العاقبة للمتقين وأن يُثَيِّبَ به كاتبه وجامعه ؛ وقَارِئَهُ وسامعه واستغفر الله العظيم من كل خطأ أو خطيئة قلتها بلسانى أو خططتها بينانى ، فما - والله - أردت ولا قصدت إلا الخير - يعلم ذلك الذى يعلم

ما تخفى الصدور وما يختلج في النحور ، لا ربّ غيره ولا إله سواه .
﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ [آل عمران -
١٩٣ - ١٩٤] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله تعالى وسلّم وبَارَكَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

قاله بلسانه وقيده بينانه
راجي عفو ربه المَنَّان
عبيد الله المصري الأثرى أبو عبد الرحمن
لسبع ليال نَحَلْت من ذى الحجة المبارك
من العام الثامن بعد المائة الرابعة والألف
الأول من الهجرة المباركة على صاحبها
صلوات الله وسلامه مَا كَرَّرَ الْجَدِيدَانِ وَتَعَاقَبَ الْحَدَّثَانِ

التَّعْرِيفُ بِالْمُصَنَّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ

هو الإمام الحافظ الفقيه الخطيب البارِع المَجُودُ العلامة أبو محمد عبد الحق ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي الأندلسي الإشبيلي المعروف في زمانه بابن الحَرَّاط . أحد الأعلام ومؤلف الأحكام الكبرى والوسطى والصغرى .

« مولده » : قال الإمام النووي رحمه الله : « مولده في شهر ربيع الأول سنة عشر وخمسمائة » . وقال الإمام الذهبي رحمه الله : مولده فيما قيده أبو جعفر ابن الزبير سنة أربع عشرة وخمسمائة (١) .

قال : حدَّث عن أبي الحسن شريح بن محمد، وأبي الحكم ابن بركان ، وعمر ابن أيوب ، وأبي بكر ابن حدير ، وأبي الحسن طارق بن يعيش ، والمحدث طاهر بن عطية ، وطائفة .

سكن مدينة بجاية وقت الفتنة التي زالت فيها الدولة اللمتونية بالدولة المؤمنية (نسبة إلى بنى عبد المؤمن ، فنشر بها علمه ، وصنف التصانيف ، واشتهر اسمه ، وسادت بـ « أحكامه الصغرى » و « الوسطى » الرُّكبان وله « أحكام كبرى » قيل هي بأسانيده ، فالله أعلم وولى خطابة بجاية .

ذكره الحافظ أبو عبد الله البَلَنْسِيُّ الأَبَّار فقال : كان فقيهاً ، حافظاً ، عالماً بالحديث وعلمه ، عارفاً بالرجال ، موصوفاً بالخير ، والصلاح ، والزهد ، والورع ، ولزوم السنة ، والتقلُّل من الدُّنيا ، مُشَارِكاً في الأدب ، وقول الشعر ، قد صَنَّف في الأحكام نسختين : كبرى ؛ وصغرى ، وسبقه إلى مثل ذلك الفقيه أبو العباس ابن أبي مروان الشهير ببلِّلة ، فحَظِيَ الإمام عبد الحق دونه . (١)

قال الإمام الذهبي : « قلتُ وعمل « الجمع بين الصحيحين » بلا إسناد على ترتيب مسلم ، وأتقنه وجَّوده » .

قال الأبار : « وله مصنف كبير جمع فيه بين الكتب الستة ، وله كتاب « المعتل من الحديث » وكتاب « الرقاق » ومصنفات أخر قال الإمام الذهبي : قلت وله كتاب « العاقبة » في الوعظ والزهد » ١. هـ .

قلت : وهو كتابنا هذا الذى بين يديك (١) قال الأبار : وله فى اللغة كتاب حافل ضامى به كتاب « الغريين » لأبى عبيد الهروى وقال : ولد سنة عشر وخمس مئة ، وتوفى ببجاية بعد محنة نالته من قبل الدولة فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمس مئة ١. هـ .

* قلت : فى الهامش : « الذى فى النسخة الخطية من « تكملة ابن الأبار » : اثنتين (يعنى إثنين وثمانين) ١. هـ - وهو يوافق ما عند الإمام النووى فى « تهذيب الأسماء » (٢٩٣/١) حيث قال : وتوفى ببجاية فى أواخر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وخسمائة ١. هـ .

قلت : وفى « الشذرات » (٢٧١/٤) فى « حوادث سنة إحدى وثمانين وخسمائة » قال ابن العماد رحمه الله : « وفيها عبد الحق بن عبد الرحمن أبو محمد الأزدي الإشبيلي .. ، ... ، ... ، نزل ببجاية وولى خطابتها ؛ وبها توفى بعد محنة لحقته من الدولة فى ربيع الآخر عن إحدى وسبعين سنة ، وكان - مع جلالة فى العلم - قانعاً متعففاً موصوفاً بالصلاح والورع ولزوم السنة ١. هـ .

قال الإمام الذهبي : « روى عنه خطيب بيت المقدس أبو الحسن على بن محمد المعافى وأبو الحجاج ابن الشيخ ، وأبو عبد الله ابن نقيمش ، ومحمد بن أحمد ابن غالب الأزدي ، وأبو العباس العزفى [فى الحاشية بزاى : رئيس سبته الأمير العالم أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد اللخمى العزفى ، كان زاهداً إماماً مفتياً متقناً ، ألف كتاب « المولد » وجوده ، مات سنة ٦٣٣ هـ ص - ٤٥٣] ؛ وآخرون .

وصنف الحافظ القاضى أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك الحميرى الكتامى الفاسى المشهور بابن القطان كتاباً نفيساً فى مجلدين سماه « الوهم والإيهام »

فيما وقع من الخلل في الأحكام الكبرى لعبد الحق يناقشه فيه فيما يتعلق بالعلل وبالجرح والتعديل ، طالعته ، وعلقت منه فوائد جلية .

قال في الحاشية : « كان ابن القطان قد أقام بمراكش عند بني عبد المؤمن وكان رأس العلماء بها ، توفي سنة « ٦٢٨ » ابن القاضي « جذوة الاقتباس » « ٢٩٨ » ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » الورقة (٧٢) أيا صوفيا (٣٠١٢) وابن ناصر الدين في « التبيان » ، الورقة : (١٥٢) وقد وقع ابن القطان نفسه بأوهام كثيرة في رده ، قال الذهبي في « تاريخ الإسلام » : « طالعت جميع كتابه « الوهم والإيهام » الذي عمله .. يدل على تبخره في فنون الحديث ، وسيلان ذهنه ولكنه تَعَتَّت وتكَلَّم في حال رجال فما أنصف » (الورقة : ٧٢ - أيا صوفيا (٣٠١٢) وقال ابن ناصر الدين في « التبيان » بعد أن ذكر كتابه : « ولابن القطان فيه وهم كثير نَبَّه أبو عبد الله الذهبي في منتقى منه كبير » (الورقة - ١٥٢) ويرى الدكتور بشار أن الذهبي أفرد الرد على ابن القطان في كتاب خاص منه مختصر في دار الكتب الظاهرية بدمشق (انظر كتابه : الذهبي ومنهجه : (١٧٣ - ١٧٥) هـ . ا . قال الإمام الذهبي ومن مسموع الحافظ عبد الحق « صحيح مسلم » يحمله عن أبي القاسم ابن عطية قال أخبرنا محمد ابن بشر قال أخبرنا أبو علي بن سكرة الصدي أخبرنا أبو العباس بن دهاث العذري أخبرنا الرازي بإسناده هـ . ا .

قلت : فهذا هو السر في إكثاره من النقل عن صحيح الإمام مسلم والإحالة عليه وتقديمه على صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري بصورة واضحة وبشكل جلي (١)

قال الإمام الذهبي وقد أنبأنا « بالأحكام الصغرى » الإمام أبو محمد ابن هارون في كتابه إلينا من المغرب ، قال أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي نصر بسماعه من المصنّف أبي محمد عبد الحق .

قال ابن الزبير في ترجمة عبد الحق : كان يُزاحم فحول الشعراء ، ولم يُطلق عنانه في نُطقه .

قلت : ما أحلى قوله وأوعظه إذ قال :
 إِنَّ فِي الْمَوْتِ وَالْمَعَادِ لَشُغْلًا وَادِّكَارًا لِدِي النَّهْيِ وَبِلَاغًا
 فَأَغْتَنِمَ خُطْبَتَيْنِ قَبْلَ الْمَنَابِ صَحَّةَ الْجِسْمِ يَا أَخِي وَالْفَرَاغَا
 قال في الحاشية : « نقل الذهبي هذين البيتين من « التكملة » الأبارية :
 ٣/الورقة « ٣٨ » ، وأوردهما ابن شاكر في « الفوات » (٢٥٧/٢) .

وساق له الإمام الذهبي - بإسناده إليه إلى أبي عيسى الترمذي حدثنا محمود
 ابن غيلان ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة عن قتادة ، سمعت عبد الله بن أبي عتبة
 يحدث عن أبي سعيد قال : كان رسول الله - ﷺ - : أشد حياءً من العذراء في
 خدرها ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه .

وإسناده صحيح - كما قال الأستاذ شعيب الأرناؤوط في الحاشية ، قال : وهو
 في الشماثل برقم « ٣٥١ » للترمذي وأخرجه البخاري (٤٢١/٦) في « الأبياء » :
 باب صفة النبي - ﷺ - و (٤٣٤/١٠) في الأدب باب الحياء ومسلم (٢٣٢٠) في
 فضائل النبي - ﷺ - باب كثرة حيائه ، كلهم من طريق شعبة ، عن قتادة عن
 عبد الله بن عتبة مولى أنس ، عن أبي سعيد .

قلت : هذه بُدَّة مختصرة يسيرة عن الإمام عبد الحق الإشبيلي - رحمه الله -
 وإثبات نسبة الكتاب للجليل إليه .

وقد ذكره وأقتبس منه واستفاد به جَمْعٌ كبيرٌ من أئمتنا المحدثين والمفسرين
 والفقهاء الذين عاصروا الإمام أو جاءوا بعده . فمنهم مثلاً :

الإمام الحافظ المحدث المفسر المؤرخ أبو الفداء ابن كثير رحمه الله ، حيث ذكر
 هذا الكتاب واشترك مع باقي الأئمة في تسميته ، حيث قال : في نهاية البداية والنهاية
 (الفتن والملاحم) (٢٠٠/١) في باب (ذكر أسماء يوم القيامة) :

قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي في كتاب (العاقبة) : يوم القيامة ، وما أدراك
 ما يوم القيامة ؟ .. ، ثم شرع ينقل عنه أسماء اليوم العظيم نسأل الله النجاة من أهواله
 بجمه وكرمه إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه وهو كتاب ما أظن أنى بحاجة للإطناب

في وصفه أو الثناء عليه ، فإنه يتكلم بنفسه عن نفسه بما لن يسعفنى خاطرى به .
أسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يتقبل عملي فيه بقبول حسن وأن يدخر
لي ذخره ليوم تكون فيه العقابة للمتقين .

وقد علم الله تقدست أسمائه أنى قد بذلت فيه جهدى وما آلت مع أنى
لا أدعى العصمة من الخطأ والسهو فهذا لا يكون إلا للأنبياء المعصومين - صلى الله عليهم
أجمعين - بل أوضحت ما ظهر لى فيه فليوضح أخَّ كريمٍ وقع كتابى فى يده ووقف
على كلامى فيه ما ظهر له ، فما القصد إلا بيان الصواب طلباً للثواب .

وإنى ناشد الله أخا كريماً وقع فيه على عثرة أو ذلة أو هفوة أو خطأ أن يتقبل
ذلك منى بصدر رحب وأن يدعو لى بالمغفرة ، فما من أحد عن الخطأ بنحوى إذ هو
لازم البشرية وقد يفوتنى الشئ بعد الشئ فيه ، وذلك أمر وارد ، فإنى ما قصدت
أن أتقصى وليس ذلك فى مقدورى ولا يسلم الاستقصاء لأحد فلو عورض كتاب
ألف مرة لوجد فيه خطأ فقد أنى الله العصمة إلا لكتابه كما يقول أئمتنا وسادتنا الله
درهم وعليه شكرهم وإنى أسأل ربي - جلّ ذكره أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وجامعه
وناظره وسامعه إنه سبحانه المسؤول أن يفتح به أعينا عمياً وآذانا صمّاً وقلوباً غلفاً
ونفوساً ماتت أو إستماتت تحت وطأة الهوى واستيطان العجز وإيثار الحمول وأن
يجعلنى من أول المنتفعين به إذ أننى لست عن كل ما أوردت بمنأى (وما أريد أن
أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه . إن أريد إلا الإصلاح ما أستطعت وما توفيقى إلا بالله
عليه توكلت وإليه أنيب *) .

قاله بلسانه وقيده بينانه
راجى عفو ربّه الغفور
أبو عبد الرحمن المصرى عبد الله الأثرى
عامله الولي بلطفه الخفي
لسبع ليال خلت من شهر الله المحرم
عام ألف وأربعمائة وثمان
من هجرة خير من وطىء الحصى نبينا مُحَمَّد صلى
الله تعالى عليه وآله وسلم

وصف مخطوطة الكتاب (العاقبة)

توجد مخطوطة هذا الكتاب الطيب في معهد المخطوطات تحت رقم (٢٩٧) تصوف ويشير فهرس معهد المخطوطات أن لهذه المخطوطة ثلاث نسخ موجودة بالمكتبة الظاهرية

- ١ - نسخة برقم (٢٣٥) تحتوى على (١١٣) ورقة قياس ١٨ سم × ٢٠ سم.
- ٢ - نسخة أخرى [أحمد الثالث] برقم (١٥٤٦) تحتوى على (٢١٩) ورقة قياس ١٧ سم × ٢٥ سم.
- ٣ - نسخة ثالثة [خزينة] برقم (٢٤٢) تحتوى على (٢٢٢) ورقة قياس ١٦,٥ سم = ٢١ سم. وهى أجملهم.

وقد اعتمدنا على منسوخة معهد المخطوطات بعد أن راجعناها على النسخ الموجودة بدار الكتب المصرية وهى:

- ١ - الموت والحشر - دار الكتب - مصورات خارج الدار (١٦٤١٧).
- ٢ - العاقبة - دار الكتب - مصورات خارج الدار (٨٧٤).
- ٣ - العاقبة - دار الكتب - مصورات خارج الدار (٨٧٥).

أما عن وصف مخطوطة الكتاب التى اعتمدنا عليها فهى كالتالى :
تحتوى هذه المخطوطة على (١١٣) ورقة، قياس الورقة ٢٨ سم × ٢٠ سم، وكل ورقة تحتوى على (٢٥) سطراً، كل سطر يشتمل على ما بين (٩:١٦) كلمة.
وقد كتبت المخطوطة بخط نسخى جيد عدا بعض الكلمات القليلة جداً وخاصة فى بعض الأشعار التى وجدت فى ثنايا الكتاب مثل صفحة ٨٥، ٨٧ بالمخطوط وغيرها من الصفحات القليلة والموجودة فى نهاية الكتاب تقريباً.
وهذه النسخة معنونة باسم (الموت والحشر والنشر) أو العاقبة.

الناشر
أبو حذيفة

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

الحمد لله الذى أذل بالموت رقاب الجبابرة ، وكسرى بصدمة ظهور الأكَاسرة ، وقصر بيغته آمال القياصرة ، الذى أدار عليهم حلقة الدائرة ، وأخذهم بيده القاهرة ، فقذفهم فى ظلمات الخافرة ، وصبرهم بها رهناً إلى وقعة الساهرة ، فأصبحوا قد خسروا الدنيا ولن يحصلوا على شئ من الآخرة ، مصيبة والله لا يجبر مصابها ، ولا يتجرع صبابها ولا تنقضى آلامها ولا أوصا بها ، لم يمنعهم ما حصنوه من المعقل والحصون ، ولا حرسهم ما بعثوه من الحراس والعيون ، ولا فداهم من ريب المنون ؛ ما ذحروه من علق مصون ، وذهب مغزون ، بل صدمهم بركنه الشديد ، وطحنهم بجيشه المديد ، وأنفذ فهم ما كتب عليهم من الوعيد ، نقلهم من لين المهود إلى خشونة اللهود ، وصبرهم بين حجرها المنضود ، وجند لها أكلا للهوام والدود ، ونظر إليهم بعينه الشوساء ، وأرسل عليهم كتيبته الخرساء ، فأذل عزتهم القعساء ، وأزال من نعمائهم ما شاء ، وأنطق بالعويل منهم ألسنة الخرساء ، وصبرهم حديثا يذكر على مر الزمان ولا ينسى ، نزلوا عن الأرائك والكلال ، والأسرة والحجال ، إلى الحجارة والرمال ، والأزاقم والصلال ، وشظف العيش بضيق المحالّ وجلّوا برّيج غير محلال ، بحيث لا زوال ولا انتقال ، ولا عثرة تقال ، ولا يسمع فيها كل مقال ، ولا يلتفت عندها إلى كل من قال ، أرسل عليهم ربك جنوده العاتية ، وأخذهم أخذته الراية ، وسلك بهم مسلك الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، فهل تحس منهم من أحد أو هل ترى لهم من باقية ، وقيل فى أمثالهم :

حدث حديث القوم من فارس ومن بنى قبط ويونان .
ومن بنى الأصفر أعجب بهم وسيبدأ الأتراك خاقان
والأقدمين الأعظمين الألى من حمير أبناء قحطان .

من تبع العرب ومن قيصر الروم وكسرى آل ساسان .
من كل قوم شاخ أنفه وكل فرعون وهامان .
وإن نسيت اليوم شيئاً فلا تنس نبيطاً أخت شاة كلدان .
واذكر ملوك الأرض من بعدهم من عرب صيدى وعجمان .
من كل منصور للوالى أروع سليل أطواق وتيجان .
مجمع الشمل على عزة شدت بأساس وأركان .
قد زلزل الأرض وراع الورى من جيشه الضخم بطوفان .
وذلل الخلق بسلطانه كأنه رب لهم ثان .
انظر إليهم هل ترى منهم غير أحاديث بأفنان .
وانظر إلى الموت وأعماله فهم ترى الملك بيرهان .
وتبصر القوم وماذا لقوا بالموت من ذل وخسران .
قد صفعتهم يده صفقة خروا للأعناق والأذقان .
ودك فى الأرض تيجانهم وألبسوا تيجان صمان .
من حجر صلد ورخو ومن ترب وحصباء وصيدان .
وأنزلوا بطن الثرى بعدما كانوا قعوداً فوق كيوان .
وأطعم الديدان لحمانهم يالك من لحم وديدان .
فكم هنا كم من فتى ناعم ومن فتاة ذات أردان .
ومن هزير مرح فى الوغى وظبية تسرح فى بان .
كانوا كذا ثم اغتروا غيره للنازح الدار وللدان .
ولم يدافع عنهم جحفل قد طبق الأرض بفرسان .
ولا بيوت ملكت كلها من لؤلؤ بحت وعقيان .
بل مرداكم كاد مسرعاً كالريح مرت بين قضبان .
وأصبح الملك لمن ملكه باق وكل غيره فان .

فسبحان من تفرد بالعزة والكبرياء ، وتوحد بالديمومة والبقاء ، وطوق عباده
بطوق الفناء ، وفرقهم بما كتب عليهم من السعادة والشقاء وجعل الموت مخلصاً
لأوليائه السعداء ، ومهلكاً لأعدائه الأشقياء وخلق خزلانا وقدر توفيقاً ، وأنهج
سبيلاً وأوضح طريقاً ، فهدى إليه فريقاً وأضل عنه فريقاً ، لا يسأل عما يفعل وهم

يسألون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من وفق لها فى الأزل ، وكتب له بها فى القسم الأول ، ففتح إليها كل باب ، وهتك دونها كل حجاب ، وخلصها من الشبه والارتباب ، وظهرت عليه فمها نعمة العزيز الوهاب ، الغفور التواب ، ملك الأملاك ، ورب الأرباب ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المرفوع عليه علم التحقيق ، والمختص بخصائص التوفيق ، الداعي إلى أنجح سبيل وأوضح طريق ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة تزيده شرفاً ، وترفعه زلفاً ، وتوردنا مورده الذى عذب وصفاً ، وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم وكرم ، وشرف وعظم .

أما بعد : فإن الموت أمر كبار ، أنجد وأغار ، وكأس يدار ، فيمن أقام أو سار ، وباب تسوقك إليه يد الأقدار ، ويزعجك فيه حكم الاضطرار ، ويخرج بك منه إما إلى الجنة وإما إلى النار ، خبر علم الله يُصمُّ الأسماع ويُغيِّر الطباع ، ويكثر من الآلام والأوجاع .

واعلموا أنه لو لم يكن فى الموت إلا الإعدام والخلال الأجسام ، ونسيانك آخر الليالى والأيام ، لكان فيه لأهل اللذات مكدرًا ، ولأصحاب النعيم مغيرًا ، ولأرباب العقول عن الرغبة فى هذه الدار زاجرًا ومُنَقِّرًا ، كما قال مطرف بن عبد الله ابن الشخير « إن هذا الموت نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه » .

فكيف ووراءه يوم يعدم فيه الجواب ، وتدهش فيه الأبواب ، وتقنى فى شرحه الأقلام والكتاب ، ويترك النظر فيه والاهتمام به الأولياء والأحباب .

واعلموا رحمكم الله أن الناس فى ذكر الموت على ضروب ، فمنهم المنهمك فى لذاته ، المثابر على شهواته ، المضيع فيها مالا يرجع من أوقاته ، ولا يخطر الموت له على بال ، ولا يحدث نفسه بزوال ، قد اطرح أخراه ، وأكب على دنياه ، واتخذ إلهه هواه ، فأصمه ذلك وأعماه ، وأهلكه ذلك وأرداه ، وإن ذكر له الموت نفر وشرد ، وإن وعظ أنف وعند ، وقام فى أمره الأول وقعد ، قد حاد عن سواء نهجه ، ونكب

عن طريق فلجه ، وأقبل على بطنه وفرجه ، تبت يداه ، وخاب مسعاه ، كأنه لم يسمع قول الله عز وجل [آل عمران / ١٨٥] ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ولا يسمع قول القائل فيه وفي أمثاله :

يا راكب الردع للذاته كأنه في أثر عمر .
وأكلأ كل الذى يشتهى كأنه في كالأ ثور .
وناھضاً أن يدع داعى الموتى كأنه من خفة طير .
وكل ما يسمع أو ما يرى كأنما يعنى به الغير .
إن كؤوس الموت بين الورى دائرة قد حشها السير .
وقد تيقنت وإن أبطأت أن سوف يأتيك بها الدور .
ومن يكن فى سيره جائراً تالله ما فى سيرها جور .

نعم ربما أخطر الموت بمخاطره ، وجعله من بعض خواطره ، فلا يهيج منه إلا غما ولا يثير من قلبه إلا حزنا ، مخافة أن يقطعه عما يؤمل ، أو يعظه عن لذة فى المستقبل . وربما فر بفكره منه ، ودفع ذلك الخاطر عنه ، يا ويحه كأنه لم يسمع قول الله عز وجل : [الجمعة / ٨] ﴿ قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملائكم ﴾ ولا قول القائل :

فر من الموت أو اثبت له لايد من أنك تلقاه .
واكتب بذى الدار ما شئتة فإن فى تلك ستقراه .

وكذلك من كان قلبه معلقاً بالدنيا وهمه فيها ، ونظره مصروفاً إليها وسعيه كله لها ، وهو مع ذلك من طلابها المحرومين ، وأبنائها المكدودين ، لم ينل منها حظاً ، ولا رقى منها مرقى ولا نجح له فيها مسعى ، إن ذكر له الموت تصامم عن ذكره ، ولم يمكنه من فكره ، وتمادى على أول أمره ، رجاء أن يبلغ ما أمل ، أو يدرك بعض ما تخيل ، فعمره ينقص وحرصه يزيد ، وجسمه يخلق وأمله جديد ، وحتفه قريب ومطلبه بعيد ، يحرص حرص مقيم ، ويسير إلى الآخرة سير مجد ، كأن الدنيا حق يقين والآخرة طريق الظنون ، وفى مثل هذا قيل :

أنحرص يا بن آدم حرص باق وأنت تمر ويحك كل حين
وتعمل طول دهرك بالظنون وأنت من المنون على يقين

وهذا إذا ذكر الموت أو ذكر به لم يخف أن يقطع عليه هماً من الأعراض قد
كان حصله ، ولا عظيماً من الآمال في نفسه قد كان أدركه ، لأنه لم يصل إليه ولا
قدر عليه ، لكنه يخاف أن يقطعه في المستقبل عن بلوغ أمل يحدث به نفسه ، ويخضع
به حسه ، وهو يرى فيه يومه كما قد رأى أمسه ، قد ملأ قلبه بتلك الأحاديث
المشغلة والأمانى المزدلة ، والوساوس المتلفة ، قد جعلها ديدنه ودينه ، وإيمانه وبقينه .

وربما ضاق ذرعه بالدنيا وطال همه فيها من تقدر مراده عليه وقلة تأتية له ،
فتمنى الموت إذ ذاك ليستريح بزعمه ، وهذا من جهله بالموت وبما بعد الموت ،
والذى يستريح بالموت غيره ، والذى يفرح به سواه ، إنما الفرح من وراء الصراط ،
والراحة بعد المغفرة .

توفيت امرأة كان أصحاب رسول الله - ﷺ - يمازحونها ويضحكون منها
فقال عائشة استراحت فقال رسول الله - ﷺ - : « إنما يستريح من عُقر له » (١)
ذكره أبو بكر البزار في مسنده .

فلا يزال هذا البائس يتحمل من الدنيا بؤسها ، ويتلقى نحوسها ، ويلبس لكل
شدة لبوسها ، وهو يتعلل بعسى ولعل ، ويرى جنده الأفل ، وحزبه الأقل ، وناصره
الأذل ، فلا يرعوى ولا يزدجر ، ولا يفكر ولا يعتبر ، ولا ينظر ولا يستبصر ، حتى
إذا وقعت رايته ، وقامت قيامته ، وهجمت عليه منيته ، وأحاطت به خطيئته
وكشف له الغطاء ، وتبدت له موارد الشقاء ، صاح واخيئته ، واثكل أماءه ، واسوء

(١) صحيح . أخرجه أحمد (٦٩/٦ ، ١٠٢) من طريقين عن ابن لهيعة ؛ الأول من طريق يحيى ، وهو ابن إسحق ؛
سمع من ابن لهيعة حال سلامته - على ما اعتمده الناس - وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٢٥١) وهو
أيضاً من قدماء أصحاب ابن لهيعة ، فحديثه أيضاً صحيح عند جمهورهم ، وقال الهيثمي في المجمع
(٣٣٣/٢) : « رواه أحمد والطبراني في « الأوسط » وفيه ابن لهيعة وفيه كلام » .
(*) قلت : لا يُغترّ بذلك بعد الذى بيّناه . والله تعالى أعلم . وأورده شيخ الإسلام في « المطالب العالية »
(١٤٠/٣) عن عروة قال .. فذكره ، وقال : « مرسل رجاله ثقات » .

مقلباه ، هيهات هيهات ندم والله حيث لا ينفعه الندم ، وأراد التثبت بعدما زلت به القدم ، فخر صريعاً لليدين وللنعم ، إلى حيث ألفت رحلها أم قَشِيعَم ، فنعوذ بالله من الحرمان ، ومن ضحك العدو وشماتة الشيطان .

وهذا والذي قبله إن لم تكن لهما عناية أزلية ، وسابقة أولية ، فيمسك عليهما الإيمان ، ويختم لهما بالإسلام ، وإلا فقد هلكا كل الهلاك ووقعا بحيث لا دراك ولا نخلص ولا انفكاك ، فنعوذ بالله من سوء القضاء ، ودرك الشقاء ، بفضلته ورحمته .

ورجل آخر وقليل ما هم من أزيل عن عينه قذاها ، وكشف عن بصيرته عماها ، وعرضت عليه الحقيقة فرآها ، وأبصر نفسه وهواها ، فزجرها ونهاها ، وأبغضها وقلاها ، فلبى المنادى وأجاب الداعي ، وشمر لتلافى ما فات ، والنظر فيما هو آت ، وتأهب لهجوم الممات وحلول الشتات ، والانتقال إلى محلة الأموات ، ومع هذا فإنه يكره الموت أن يشهد وقائعه ، أو يرى طلائعه ، أو يكون ذاكر حديثه أو سامعه ، وليس يكره الموت لذاته ، ولا لأنه هادم لذاته ، لكن يخاف أن يقطعه عن الاستعداد ليوم المعاد ، والاكْتِسَاب ليوم الحساب ، ويكره أن تطوى صحيفة عمله ، قبل بلوغ أمله ، وأن يبادر بأجله ، قبل صلاح حاله ، وإدراك زلله ، فهو يريد البقاء في هذه الدار لقضاء هذه الأوطار ، والإقامة بهذه المحلة ، وبسبب هذه العلة . كما يروى عن بعض الصالحين وقد بكى عند الموت ف قيل له ما يبكيك فقال : « والله ما أبكي لفراق هذه الدار ، حرصاً على غرس الأشجار ، وإجراء الأنهار ، لكن على ما يفوتني من الادخار ، ليوم الافتقار ، والاكْتِسَاب ليوم المآب » قال هذا أو معناه .

واعلم أن هذا لا يدخل تحت قوله عليه السلام : « من كره لقاء الله كره الله لقاءه » لأن هذا لم يكره لقاء الله وإنما كره أن يقدم على الله عز وجل متدنساً بأوزاره ، ثقیل الظهر بها ، ملآن من عاره وشناره ، فأراد أن يتطيب للقاء ، ويستغنى بفضل القضاء .

قال أبو سليمان الداراني : « قلت لأم هارون : تحبين أن تموتى ؟ قالت : لا قلت : ولم ؟ قالت : والله لو عصيت مخلوقاً لكرهت لقاءه فكيف بالخالق جل جلاله » .

وقال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : « يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أعمرتم دنياكم وأخربتم أخراكم ، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب . قال : كيف القدوم على الله عز وجل ؟ قال : يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يأتي أهله فرحاً مسروراً ، وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتي مولاه خائفاً محزوناً » .

وقال أبو بكر الكنانى : « كان رجل يحاسب نفسه فحسب سنينه يوماً فوجدها ستين سنة ، فحسب أيامه فوجدها إحدى وعشرين ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ صرخة خر مغشياً عليه ، فلما أفاق قال : يا ويلاه أنا آتى ربي بأحد وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب !! يقول : هذا لو كان ذنب واحد كل يوم فكيف بذنوب لا تحصى ؟ ثم قال : آه على عَمُرَتِ دُنْيَاي وأخربت أخراى وعصيت مولاي ثم لا أشتى النقلة من العمران إلى الخراب ، وكيف النقلة إلى دار الكتاب والحساب والعقاب والعذاب بلا عمل ، ولأ ثواب وأنشد :

منازل دنياك شيدتها وخربت دارك فى الآخرة
فأصبحت تكرهها للخراب وترغب فى دارك العامرة
ثم شهق شهقة عظيمة فحركوه فإذا هو ميت » .

على أن هذا الحديث : « من كره لقاء الله كره الله لقاءه » قد جاء مفسراً . قالت عائشة - رضى الله عنها - قال رسول الله - ﷺ - : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقلت : يا نبي الله أكرهية الموت وكلنا نكره الموت ؟ قال : « ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بُشِّرَ برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله وأحب لقاءه ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه » ذكره مسلم بن الحجاج .

وقال البخارى فى هذا الحديث : « ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله فأحب لقاءه ، وإن الكافر إذا حضره الموت بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته فليس شئ أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله فكره الله لقاءه » .

ورجل آخر : وهو من القليل قليل ، عرف الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العليا وشاهد ما شاهد من كمال الربوبية وجمال الحضرة الإلهية فملأت عينه وقلبه وطاشت عقله ولبه ؛ فهو يحن إلى ذلك المشهد ويحوم على ذلك المورد ويستعجل إنجاز ذلك الموعد وقد علم أن الموت حجاب بينه وبين محبوبه وستر مسدل بينه وبين مطلوبه ، وباب مغلق يمنعه من الوصول إلى مرغوبه فلو أصاب إلى هتك ذلك الحجاب هتكه ، ورفع ذلك الستر رفعه ، وكسر ذلك الباب كسره ، فعذابه في الحياة وراحته في الممات .

كما روى عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - لما نزل به الموت قال : « حبيب جاء على فاقة » .

وقد قيل : « الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب » .

ويروى عن علي بن الفتح أنه رأى الناس في يوم عيد يتقربون بقربانهم - يعنى بضحاياهم - فقال : « يا رب وأنا تقربت إليك بأحزاني ، ثم غشى عليه فلما أفاق قال : إلهي كم ترددني في هذه الدنيا ؟! » فمات من ساعته . ومقدمات هذا وأمثاله تدل على ما وراءها من الوصال والاتصال والأنس بذلك الجلال والجمال .

قال أحمد بن أبي الخوارى : قال أبو سليمان الداراني : « الناس رجلان : رجل أحب الله فأحب الموت شوقاً إلى لقاء الله ، ورجل أحب البقاء لإقامة حق الله . قال : فوثب غلام لم يحتلم فقال : ورجل ثالث - أو قال ورجل آخر - فقال أبو سليمان : ومن هو ؟ فقال : من لم يختار هذا ولا هذا اختار ما اختاره الله عز وجل له . فقال أبو سليمان احتفظوا بالغلام فإنه صديق » .

واجتمع يوماً وهب بن الورد ، وسفيان الثوري ، ويوسف بن أسباط ، فقال الثوري : كنت أكره موت الفجاءة ووددت اليوم أني مُت فقال له يوسف بن أسباط : لم ؟ قال : لما أتخوف من الفتنة في الدين . فقال يوسف : لكني أحب الحياة وطول البقاء . قال له سفيان : لم ؟ قال : لعل أن أصادف يوماً فأتوب فيه وأعمل صالحاً . فقيل لو هب : أى شيء تقول أنت ؟ فقال : أنا لا أختار شيئاً أحب ذلك

إِلَى أَحَبِّهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . فقبل الثورى بين عينيه وقال : روحانية ورب الكعبة .

وقال على بن الجهم عن علي بن عثمان بن سهل : دخلت على عمرو بن عثمان وهو في علته التى توفى فيها فقلت له : كيف تجدك ؟ قال : أجد سرى واقفاً مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام - يعنى مثل الماء فى الإناء - أو القرار فى الأرض - يقول لا يختار الحياة ولا الموت .

وقال القائل فى هذا المعنى :

كلُّ ما يفعل الحبيبُ حبيبٌ والذى شاء بى فشئ عجيب .
إن سلون أراد بى فسلون ، أو وجيب أراد بى فوجيب .
وإذا ما أراد موتى فموتى أو حياى لكل ذاك أجيب .
كلما كان من قضاء فيحلو بفؤادى نزوله ويطيب .

ومنهم من يتمنى الموت ويشتهيهِ ، وَيَسْأَلُهُ رَبُّهُ تعالى ويرغب إليه فيه ، وقد علم أن وراءه يوماً ثقيلاً ، وحسباً طويلاً ، ومقاماً يقوم فيه ذليلاً ، لكن لما رأى نفسه منصوباً للمجن ، معرضاً للفتن ، مرتباً بما هو به مرتين ، وأبصر تفريطه فى الزاد ليوم المعاد ، وفى الاستعداد ليوم الأشهاد ، وخاف أن يُقطع عن سبيل المؤمنين ، ويختلج عن طريق المسلمين ، تمنى الموت لينجو من هذا الخطم ويسلم من هذا الغرور وأن ينقذه الله عز وجل بالإيمان ، كائنًا منه بعد ذلك ما كان ، وهذا إن شاء الله إذا مات خرجت له البشرى بالأمان وأن يحل فى جوار الرحمن حيث شاء من دار الكرامة والرضوان .

واعلم أن هذا لا يدخل تحت قوله عليه السلام : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر ينزل به » . فإنه عليه السلام أراد الضر الدنياوى الذى ينزل بالإنسان من محن الدنيا فى النفس والأهل والمال ، وهذا إنما تمناه مخافة أن ينزل به الضر الأخرى وأن يُقطع بالمعاصى عن الله عز وجل ، وأن يُصدَّ بالفتن عن سبيل الله . وبالجمله فالموت طريق نجاه يركبها المؤمن ومرور وسلامه يرد المسلمون لقوا فيه ما لقوا ، وسقوا منه ما سقوا ، لكل ذلك يلغون لما يفضى بهم إليه من السعادة الأبدية ، والحياة السرمدية ، نسأل الله جميل الخاتمة وحسن العاقبة ومردًا غير مخزٍ ، ولا فاضح برحمته ، لا رب غيره .

والأحاديث التي وردت في النهي عن تمنى الموت صحيحة .

١ - ذكر مسلم بن الحجاج رحمه الله من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ - : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنياً فليقل : اللهم أحيى ما كانت الحياة خيراً لى وتوفنى ما كانت الوفاة خيراً لى » .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ - : « لا يتمن أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه ، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً » (٢) أخرجه مسلم .

٢ - وذكر البخارى من حديث أبى هريرة أيضاً أن رسول الله ﷺ - قال : « لا يتمن أحدكم الموت إلا محسناً فله أن يزداد وإما مسيئاً فله أن يستعذب » (٣) .

٣ - وذكر أبو بكر البزار من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ - : « لا تمنوا الموت فإن هول المطلاع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإناة » (٤) .

وسأذكر لك إن شاء الله جملة كافية مما ورد في الموت وما يعين على ذكره والفكرة فيه وذكر الصالحين له وكلامهم عند نزوله مع كلام غيرهم من المغترين والجهلة الخدوعين وما وراءه من السؤال والحساب ، والثواب والعقاب ، والله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ولعلك تظن بقولى هذا - وبالجمل فالموت طريق نجاة يركبها المؤمنون « الكلام إلى آخره - أنى إنما أردت

(٢) صحيح * وهو عند مسلم (٨/١٧ - نووى) والنسائى (١/٧/ سيوطى) ، والبغوى فى « شرح السنة » (٢٥٨/٥) وأورده السيوطى فى « الجامع الصغير » فهو فى قسم « الصحيح » منه برقم (٧٤٨٨) .

(٣) صحيح * إتفق على إخرجه الشيخان ، البخارى (١٠/١٢٧ - فتح) ومسلم (٨/١٧ - نووى) ، وأخرجه ابن حبان فى « صحيحه » (٤/٢٨٥) ، والنسائى (٤/٣ - سيوطى) ، والمهقى فى « السنن الكبر » (٣/٣٧٧) والبغوى فى « شرح السنة » (٥/٢٥٨) وابن المبارك فى « الزهد » (رقم - ٣٣) وغيرهم والله تعالى أعلم .

(٤) حسن * أخرجه أحمد (٣/٣٣٢) ، وفيه كثير من زيد « صدوق يخطئ » كآ فى « التقریب » (٢/٣٢) ، وقال الميمنى فى « المجمع » (١٠/٢٠٦) رواه أحمد والبرار ، وسنده حسن . هـ .

بذلك تهوين الموت وتسهيل كربه ، وتحقير خطبه ، والازدراء بشأنه ، وقلة المبالاة به كلا وَمَنْ كتبه على البشر ، وجعله عبرة من العبر ، وأخرى آية الكبر ، ما قلت ذلك هوأً وإنما قلته للحالة التي يؤول المؤمنون إليها ، ويطعمون عليها ، ويكرمون بها ، ويخلدون فيها ، فذلك يهون الموت ، وما هو [بعد] الموت أعظم من الموت ، بل الإقامة في سكراته وتجرع مراراته آلافاً من السنين وأضعاف ما تقرعون ، وإلا فالموت هو الخطب الأقطع والأمر الأشنع ، والكأس الذى طعمها أكره وأبشع ، وأنه للحادث الأهدم للذات ، والأقطع للراحات ، والأجلب للكرهيات ، وإن أمراً يقطع أوصالك ، ويفرق أعضائك ، وييث أعضاءك ، وينشر أركانك ، هو الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، وأن يومه هو اليوم العقيم ، وما ظنك - رحمك الله - بنازل ينزل بك فيزيل رونقك وبهائك ، ويغير منظرك ورواءك ، ويمحو صورة جمالك ، ويمنع من اجتماعك وأفضالك ، ويردك بعد النعمة والنضرة والسطوة والمروءة والنخوة والعزة ، إلى حالة يبادر فيها أحب الناس إليك ، وأرحمهم بك وأعطفهم عليك ، فيقربك في حفرة من الأرض قريبة أنحاؤها ، مظلمة أرجاؤها ، محكم عليك حجرها وصلدانها ، فتحكم فيك هوامها وديدانها ، ثم بعد ذلك يتمكن منك الإعدام ، وتختلط بالرغام ، وتصير تراباً تطؤه الأقدام ، وربما ضرب منك إناء فخار ، أو أحكم بك بناء جدار ، أو طلى بك [إناء] ماء أو موقد نار ، كما روى عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - « أنه أتى بإناء ماء ليشربه فأخذه بيده ونظر إليه وقال كم فيك من عين كحيل وخد أسيل » .

ويحكى : أن رجلين تنازعا وتخاصما في أرض فأنطق الله عز وجل لبنة في حائط من تلك الأرض فقالت : يا هذان إني كنت ملكاً من الملوك ، ملكت كذا وكذا سنة ، ثم مت وصرت تراباً فبقيت كذلك ألف سنة ، ثم أخذني خزاف - يعنى فخّاراً - فعمل منى إناء فاستعملت حتى تكسرت ، ثم عدت تراباً فبقيت ألف سنة ، ثم أخذني رجل ف ضرب منى لبنة فجعلنى في هذا الحائط ، فقيم تنازعكما ؟ وفيم تخصمكما ؟

وهذا التغير إنما يحل بجسدك ، وينزل بيدك ، لا بروحك لأن الروح له حكم آخر ، وما قضى منك فغير متاع ، وتفرقه لا يمنعه من الاجتماع ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾ [ق / ٤] .

والحكايات في هذا الباب أكثر من هذا والكلام فيه متسع ، وقد دُؤنت في الموت الأخبار ، وصنعت فيه الأشعار ، وضربت بشدته الأمثال ، وكثر فيه القيل والقال ، وعملت بسببه أعمال وأعمال .

قال بعضهم :

قالوا صف الموت يا هذا وشدته
فقلت وأثر منى عند ذا الصوت
يكفيكم منه أن الناس إن عجزوا
عن [و] صف حمرهم قالوا : هو الموت
وقد أمر عليه السلام بذكره ، وأعاد القول فيه تهويلا لأمره ، وتعظيما
لشأنه .

٤ - ذكر النسائي :

عن عائشة قالت قال رسول الله - ﷺ - : « أكثروا ذكر هادم اللذات الموت » (٥) .

وهذا كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة ، وأبلغ في الموعظة ، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نفص عليه لذته الحاضرة ، ومنعه من تمنها في المستقبل ، وزهده فيما كان منها يؤمل ، ولكن النفوس الراكدة ، والقلوب الغافلة ، تحتاج إلى تطويل الوعاظ ، وتزويق الألفاظ ، وإلا ففيما ذكرته من قوله عليه السلام : « أكثروا ذكر هادم اللذات الموت » ما يكفي السامع له ، ويشغل الناظر فيه طرفة .

٥ - ويروى عن عطاء الخراساني أنه قال : « مر رسول الله - ﷺ - بمجلس قد ارتفع فيه الضحك فقال [شُوبُوا] مجلسكم بذكر مُكَدِّر اللذات ، قالوا وما مكدر اللذات ؟ قال الموت » (٦) .

(٥) صحيح . من حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي (٢٣٠٧) قال : حسن عريب والنسائي (٤/٤) وابن ماجه (٤٢٥٨) وابن حبان في « صحيحه » (٢٩٨١ - ٢٩٨٣) والحاكم في « المستدرک » (٣٢١/٤) والبعوى (٢٦٠/٥) والديلمي (٢١٧) قال الهيثمي في « المجمع » (٣١١/١٠) رواه البزار وإسناده حسن .

(٦) ضعيف . قال الهيثمي (٤٨/٧) رواه الطبراني وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف . قال العراقي [رواه] اس

- ٦ - وخرج يوماً عليه السلام إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال : « اذكروا الموت ، أما والذي نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » (٧) .
- ٧ - وعن ابن عمر قال : « أتيت رسول الله - ﷺ - عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله مَنْ أكيس الناس ؟ قال : أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم له استعداد قبل أن ينزل به أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرم الآخرة » (٨) .
- ٨ - وقال عليه السلام : « أنا النذير ، والموت المغير ، والساعة الموعد » (٩) .
- ٩ - ويروى عنه عليه السلام أنه قال : « تركت فيكم واعظين ناطقاً وصامتاً فالناطق القرآن والصامت الموت » (١٠) .
- ١٠ - ويروى أن جبريل - عليه السلام - قال لرسول الله - ﷺ - : « عش ما

أبى الدنيا في ذكر الموت هكذا مرسلًا وروايتها في «أمالي» الخلال من حديث أنس ولا يصح وما بين المعكوتين من «الإحياء» (١١٦/٦) .

(٧) صحيح * متفق عليه . أخرجه البخارى (٥٣٦/٢ فتح) ومسلم (١٩٨/٦) وأخرجه أصحاب الكتب عن جمع غفير من الصحابة نجتزأ منها بحديث أم المؤمنين عائشة عند الشيخين والله أعلم .

(٨) حسن * أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٩) وقال الهيثمى في «المجمع» رواه الطبرانى في «الصغير» وإسناده حسن .

(٩) صالح * أورده الديلمى في «الفردوس» (١٠١) وهو أيضاً في «الإحياء» (١٣٢/٦) وعزاه العراقى لابن أبى الدنيا في «قصر الأمل» وأبى القاسم النغوى بإسناده فيه لى . أخرجه أيضاً أبو بكر ابن أبى داود في «المعتمد» وقال أبو إسحق المؤيد - حفظه الله - إسناده صالح . أخرجه أبو يعلى كما في تفسير ابن كثير (١٧٨/٦) والبيهقى في «شعب الإيمان» (ق ٢/٧٦) والقضاعى في مسند الشهاب (٣٣٣) من طريق صمام ابن إسماعيل عن موسى بن وردان عن أبى هريرة . قال الهيثمى في «المجمع» (٢٢٧/١٠) رجاله رجال الصحيح عمر ضمام بن إسماعيل وهو ثقة .

(١٠) لم أقف عليه بهذا اللفظ فيما بين يدى من المصادر . ولكن جاء معناه فيما أخرجه أحمد (٣٦٦/٤) ومسلم (١٨٤/٨) والطبرانى في «الكبير» (٨٦/٢/٥) وعزاه أخونا الشيخ حمدى السلمى للفسوى في «المعرفة والتاريخ» (٥٣٧/١) وابن أبى عاصم في «السنن» (١٥٤٩ ، ١٥٥٠ ، ١٥٥١ ، ١٥٥٢) من حديث زيد ابن أرقم بأسانيد صحاح .

شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به « (١١) .

وهذه الأحاديث رويتها من طريق أبي بكر البزار والقاضي أبي الحسن بن صخر وأبي على الغساني وغيرهم .

١١ - وقال أبو الدرداء : « من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده » .

١٢ - وقال بعض أصحاب الحسن : « كنا ندخل على الحسن فما هو ذاكر إلا النار والقيامة والآخرة وذكر الموت » .

وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه على حدته .

١٣ - وقال التيمي رحمه الله : « شيخان قطعاً عنى لذاذة الدنيا ذكر الموت ، وذكر الوقوف بين يدي الله عز وجل » (١٢) .

١٤ - وقال مطرف بن عبد الله : « رأيت فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول في وسط جامع البصرة : قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين (١٣) محزونين » .

١٥ - وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - « لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد » .

١٦ - وقال لعنيسة : (١٤) « أكثر ذكر الموت ؛ فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك ، وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك » (١٥) .

١٧ - وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه : « ويحك يا يزيد من ذا يصلى عنك بعد الموت ؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت ؟ من ذا يترضى عنك ربك بعد

(١١) حسن * أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٢٤/٤) وصححه ووافقه الذهبي ، وفي «المطالب العالية» (١٣٨/٣) عزاه شيخ الإسلام لأبي داود (يعني الطيالسي) وقال الأعظمي رواه الطيالسي بسند ضعيف بضعف الحسن بن أبي جعفر لكن له شاهد رواه الحاكم وصححه أ. هـ.

(١٢) راجع الإحياء (١٠٧/٦) .

(١٣) أثر مطرف في الإحياء أيضاً (١٠٧/٦) .

(١٤) * أثر عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - في «الإحياء» (١٠٨/٦) .

(١٥) * قول عمر بن عبد العزيز لعنيسة . أكثر ذكر الموت لمخ هو في «الإحياء» أيضاً (١٠٨/٦) .

الموت ؟ ثم يقول أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم ؟ من الموت موعده والقبر بيته والثرى فراشه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله ؟! ثم يبكى حتى يسقط مغشياً عليه .
١٨ - ويروى أن عيسى عليه السلام أنه كان « إذا ذكر عنده الموت والقيامة تقطّر جسده دماً » (١٦) .

١٩ - وعن داود عليه السلام « أنه كان إذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكرت الرحمة رجعت » (١٧) .

٢٠ - وكان عمر بن عبد العزيز « يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة » (١٨) .

وأنشد بعضهم :

يا باكياء من خيفة الموت أصبت فارغ من مدى الصوت .
وناد يا ملهياً على فسحة في العمر فأت أيتها فوت .
صبغت ظالم نفسي ولم أصغ إلى موت ولا ميّت .
يا ليتها عادت وهيات أن يعود ما قد فات بالليّت .
فخل عن هذى الأمانى ودع خوضك في هات وفي هيت .
وبادر الأمر فما غاب أسرع إتيانا من الموت .
كم شائداً بيتاً ليغنى به مات ولم يفرغ من البيت .

واعلم أن كثرة ذكر الموت يردع عن المعاصى ، ويُلين القلب القاسى ،

(١٦) (قوله) ويروى (أ) أن عيسى - عليه السلام - إذا ذكر الموت عنده ... إلخ قلت : سبقت الإشارة فى حطبة الكتاب إلى أن مثل هذا الأثر - وأصرابه - إنما هو من الإسرائيليات التى لا يحتج بها فى ديننا والتى أمرنا ألا نصدقها وألا نكذبها - والله تعالى أعلم .

(١٧) « وقوله » وعن داود - عليه السلام - أورده أبو حامد رحمه الله فى الإحياء (١٠٧/٦ ، ١٠٨) وفى كتاب ربنا مالا يحصىه المحضون من « البدائل » - إذا حاز هذا التعبير - لهذه الحكاية وأشاهها .

(١٨) « (قوله) وكان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يجمع الفقهاء . إلخ هو فى « الإحياء » وفى ترجمة عمر فى « الحلية » (٣٦٥/٥) .

ويذهب الفرح بالدنيا ، ويهون المصائب فيها ، وأن من لم يخفه في هذه الدار ربما تمناه في الآخرة فلا يؤتاه ، ويسأل فيه فلا يعطاه .

وكتب رجل إلى بعض إخوانه : « يا أخى احذر الموت في هذه الدار من قبل أن تصير إلى دار يُتمنى الموتُ فيها فلا يوجد ويُطلب فلا يُدرَك » .

٢١ - ويروى أن امرأة شكت إلى عائشة - رضى الله عنها - قساوة في قلبها ، فقالت لها : « أكثرى ذكر الموت يرقُّ قلبك . ففعلت ذلك فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة - رضى الله عنها - » (١٩) .

٢٢ - وقال الحسن : « فضح الدنيا والله هذا الموت فلم يترك فيها [لذي لب فرحاً] » .

٢٣ - وقال : « ما رأيت غافلاً قط إلا وجدته حذراً من الموت حزيناً من أجله » (٢٠) .

٢٤ - وقال كعب : « من ذكر الموت هانت عليه المصائب » .

٢٥ - وقال حامد اللّفاف : « ويح ابن آدم إن أمامه ثلاثة أشياء : موت كربه المذاق ، ونار أليمة العذاب ، وجنة عظيمة الثواب » .

- واعلم أن الموت لن يمنعه منك مانع ، ولا يدفعه عنك دافع ، وأن فيه لجزراً للبيب ، وشغلاً للأريب ، ومنبهه للنائم ، وتنشيطاً للمستيقظ ، وأنه لطلب المدرك ، والمتبع اللاحق ، والمغير الذى يبعث الطليعة ويعجل الزينة ويسبق النذير العريان ، لا يرده الباب الشديد ، ولا البرج المشيد ، ولا النحب العرمم ، ولا البلد البعيد .

٢٦ - روى خيثمة عن سليمان بن مهران الأعمش وحدث به غيره أيضاً : « أن رجلاً كان جالساً عند نبي الله سليمان - عليه السلام - فدخل عليه داخل فجعل ينظر إلى الرجل الجالس مع سليمان ويدم النظر إليه فلما خرج قال الرجل :

(١٩) * (قوله) ويروى أن امرأة شكت إلى عائشة - رضى الله عنها - .. الخ الإحياء (١٠٧/٦) .

(٢٠) أثر الحسن رحمه الله . « فضح الدنيا » .. الخ الإحياء (١٠٨/٦)

يا نبي الله من هذا الداخل عليك ؟ قال : ملك الموت . قال : يا نبي الله لقد رأيته يديم النظر إليّ ويشخص في واني لأظنه يريدني قال : فما تريد ؟ قال : أريد يا نبي الله أن تأمر الريح فنأخذني فتلقيني في أبعد جزائر البحر فإنه قد أطار عقلي وأذهب لبي ونفض كل عضو في بدني فأوحى الله إلى سليمان أو ألقى في نفسه أن يفعل ذلك فأمر الريح فأخذته فألقته حيث أراد فما استقر بالأرض حتى نزل عليه ملك الموت فقبض روحه ثم رجع إلى سليمان فقال له سليمان : رأيته يديم النظر إلى جليسي قال : نعم ، كنت أتعجب منه لأنني أمرت بقبض روحه في أبعد بلاد الهند في ساعة قريبة من الوقت الذي كان عندك فما هو إلا أن عرجت قبيل لي : انزل عليه فإنه بها فنزلت عليه فوجدته بها فقبضت روحه » (٢١) .

وأنشد بعضهم :

ما أنت والرشا الأحوى تغالزه والركب تسئل عنه فإنه الوادي .
 رقد أضلك جيش الردى لجت كالبحر توصل أمداد بأمداد .
 من كل واهية لو أنها مثلت شخصاً لأظلم منه كل وقاد .
 لا يمنع المرء منها رأس شاهقة ولا يرده أشباهاً نسج زراد .
 وأنت غار على ظهر الطريق وما لديك من ناصر يرجي ولا قاد .
 كأني بك مصروعاً لوطئته هذا أو أن مغار الفارس العاد .
 نعم قد أتيت ولا منجا ولا ورد للويل أصبحت من ركض وأمداد .
 صبح بالثرى وبالقصر المشيد عمى هميات هميات فإن القصر والناد .
 يا وافداً وعيون الموت ساهرة لقد أعدت لأمر غير رقاد .
 - واعلم : أن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ، ويطرد عن القلوب مسراتها ، ويمنع

(٢١) (قوله) روى خيشمة عن سليمان بن مهران الأعمش . ، أن رجلاً كان حالساً مع نبي الله سليمان عليه السلام - الإحياء (١٣٨/٦) وهي في «حلية الأولياء» (٦٠/٦) منحوه .

الأجفان من النوم ، والأبدان من الراحة ، ويبعث على العمل ويزيد في الاجتهاد والتعب .

٢٧ - يُروى أن الحسن البصري - رحمه الله - « دخل على مريض يعود فوجده في سكرات الموت فنظر إلى كربه وعلوه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير الذى خرج من عندهم فقالوا له : الطعام رحمك الله أتاكُل ؟ فقال : يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فوالله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه . »

- وقال بعض العلماء : « أى عيش يطيب وليس للموت طيب » .
- وقال بعض الزهاد : « لنا من كل ميت عظة بحاله وعبرة بماله » .

٢٨ - وقال ابن مسعود : « كفى بالموت واعظاً وباليقين غنى ، وبالعبادة شُغلاً » .

- واعلم : أنه وإن كان هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى ، فأعظم منه الغفلة عنه ، والإعراض عن ذكره ، وقلة التفكير فيه ، وترك العمل له ، وأن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر .

٢٩ - وفي خبر مروي عن النبي عليه السلام : « لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمياً » (٢٢) .

ويروى أن رجلاً من الأغنياء نزل به داء في وجهه فعجز أطباء بلاده عن معالجته ولم يجدوا سبيلاً إلى شفائه ، فخرج يضرب في الأرض ويحترق البلاد يطلب علاجاً لدائه وفرجاً لبلائه فدل على طيب حاذق ببلاد الهند فقطع إليه المفاوز البعيدة ، وركب إليه البحار المخطرة واللجج الهائلة ، حتى وصل إليه بعدما كاد ،

(٢٢) * خبر أنه - ﷺ - قال : لو أن البهائم تعلم من الموت ... الحديث
« ضعيف » أورده في « الإحياء » (١٠٥/٦) قال العراق رحمه الله : « البهقي » في « الشعب » من حديث أم حبيبة الجهمية (١ هـ . وسكت عليه
وأقول : إنه ضعيف جداً انظر « ضعيف الجامع » (٤٨١٣) وانظر أيضاً « السلسلة الضعيفة » رقم (٤٣٥٣) .

فدخل عليه فوجد رجلاً ملقى على فراشه جلدة على عظم فسلم عليه ، فأحسن الرد ، وأظهر البشر ، وسأله عن حاله ، ومن أى البلاد هو ، وما الذى جاء به ، فأخبره خبره فإنه إنما جاء يلتمس معالجة دائه . فقال له : كم معك من المال ؟ وما جئت به من البضاعة ؟ فأخبره فقال له : آخذ منك نصف ما عندك وأعالجك حتى تستريح . فأجابه إلى ذلك ودفع إليه نصف ما عنده فعالجه ولاطفه حتى ذهب عنه الألم وجميع ما كان يوجبه ولم يبق فيه شيء إلا أن موضع الداء بقى أسود دون ألم يجده فيه فقال له : قد برأ داؤك وذهبت علتك ، وقد استوجب ما أخذته منك . فقال له : أيها الفاضل أنا رجل بعيد الداء أو ما ترى الموضع قد بقى أسود مخالفاً لونه لوني وكيف يكون هذا البرء وكيف تكون هذه الصحة وكيف تستوجب ما أخذته مني ؟ فقال له : لم أشاركك على نقاء اللون وبياض البشرة وإنما شارطتك على ذهاب الألم وحسم الداء ولست أنظر لك فيما تريده من إزالة هذا السواد إلا أن تدفع إلى النصف الثانى من مالك . فقال له : أيها الفاضل أنا غريب بعيد الدار نائى الأهل وإذا دفعت إليك النصف الثانى بقيت منقطعاً عن أهلى ووطنى فقيراً بأرض غربة عالة على من لا يعرفنى . فقال له : لا بد لك من أن تعطينى ما قلت لك وإلا لم أنظر لك فى شيء مما تريد . فلما رأى الرجل أنه لا يجيبه إلى معالجته والنظر فى أمره حتى يعطيه ما سأل أجابه إلى ما أراد ، ودفع إليه النصف الثانى ، فعالجه حتى ذهب عنه سواده فلما برىء قال له : أبقى لك شيء ؟ فقال : لا . قال : فاستوجب ما أخذت منك ؟ قال : نعم . فقال له : يا هذا إلى لم آخذ مالك رغبة فيه ولا لأستأثر به دونك ولكن أردت أن أعرف مقدار نفسك عندك وأيهما أحب إليك المال أم هى وقد رأيت ، هذا كله مردود إليك ، لا والله لا آخذ منك شيئاً ، ولا درهماً واحداً . فرده عليه ثم قال له : ما نحللتكم التى تنتحلون ؟ وما شريعتكم التى بها تتشرعون ؟ فقال له : نحن قوم مسلمون . فقال : وما مسلمون ؟ قال : نحن أمة محمد قال : وما محمد ؟ قال : رجل من العرب ثم من قريش بعثه الله إلينا رسولاً ، واختاره صفياً أميناً ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وذكر لنا أن بين أيدينا يوماً تبعث فيه الأصوات ، ونجازى فيه بالسيئات والحسنات . قال : وكيف أنتم فى اتباعه ؟ قال : إنا نسلك فى غير هديه ، ونترك كثيراً من أمره . قال : والله يا هذا ما أقول كما تقولون ، وما ردنى كما ترى جلدة على عظم إلا الفكرة فى الموت خاصة وفيما هو ، فكيف لو

قلت كما تقولون من بعد الموت من الحساب والعقاب والجزاء والثواب ؟ ما رأيتم بأقل عقولاً منكم . ثم دفع إليه ماله وانصرف . حدثني بهذه الحكاية أبو عمر الشريف رحمه الله . وهذا الكلام الأخير منها في ذكر الموت وغيره .

[وأنشدوا :]

عجبت لمن يبكي رسمَ دارٍ عفت آياتها أو سمر ظعن .
ويترك نفسه يبكي علمها وقد جبلت على صعب ووهن .
وقد صاح الحمام بها احبسي من وقهم ويلك ذا التاني .
ومن بعد الحمام له حديث يريه من العجائب كل فن .
حديث ما حديث ما حديث يبين له اليقين من التظنى .
وعمر ينقضى في غير شيء ولكن في المحال من التمنى .
وتعذلى لأن أرسلت دمعاً على وجنات ذى خير وغبن .
ألا يا حاج والبلوى ضروبا ودعتك للذى تهوى .
إذا أنا لم أبك ذهابَ عُمرى فمن هذا الذى تبيكه عيني ؟!

ولعلك تقول : لو أنى قصرت أُملى كما تريده منى وقصر ذلك أمله وذلك أمله وقصر الناس آمالهم تركوا صناعاتهم وأسباب معيشتهم فخربت الأرض وهلك الناس وفسد هذا العالم .

فأقول : نعم صدقت لو قصر الناس آمالهم بحيث يتركون صناعاتهم والنظر في معيشتهم وعمارة دنياهم واجتمعوا على ذلك لكان ما قلت ، ولكنهم لا يفعلون ، وليس بتقصيرك أنت أملك يقصر الناس آمالهم ولا يزهدك أنت في الدنيا يزهد الناس كلهم فيها فلا تبكه هذا ولا تشغل نفسك به ، ولا يمنعك ذلك من تقصير أملك ، ولا من زهدك وإصلاح عملك ، وعليك نفسك فعنها تُسأل ، وبالواجب عليها تطلب ، وليس تقصيرك أملك بالذى يمنعك أن تطلب رزقك ، وأن تشتغل بإصلاح معيشتك وتربية ولدك ، إلى غير ذلك من جميع منافعك ، بل تقدر أن تجمع بينهما ، وذلك أن تنظر - بمعونة الله عز وجل وتثبيتته إياك - سبب معيشتك ، فإن كان مما يتكرر كل يوم عملت فيه يومك ، وأخذت منه قوتك ، ولم تعول على أنك تعيش

غداً ، بل أصبحت غدا عملت كذلك أيضاً وكذلك إن كان سببها مما يتم بعد أيام كثيرة ، أو يكون مما تنظر فيه السنة كلها كالزراعة ونحوها ، ما نظرت فيه على كماله ولم تعول على أن تدرك آثاته وأن تبلغ وقته ، فإن بلغته كان الذى أردت ، وإن اخترمتك المنية دونه كان ما عملت منه معونة لغيرك ، وتمهيداً لمن يأتي من بعدك ، فتقدر أن تعمل السبب الذى تكون فيه معيشتك كما وصفت لك ، وتقصر أملك عن تمامه ، [سواء] كان السبب مما تعمل فيه سنة أو يوماً أو أقل ، وكذلك سائر الناس ولو كانوا هكذا لما هلكوا ، ولا خربت الأرض ، ولا قبر هذا العالم كما قلت ، لكنه كان يقل فرحهم بالدنيا وسعهم لها واغترباطهم بها ، وكانوا يتركون تشييد البنيان وتنقيده وزخرفته وتنحيه ، ويدعون التأنق فى ملابسهم ومراكبهم ، إلى غير ذلك من جميع أمورهم ، ويختارون من الدنيا ما أمكن ، ويأخذون منها ما ييسر ، ويقتصرون على ما يُبلغ ، فتقل تبعثهم ، ويهون حسابهم ، ويخرجون من الدنيا خفافاً ، يقدرّون على قطع عقبات الآخرة ، وسلوك طرقها الضيقة ، وسبلها الشاقة ، ويسهل عليهم الأمر هنالك ، وأما قصر الأمل حتى تُترك الصناعات وأسباب المعيشة فإنما يصح فى ذلك بعض الأشخاص ، وفى القليل من الناس ، فإنه إن فعل ذلك قام غيره بمؤونته ، ونظر له سواه فى معيشته ، سنة الله عز وجل مع المتوكلين ، وعادته مع المنقطعين ، ويبقى أولئك مع آمالهم والنظر فى أعمالهم ، فإن الأمل رحمة من الله تنتظم بها أسباب المعاش ، وتستحكم بها أمور الناس ، ويتقوى به الصانع على صناعته ، والعابد على عبادته ، وإنما يذم من الأمل ما امتد وطال ، حتى أنسى وألهى وحط عن صالح الأعمال .

٣٠ - يروى « أن الله عز وجل لما مسح ظهر آدم فاستخرج ذريته قالت الملائكة رب لا تسعهم الأرض قال تعالى : إني جاعلٌ موتاً . قالت لا ينهمهم العيش - قال : إني جاعلٌ أملاً » .
- وقال الثورى : « بلغنى أن الإنسان خلق أحق ولولا ذلك ما هناه العيش » .

- ويروى أن عيسى عليه السلام « كان جالساً وبين يديه شيخ يعمل بمسحاة فى أرض له ، فنظر إليه وقال : اللهم انزع الأمل من قلبه فطرح الشيخ المسحاة وقعد . فقال عيسى عليه السلام : اللهم رد عليه أمله فقام الشيخ إلى

مسحاته ورجع إلى عمله . فدعاه عيسى عليه السلام فقال : أيها الشيخ لم طرحت مسحاتك ثم رجعت إليها ؟ فقال يا روح الله بينا أنا أعمل بمسحاتي إذ قلت في نفسي وإلى متى هذا العمل وإلى متى هذا التعب ولعل الموت يأتي في هذه الساعة ، فطرحت المسحاة وقعدت ، فبينما أنا قاعد تفكرت في نفسي وقلت ولعل الموت لا يجيئني في هذا الوقت ، وأنا أحتاج إلى قوت يقيمني ، وغذاء يمسك بنيتي ولا بد من العمل ، فقممت إلى مسحاتي ورجعت إلى عملي » (٢٣) .

٣١ - وقال مطرف بن عبد الله « لو علمت متى أجلى لحشيت ذهاب عقلي ولكن الله من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة عنه ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق » (٢٤) .

٣٢ - وقال الحسن : « الغفلة والأمل نعمتان عظيمتان على ابن آدم ولولاها ما مشى المسلمون في الطرق » (٢٥) يريد لو كانوا من التيقظ وقصر الأمل وحرب الموت بحيث لا ينظرون في معاشهم ، وما يكون سبباً لحياتهم لهلكوا » وكذلك أراد مطرف رحمه الله .

٣٣ - ويروى أن الفضل بن فضالة : « سأل ربه أن يرفع عنه الأمل فاستجاب له فترك الأكل والشرب ولم تستقم له عبادة فدعا ربه أن يرد عليه أمله فردَّ عليه فرجع إلى طعامه وشرابه » .

٣٤ - وقال سعيد بن عبد الرحمن : « إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها » يريد أن لقلة عقولهم انصرفت همهم عن الآخرة وأقبلت على الدنيا فعمروها واشتغلوا بها .

واعلم رحمك الله أن تقصير الأمل مع حب الدنيا متعذر ، وانتظار الموت مع الإكباب عليها غير متيسر ، فإن حب الدنيا هو سبب طول الأمل فيها ،

(٢٣) (قوله) ويروى أن عيسى - عليه السلام - كان جالساً وبين يديه شيخ .. إلخ - زاد في « الإحياء » « يثرها الأرض » الإحياء (١١٣/٦)

(٢٤) (قوله) : وقال مطرف إلخ الإحياء (١١٣/٦) .

(٢٥) (قوله) : وقال الحسن . « الغفلة والأمل » الإحياء (١١٣/٦)

والإكباب عليها يمنع من الفكرة في الخروج عنها ، والجهل بغوائلها وعواقبها يحمل على الإرادة لها ، والازدياد منها ؛ لأن من أحب شيئاً أحب الكون معه والازدياد منه ، ومن كان مشغولاً بالدنيا محباً لها حريصاً عليها قد خدعته بزخرفها وأمالته برونقها وسحرته بزيتها كيف يريد مفارقتها ؟ أو كيف يحب مزايلتها ؟! هذا أمر لم تجر العادة به ولا حُذِّثنا عنه . بل تجد من كان على هذه الصفة أعمى عن طريق الخير ، أصم عن داعي الرشد ، أهل الرأي ، مسيء النظر ، ضعيف الإيمان ، لم تترك له الدنيا بما يسمع به ولا ما يرى الحقائق بواسطته ، إنما دينه وشغله وحديثه دنياه ، لها ينظر ولها يسمع ، ولها يعطى ، ولها يأخذ ، قد ملأت عينه وقلبه وأذنه .

كما قال القائل :

ملأت قلبه غرورا وفتنة وأصمت عن الحقيقة أذنه .
ورمت عينه يزمة سحر طمستها مما يرى ما .
لم تدع فيه مطمئنا لسواها فهوها لديه فرض وسنة .
أى خرافة تعلق منها اثها اثها وبائه بائه .
فاطرحها وما أخالك إلا مثله فالكلام سعر وجنة .

فتجده قد طول أمله ومد المسافة بين يديه ، فإن كان شاباً قال : أنا صغير والأيام بين يدي دائرة حتى أبلغ ستين سنة أو سبعين سنة ، وأنا محتاج إلى الزوجة ، والزوجة تحتاج إلى كذا وكذا ، وإذا كانت الزوجة كان الولد ، وكانت البنت ، واحتاج الولد إلى كذا وإلى كذا ، واحتاجت البنت أيضاً إلى كذا وإلى كذا ، وهذا كله إنما يكون بالمال ، فإن لم يكن لى مال لم أصل إلى مرغوب ، ولم أظفر بمطلوب ، فإن قعدت عن الطلب احتجت إلى الناس ، وإذا احتجت إلى الناس اُحتقرت واستُخِفَّ لى وجُهِلَ قدرى .

كما قال القائل :

والمرء لا يصغر مقداره إلا إذا احتاج إلى الناس

وترى فلاناً قد كسب وجمع ، وتزوج وتمتع بالمراد ، ووصل إلى ما أراد ، وفلان كذلك وفلان كذلك . ولا يقول ترى فلاناً كان شاباً مثلي وأراد ما أردت ، وسعى فيما سعيت ، فمات قبل أن يصل إلى إرادته ، واختطف قبل أن يحصل على طلباته ، ولا يقول ترى فلاناً طلب واجتهد ، فلما اجتمع له ما اجتمع سُرِق منه أو عُدى عليه فاغتصب ، أو عطب في رجوعه إلى بلده وانصرافه إلى وطنه فمات في عطبته ، وهلك في نكبته ، أو خرج محروماً مسلوباً فقيراً خسيراً . وترى فلاناً كذلك وفلاناً كذلك إنما يعرض على نفسه ويجري على « خاطره من بلغ إلى إرادته ، ووصل إلى أمنيته ، لأن ذلك هو الذى غلب على قلبه ، وشغف بحديثه ، فتراه يسعى ويرغب ، ويحرص ويطلب ، ويزجر ويكرب ، في حدود وصعود ، وطلوع وهبوط ، آناء الليل وآناء النهار لا يقرُّه قرار ، ولا ترضيه في أكثر الأوقات دار ، كلما فرغ من شغل أخذ في آخر ، فيما يحتاج إليه ومالا يحتاج إليه ، بل لا يفرغ من شغل إلا وقد عرضت له أشغال ، ولا يصل إلى أمل إلا انبعثت له آمال ، فيمضى نفسه بالأمانى الباطلة ، ويحدثها بالأحاديث الكاذبة ، فإن وصل إلى حظ من المال ونصيب وافر من الكسب - مما يمكن أن يعيش به عمره كله أو طعن في السن - وقيل له يا فلان أرح نفسك ، وودع جسمك ، وهذا الذى عندك يكفيك . قال لا تقل هذا يا أخى ، الليل والنهار بين يدي ولا يكفهما قليل ، ولن يدوما على أجر إلا أذهبا ما في يديه ، وأخذ ما كان عنده ، ولا تدري ما يكون ، والآفات كثيرة ، والأمراض متوقعة ، والحاجة إلى الناس صعبة ، ولاسيما مع الكبر ولاسيما إن كان الأهل والولد ، فيقيم العذر لنفسه ، ويطلب لها الحجة ، ويوجدُها الدليل ، ويصحح لها بزعمه التأويل .

فإن ذُكِّرَ بالموت أو حُدِّثَ بموت إنسان قال إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله إنا لفى غفلة ، والله إنا لفى غرور ، والله إن هذه لمصيبة ، لا يدري الإنسان متى يُخترَم ، ولا متى يختطف ، ولا متى تفجؤُه المنية ، ويحل به هذه الرزية ، وتنزل به هذه المصيبة . هكذا قولاً بلا فعل ، وكلاماً بلا نية ، ولو كان عن صدق نية وصحة إرادة لظهر ذلك عليه ، وبدت مخائله منه .

وربما وعد نفسه ومناها ، وطمعها في التوبة ورجاها ، وقال لو جئت من هذه السفرة ، أو لو بنيت هذه الدار ، أو لو جمعت ما كان لي متفرقاً ، أو لو جهزت هذه البنت ، أو هذا الولد ، وأدخلته بيته ونظرت له فيما يعيش لتفرغت للنظر لنفسى ، وقدمت ما أجده في رُمسى ، وكنت من دارى إلى مسجدى ، ومن مسجدى إلى دارى ، لا أنظر في شيء ولا أشتغل بشيء . فإن جاء من سفرته تجهز لغيرها ، وإن فرغ من بنيان داره نظر فيما يصلح لها ، وإن جمع ماله نظر في تفريقه في الوجه الذى ينميه ويزيد فيه ، وإن جهز ولداً بقى له آخر ، وإن لم يكن له أحد قال ما تريد ؟ تريد أن آكل ما عندى وأرجع إلى ولدى حتى يطعمنى ويكسونى ويعولنى ؟ لا يكون هذا أبداً ، الموت في القفار ولجج البحار أهون على من هذا . فهو هكذا أبداً لامع المال ولا داون المال ، ولا مع الولد ولا داون الولد ، يحدث الناس عن الأموات ولا يحدث نفسه بأنه يموت ، ويشيع جنازتهم ولا يتخيل أن جنازته تشيع ، ويقدر العيش الطويل ولا يقدر الموت القريب ، قد غلب عليه السهو ، وأطبقه الجهل ، ومدت عليه الغفلة طرق الإنابة ، وصرفت عن أسباب الفكرة وكم رأى من إنسان قد أعد ثوباً ليلبسه فكان كفته ، وكم رأى من يبنى داراً ليسكنها فكانت قبره ، وكم رأى من آخر كان يحب الولد ويشتهي ، ويتضرع إلى الله عز وجل ويرغب إليه فيه ، فلما أعطيه ومن عليه به جمع عليه الرجال ، وأنفق عليه الأموال ، وقال العقيقة سنة ، والنفقة فيها حسنة ، وربما كانت نفقته إلى الإسراف أقرب ، وإلى التبذير أميل ، وربما كانت نفقته للمناكير وسلماء لبعض المعاصي ، على رؤية منه ومشاهدة لذلك ، كما جرت العادة في الأعزام والولائم والاجتماعات ، فيجعل الإسراف شكراً لتلك النعمة ، والمعصية جزاءً لتلك المنّة ، ولعل الولد يموت بعد ذلك بأيام ، أو بأشهر أو بأعوام ، أو يعيش فمضى فيه من الأمراض والأسقام ، وأنواع الابتلاء والامتحان ، ما يود معه أنه هو لم يكن ، فكيف ولده ؟!

هذا أمر مشاهد بالعيان وموجود بالبرهان ولعله إن شب وبلغ فيه الأمل ، ورأى له من العمر ذاك الذى كان يؤمل ، صار له أعداء الأعداء ، وكان منه أبعد البعداء ، كما قد سمع بجماعة قتلهم أولادهم ليستعجلوا ميراثهم ، أو لينتهى إليهم الملك بعدهم ، ونعوذ بالله من أمر لا يستخار الله فيه ، ولا يرد إليه عند تمنيه .

وكذلك إن كان صاحب تجارة في سوقه وملتزمًا في دكانه ، إنما هو من الحانوت إلى الدار ، ومن الدار إلى الحانوت ، من الصباح إلى المصباح ، ومن البكرة إلى آخر الرواح ، وإن كان ممن يصلى في السحر ويكثر التعاهد له قل ما يخلو فيه مع ربه ، ويتنصل من ذنبه ، إنما هو في الحديث مع فلان والضحك مع فلان ، والسؤال عن أحوال الإخوان ، وما جرى في البلدان ، وما أنفق في القديم من الأزمان ، وربما أخرجه ذلك إلى الغيبة وكثير من البهتان ، وكذلك صاحب الصنعة .

والضعيف من الحرفة إنما هو في كد وعناء ، وتعب وشقاء ، ونصب وبلاء ، كده وجهده ولذته وأمنيته أن يكسو ظهره ، ويُسبِّع بطنه ، أو يقوم على عيال أو يغذو أطفالاً ، مع شكائهم لربه ، وتسخط لحكمه ، وتبرم بقضائه وقلة صبر على بلائه ، ولا يحدث نفسه بموت ، ولا يخطر بباله زوال ، ولعله إن ذكر الموت إنما يذكره متمنياً ، ليرى من ذلك العذاب العاجل الذى عذب به ، وذلك البلاء النازل الذى نزل عليه ، وشغله ما لقي في الحال عن النظر في المآل ، وعن التزود من صالح الأعمال ، فلا من أبناء الدنيا المنعمين ، ولا من طلابها المدركين ، ولا مع الصابرين الراضين الحامدين الشاكرين .

ولا يزال كل واحد من هؤلاء على حاله مواظباً ، ولما هو فيه ملازماً ، حتى يموت على ما هو عليه ثم يبقى في البرزخ على ما كان عليه ، ثم يبعث على ما بقى عليه في البرزخ ، أو تتغمده الرحمة ، وتتغشاه المنة ، فينقذه ربه تعالى من هذه الغمرات ، ويأخذ بيده في هذه الهلكات ، ويجعل له نوراً يمشى به في الظلمات ، على ما يرجى من مشيئته وفضله ، لا رب غيره ولا معبود سواه .

وربما كان الرجل مبخوتا من أول عمره إلى آخره ، فيولد في نعمة ويترى في نعمة ، وينشأ في نعمة تمد عليه ظلالها ، وتطول من خلفه أذيالها ، ويجود عليه في كل حين إسعادها وإقبالها ، قد صار لوالديه ديناً ودنيا ، فله يقومان وله يقعدان ، وله يهتمان وله يجمعان ، وبعينه ينظران ، وبأذنيه يسمعان ، ثم يموتان ويسلمان له تلك النعمة بكما لها ، ويتركانها له على حالها ، لم يسمع له فيها أنين ، ولا عرف له فيها جنين ، فيبقى هو على ما كان عليه ، يمد في تلك النعمة يديه ورجليه ، ويفتح لها عينيه وأذنيه ، فما شئت من لذة تنال في الحال وأخرى تنتظر في المآل ، كلما نال لذة

سعى في أخرى ، وكلما وصل إلى مطلوب نظر في غيره ، لم يصحب إلا شكله ، ولم يسمع إلا قوله ، ولا رأى إلا عمله وفعله ، فإن ذُكِّرَ بالتوبة أو خُوفَ بالموت ، قال دعنا من هذا وحدثنا في غير هذا ، هذه سنوات الصِّبا وأيام الشباب ، ومنارل اللذات ومرتع الأحباب .

كما قال القائل فيه وفي أمثاله :

قال أموت أخاف من سالنا ثم سعى يطلب أمثالها .
وواقع الذنب فما هاله والباذخات الشم قد هالها .
وقال هذه سنوات الصبا فاسحب على رسلك أذيالها .
وقم إلى خاتم حرب المنى ففضه واشتف جزياً لها .
ومن يقل في شأننا قولة فخلها في فم من قالها .
أما ترى القضبان ميالة فأمرد على رأسك ميالها .
ومر فيستهتر في عصابة من شكلة تصحب أشكالها .
أولى له ثمت أولى له وتلكم العصابة أولى لها .
يا ويحه من غافل يا له وتلكم العصابة يا ويحها يالها .

يقول وإذا كبرت تبت ، وإلطلق ممتد والميدان عريض . ولا يرى هذا أنه قد شيع إلى الآخرة من كان أصغر منه ميتاً ، وأحدث بالرحم منه عمراً ، قد عزته الشيبة ، وخدعته الصحة ، وتمكنت منه الغرة ، بما عنده من الثروة والقوة ، يقول أنا صحيح ومتى أمرض ومتى أموت ، ولا يرى المسكين أن الموت في الشباب أكثر ، وحادثه إلهم فيه أسرع ، وإن الإنسان يموت بغتة وإن لم يمت بغتة مرض بغتة ثم مات .

٣٥ - كما يروى إن الحسن قيل له إن فلاناً مات بغتة فقال : « ما يعجبكم من ذلك لو لم يمت بغتة لمرض بغتة ثم مات » .

أما يعلم هذا البائس أن الأرض كلها مكان للموت ، وأن الزمان كله وقت للموت ، فلا يختص بمكان من الأرض دون مكان ، ولا من العمر بوقت دون وقت ، فلا يزال هذا المغرور مكباً على شهوته ، مثابراً على لذته ، غافلاً عن يوم صرعته ، حتى يؤخذها ، بما تأخر وما تقدم ويلقى صريعاً لليدين

وللفم ، إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم ، تبكيه بواك طال ما من حبها
أبكته ، وتندبه نواذب طال ما قبل ذلك غنته .

وفى مثل ذلك قيل :

تندبه نادبة طال ما غنته من قبل وغنى لها .
ولم يكن يخطر ذا باله ولم يكن يخطر ذا بالها .

فانظر - رحمك الله - كيف يقصر مع هذه الأحوال أمل ، أو يستقيم معها
عمل ، أو كيف يطمع مع هذه المواقع أن يخرج حب الدنيا من القلب ، أو تنقطع
علائقها عن النفس ، أو يخطر بالخاطر ذكر الموت ، كلاً حب الدنيا في القلب
أرسخ ، وإخراجها منه أصعب ، والنفس إليها أميل ، وهى بها أشغف ، وفى طلبها
أهلك وأتلف ، وعن طريق الرشd أبعد وأصرف ، وإن حب الدنيا هو الداء العضال
الذى أهلك الرجال ، وأفسد كثيراً من الأعمال ، إلا أن تأتى العناية الإلهية ،
والشفاعة الربانية ، فتصرف الإنسان إلى النظر الصحيح ، وتحمله على الطريق
المستقيم ، فترى بعين الحقيقة وصحيح البصيرة أنه لا بُدَّ له من الموت وإن طال المدى
وامتد الطلق وبعدت الغاية ، وأنه سيصير تحت أطباق الثرى ، ويرمى به فى ظلمات
الأرض ، ويسلط الدود على جسده ، والهوام على بدنه ، فتأخذه من قرنه إلى قدمه ،
قد عدم الطبيب وأسلمه الحبيب ، وتركه الولي والقريب ، وعرض عليه عذاب
السعير ، وأتاه منكر ونكير ، ولم يجد هنالك أنيساً إلا عمله ، ولا صاحباً إلا فعله
الذى فعله .

كما قال القائل :

أسلمنى الأهل بيطن الثرى وانصرفوا عنى فيا وحشتا .
وعاد دونى مغرمًا بائساً ما يبدى القوم إلا البكا .
وكل ما كان كأن لم يكن وكل ما حذرته قد أتا .
وذاكم المجموع والمقتنى قد صار فى كفى مثل المها .
ولم أجد لى مؤنساً ها هنا غير فجور كان لى أو .
فلو ترائى وترى حالتى بكيت لى يا صاح مما ترا .

وأما الدنيا فينظر إليها فإن كان ملكاً نظر إلى من تقدمه من الملوك وماذا فعل الدهر بهم ، كيف فرق جموعهم ، وشتت جميعهم ، وأفقر منهم قصورهم ، وعمّرهم حفرهم وقبورهم ، وينظر إلى أيام ملكه هل يخلو من عدو يكابره ، أو منازع يكابده ، أو قتال يكافحه ، أو مرض يهجم عليه ، أو خلط سوء يثور معه ، وأنه كما قيل تمره يخمر ، وإن نال لذة تجرع بعدها غصة ، وإن أتته فرحة غشيتها ترحه ، بل ربما كانت الترحات أكثر من الفرحات ، والداهية أكثر من الصافية ، وكلما عظم ملكه ، عظمت همته وامتد أمله ، وأراد مالا يمكن ، وطلب مالا يجد ، وقد يأتيه النكد من حيث لا يظن ، ويدخل معه الهم من حيث لا يحتسب ، ولو من جارية يحبها وامرأة يشغف بها ، فيجعلها قبلته ، ويصفى لها مودته ، ويخلص لها محبته ، ويريد منها مثل ذلك والقلوب قد تتنافر ، والمزاج ربما يختلف ، والطباع قد لا تتفق ، فيرى منها خلاف الذى يريد ، ويجد عندها غير الذى يطلب ، ولا يقدر على معاقبتها ، فإنه إن عاقبها إنما يعاقب نفسه ، وإن آلمها إنما يؤلم قلبه ، فتجده يتحمل منها مالا يتحملة منه بعض رعيته ، فيينا هو ملك إذ صار مملوكاً ، وينا هو رئيس قد عاد رؤساً ، كما قد سُمع وتُحَقِّق عن بعض الملوك حتى قال أمير المؤمنين هارون الرشيد وقصته مشهورة :

ملك الثلاث الأنسات عنانى وحلقن من قلبى بكل مكان .
مالى تطاوعنى البرية كلها وأطيعهن وهن فى عصيانى .
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قوى أعز من سلطانى .

وقد تكون صادقة فى محبتها مخلصه فى مودتها فيتهمها فى وداد [ها ، ولا] يصدقها فى إخلاصها ، لشدة كلفه بها وفرط محبته لها ، لأنه يتخيل أن عيشه لا يطيب وسروره لا يتم وفرحه لا يكون إلا بأن تخلص له المودة من قلبها ، وتجبه من ذات نفسها . وقد تكون له كما يريد فيخلع عنانه معها ويستوى سروره بها ، فيصاب فيها بمرض أو يفجع فيها بموت ، فيعود الفرح حزناً والسرور مأتماً .

٣٦ - كما روى فى قصة « أن يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين كان مشغولاً بجارية . يقال لها حبابة كانت قد ملأت قلبه وأطاشت عقله وأذهبت لبه ، ونزلت من نفسه حيث أرادت وحلت منه بالحل الذى شاءت ، وكان قد نزل منها

بالمكان الذى نزلت منه ، فقال يوماً لحاجبه : لا تأذن اليوم على لأحد ولا تخبرنى بخبر ولو كان فيه ذهاب ملكى . وخلا بجاريته تلك فى مجلس أنسه ومقام سروره ومعه من الدنيا ما يكون مع مثله ، فبينما هما على ما اشتها إذ أخذت حبة رمان فأدخلتها فى فمها فشرقت بها فتخبطت حتى خرجت روحها بين يديه ، فلا تسأل عن حال يزيد وما طرأ عليه وما حل به . فقد الصبر والعقل وتوله وتحمر وتدله ، وأكثر الصراخ والبكاء والصياح والعجيج والضجيج ، ومنع من دفنها وصد عن مواراتها وأقامت على ذلك أياماً حتى تغيرت وتنتنت ، فاجتمع إليه بنو أمية وعزوه فيها وصبروه عليها وسألوه فى دفنها وقالوا له : يا أمير المؤمنين هذه فضيحة بنا ، وسبة علينا وأى فائدة لك فى تركها وكم عسى أن تبقى على هذه الحالة وكم عسى أن تدوم على هذه الصفة . ولم يزالوا به ، وكلمه النساء ممن يكرم من أهله وسراريه ، إلى أن أمر بدفنها وخرج فى جباتها على رجله ولما دفنت تمثل على قبرها ببيت :
جنيتها .

وكل خليل رآنى فهو قائل من أجلك

هذاها مت اليوم أو غد

ثم أخرجها من قبرها بعد شهر وجعل يعانقها ويقبلها فاجتمع عليه أهله وبنو عمه من بنى أمية وقالوا : ما هذا يا أمير المؤمنين والله لمن سمع بهذا لتخلص من ملكك ولينتقص عليك أمرك وليقومن فى مقامك غيرك فأقصر عن ذلك الهيام وسكن من ذلك . ثم لم يزل واجباً عليها محزوناً بموتها إلى أن مات ولم يعيش بعدها إلا يسيراً ، وغيره كذلك وغيره وغيره .

وكذلك إن لم يكن ملكاً وكان قديراً أو غير ذلك من الناس ، وصفاتهم فى تقلب الدنيا بهم معلومة ، وأحوالهم فيها مشهورة ، كل واحد منا يعلم هذا من نفسه ويراه من غيره ، وأنه ليس من إنسان إلا وله شرب من [الغم] ونصيب من الهم ، يقل عند إنسان ويكثر عند آخر ، فإذا أخذ نفسه هذه الأفكار ، وعرض عليها هذا الاعتبار أعرض عن الدنيا ولم يلتفت إليها ولا شغل نفسه بها ، وتذكر الموت وخاف فجأته ولم يأمن بغتته ، ولم

يسمع إلا وجبته ، ولا رأى إلا [أخذته] وصرعته ، والله تعالى ولى التوفيق بفضله وطوله .

واعلم رحمك الله أن من كان منتظراً العقاب ينزل به من أمر فلذته أو عظيم قربته فإنه لا يزال متألم القلب مشغول النفس وبحسب النوع الذى يخاف من العقاب يكون ألم قلبه وشغل نفسه ، فإنه من توعده الأمير بأن يضربه مائة سوط يكون أشغل سواء ممن توعده بأن يضربه عشرة أسواط . ومن توعده بأن يقطع جارحة من جوارحه كان أكثر توجعاً ممن توعده بأن يضربه مائة سوط . ومن توعده بأن يضرب عنقه كان أشد خوفاً ممن توعده بأن يقطع بعض جوارحه . وكذلك من توعده بأن يجعل عليه أنواع العذاب ويعاقبه بضروب من العقاب حتى يموت تحتها وتخرج نفسه بها كان أعظم جزعاً ممن تواعده بضرب عنقه ، هذا هو المتعارف . فإن وُجد لإنسان يختار تطويل العذاب ويهون عليه رعبه منه فى الحياة ما بين موته بالعذاب وسرعة موته بالسيف فهذا رجل قد غلب عليه الجزع وملك قلبه الهلع فأطاش لبه وأزال عقله حتى منعه من حسن النظر وأوقعه فى سىء الاختيار ، وما منا أحد إلا وقد تُوعِد بالقتل لأن الموت قتل فى الباطن ألا ترى أنه يقال : قتل فلان فلاناً ، فيقال : بم قتله ؟ فيقال بسيف أو بسكين أو بحجر أو خنقه أو غرقه أو بغير ذلك من أنواع القتل والموت كالخنق فهو إذا قتل من القتلات وإنما جرت العادة بأن يقال قتل فلان إذا قتله مخلوق وقد يقال قتل الله فلاناً وهو قد مات من علة أو مات بغتة ولم يكن للمخلوق فى ذلك فعل فقد بان لك إذا أن كل واحد منا ينتظر القتل ولا فرق بين أن يشب عليك إنسان بسيف أو بسكين أو حجر أو غير ذلك فيقتلك أو يشب عليك ذلك الموت فيقبض روحك . فلو كُشف للناس عن أبصارهم فرأوه حين يشب عليك وشاهدوه فى الباطن حين يأخذ روحك لما كان بينه وبين إنسان يقتلك فى الظاهر فرق ، إلا أن الإنسان يحتاج إلى آلة يقتلك بها من سيف أو سكين أو غير ذلك والمَلَك لا يحتاج إلى شيء من ذلك فإن أخذك إنسان وروعك وحبسك للقتل وهددك ثم قتلك فاجعل ذلك الألم الذى تجده من حبسه وترويعه وتهديده كالذى يصيبك من المرض أو مما كان من العلل قبل الموت ثم تموت ومعلوم أن من الأمراض ما يقوم أَلَمُه مقام التهديد

والوعيد بل منها ما هو أشد وأشق كوجع الاحتقان ووجع الخصى وغيرها ، وقد شوهده من الناس من مات من وجع الخصى ووجع الاحتقان ، وليس القتل الذى هو الضرب بشيء على يد مخلوق ولا ما يكون على غير يد المخلوق كالهدم والفرق والحرق وغير ذلك مما يزيد فى شدة الموت ويكثر من ألمه ووجعه لأن هذه كلها أسباب للموت والموت شيء آخر وهو أمر إلهى ينزل بالروح لا يعلم حقيقته إلا الذى ينزل به .

قال أبو حامد - رحمه الله- : « اعلم أن شدة الألم فى سكرات الموت لا يعرفها على الحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذوقها فإنما يعرفها إما بالقياس على الآلام التى أدركها وإما بالاستدلال بأحوال الناس فى النزاع على شدة ما هم فيه فأما القياس الذى يشهد له هو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم فإذا كان فيه الروح أحس ، فالمدرك للألم هو الروح فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسرى إلى الروح يتألم والمؤلم [إذا] لم يتفرق على اللحم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم ، فإن كان فى الألم ما يياشر نفس الروح ولا يلاق غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده . والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشرة فى أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذى يجده إنما يجده فى جزء من الروح يلاق ذلك الموضع الذى أصابته الشوكة ، وإنما يعظم أثر الإحراق لأن أجزاء النار تغوص فى سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحرق ظاهراً ولا باطناً إلا وتصيبه النار ، فتحس به الأجزاء الروحانية المنتشرة فى سائر أجزاء اللحم ، وأما الجراحة فإنما تصيب الموضع الذى يمسسه الحديد فقط ، فكان لذلك ألم الجروح دون ألم النار . فألم النزاع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفصل ومن أصل كل شعرة [وبشرة]^(٢٦) من [القرن]^(٢٧) إلى القدم ، فلا تسأل عن كربته وألمه حتى قالوا : إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض

(٢٦) (قوله) : قال أبو حامد... ،... [وبشرة] : ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من نسخ أخرى .

(٢٧) [القرن] : ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من النسخ التى قابلناها بالمعتمد عليها والمقصود بالقرن

الرأس [الوسيط (٢/٧٣٠)]

بالمقاريض ، لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح ، وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوة في قلبه وفي لسانه ، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتضاعف على قلبه شدة ألمه وغلب على كل موضع منه فهدّ كل جزء وأضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة أما العقل فقد [غَشِيَهُ]^(٢٨) [وَشَوَّشَهُ]^(٢٩) وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد أضعفها ويود أن لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك ، فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبه خواراً وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه وارْبَدَ حتى كأنه ظهر منه التراب الذى هو أصل خلقته ، وقد جُذِبَ منه كل عرق على سبيله فالألم منتشر في داخله وخارجه ، حتى ترتفع الحدقتان إلى [أعلى]^(٣٠) جفونه ، ويقلص اللسان إلى أصله ، وترتفع الأنثيان إلى أعلى موضعهما ، وتخضّر أنامله ، فلا تسأل عن بدن يُجذِبُ منه كل عرق من عروقه ، ولو كان المجذوب عرقاً واحداً لكان ألماً عظيماً فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم لا من عرق واحد بل من العروق كلها ، ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجاً فتبرد أولاً قدماه ثم ساقاه ثم فخذه ، ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم ، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الندامة والحسرة [(٣١)] .

• وأنشد بعضهم في الموت :

كأنى بنفسى على ضعفها تَجَرَّعُ رغماً كؤوسَ الردى .
وقد كشف الله عنها الغطاء فحنت هناك لكشف الغطا .
ومدّت إليها يَدُ فَظَّةٍ لَفَظٌ غَلِيظٌ شَدِيدُ القوى .

(٢٨) عشيّه : ما بين المعكوفتين استدركناه من نسخ أخرى ومعناها . حواه وعطاه .

(٢٩) «وشوشه» . ما بين المعكوفين استدركناه من نسخ أخرى . ومعناها : الشبه .

(٣٠) «أعلى» : ما بين المعكوفتين استدركناه من نسخ أخرى

(٣١) راجع الإحياء (١٢٥/٦ - ١٢٦) ، وما بين الأقواس منه والله أعلم .

فما شئت من نفس ضيقٌ وجذبٌ عروقٍ وقطعٌ حَشَى (٣٢) .
ونفس تساق أشد مساق فتضعف في لهوات القنى .
ولا دافع يرتجى دفعه ولا قائل ما به يقتدى .
[و] (٣٣) مالى انتصار ومالى فِرَارٌ ومالى مَن حيلةٍ تُرْتَجَى .
فَدَعْنِي وَيَوْمَى أَبْكَى . لَهُ فَحَقَّ لِيَوْمَى يطول البُكَاءُ .

وأنشد أيضا :

يا ندماً أندمه ليس فى ذلك من ريب ولا شك .
إذا رسا الموت على لى وحال بين الفك والفك .
ولم يكن لى عنه من مخلص ولم أكن عنه بمفك .
وحشرجت نفسى فى صدرها كأنها تمحص فى .
وكل ما تدريه من نخوة فى ومن عجب ومن فتك .
قد عاد ذاكم كله ذلة يظل منها شامتى يبك .
وذاكم المال الذى كنت قد جمعت من زور ومن إفك .
قد حيل ما بينى وما بينه وزال عن حكمى وعن ملك .
غير تباعات تحملتها تكثر من بينى ومن معك .
فكيف لا أندم أم كيف لا أملأُ حفونى بدم أبك .
فيا إلهى والذى جوده سال لذى الإخلاص والشك .
رحماك فى واهى القوى يائس فى عيشه من حاله ضنك .
قد حجبتك عنك آثامه ورُدَّ عن بابك بالصد .
إن لم ينله عفوك المرتجى وتحترمه سعة الملك .
فاعف إلهى عنه واغفر له واعدل به عن هوة الهلك .
أولا فمن ذا . بوده يرتجى غيرك أو عن فضله يمسك .

(٣٢)، (٣٣) الإحياء، وهى بالأصل غير واضحة .

٣٧ - ويروى أن النبي - عليه السلام - دخل على مريض فقال : « إني لأعلم ما يلقي ، ما فيه عرق وهو يألم للموت على حدته » (٣٤) .
وكان على - رضى الله عنه - يحض على القتال ويقول : « إن لم تقتلوا تموتوا والذي [نفس] محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش » (٣٥) .

٣٨ - وقال شداد بن أوس : « الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى في القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم » .
٣٩ - ودخل الحسن البصرى - رحمه الله - « على رجل فوجده في سكرات الموت فنظر إليه وقال إن أمرا هذا أوله ينبغي أن يتقّى آخره وإن أمرا هذا آخره ينبغي أن يُزهد في أوله » .

٤٠ - ويروى أن النبي - ﷺ - كان عنده قدح من ماء عندما نزل به الموت فجعل يدخل يده في القدح ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت ويروى اللهم هون على سكرات الموت ، ويروى فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ، وفاطمة ابنته - رضى الله عنها - تقول واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم » (٣٦) ذكره البخارى والنسائى

(٣٤) (قوله) : ويروى أن النبي - ﷺ - دخل على مريض فقال إني لأعلم ما يلقي ... إلخ - ضعيف .. رواه الطبرانى في «الكبير» عن سلمان قال : الهيثمى في المجمع (٣٣٠/٣) فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف .

قال العراقى في تخرىج الإحياء (١٢٨/٦) [رواه] ابن أبى الدنيا من حديث سلمان بسند ضعيف ، ورواه فى «المرضى والكمارات» من رواية عبيد بن عمير مرسلاً مع اختلاف ورجاله ثقات .

(٣٥) (قوله) * وكان على - عليه السلام - يحض الناس على القتال الإحياء (١٢٨/٦) .

(٣٦) خبر أنه - ﷺ - كان عنده قدح ماء .

* صحيح * أخرجه البخارى من حديث عائشة - رضى الله عنها - وعنده : « لا إله إلا الله إن للموت لسكرات » (١٤٤/٨ فتح) وهو عند أحمد (١٤٨/٦ و ٢٧٤) والنسائى (٤٨/٤) والترمذى (٣٩٩/٣ - عبد الباقي) وابن حبان فى «صحيحه» (٢١٠/٨ ، ٢١٤) والغوى فى «شرح السنة» (٤٤/١٤) .

- وغيرهما ذكر كل واحد منهما شيئاً لم يذكره صاحبه .
- ٤١ - وعن عيسى عليه السلام أنه قال : « يا معشر الحوارين ادعوا الله لي أن يهون علي هذه السكره - يعنى الموت - فقد خفت الموت مخافة أوقفنى خوفاً من الموت على الموت » (٣٧) .
- وعن أسلم مولى عمر بن الخطاب قال : « إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شيء لم ييلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفاً في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار » (٣٨) .
- ٤٢ - وكان عمرو بن العاص - رحمه الله - يقول : « لوددت أنى رأيت رجلاً ليبياً حازماً قد نزل به الموت فيخبرنى عن الموت فلما نزل به الموت قيل له : يا أبا عبد الله كنت تقول أيام حياتك لوددت أنى رأيت رجلاً ليبياً حازماً قد نزل به الموت فيخبرنى عن الموت وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم وقد نزل بك الموت فأخبرنا عنه فقال : أجد كأن السموات أطبقت على الأرض وأنا بينهما وكأن نفسى تخرج على قدر ثقب إبره » (٣٩) .
- ٤٣ - ويروى عن مكحول عن النبى - ﷺ - أنه قال : « لو أن شعرة من شعرات الميت وقعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله لأن فى كل شعرة من الميت الموت ولا يقع الموت على شيء إلا مات » (٤٠) .

(٣٧) (قوله): وعن عيسى - عليه السلام - .. إلخ الإحياء (١٣٧/٦) وهو فى «تذكرة القرطبي» وعده: «ادعوا الله أن يهون عليكم» بدل «على» عند المصنف «والله تعالى أعلم».

(٣٨) (قوله) عن أسلم مولى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلخ هو فى الإحياء (١٣٨/٦): عن زيد بن أسلم عن أبيه قال ... فذكره

(٣٩) (قوله): وكان عمرو بن العاص - رضى الله عنه - يقول. لوددت .. إلخ هو فى المسند (١٩٩ - ٢٠٠) وابن عساكر (١٣/٢٦٩/آ) وفى «التذكرة» عند القرطبي (ص ٢٢) معزو لشهر بن حوشب قال: ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه: ...، فذكره، وراجع لهذه القصة - بتامها - «سير أعلام النبلاء» (٧٦-٧٥/٣) وهو «صحيح» وقد حرقته وإميا فى كتابي: «التحرير المرسخ بأحوال البرح» والله تعالى أعلم.

(٤٠) (قوله): ويروى عن مكحول عن النبى - ﷺ - لو أن شعرة .. إلخ

وأنشدوا :

- ماذا تؤمل والأيام ذاهبة ومن ورائك للآمال قطاع .
 وصيحة لهجوم الموت منكرة صمت لوقعها الشنعاء أسمع .
 وغصّة بكؤوس أنت شاربها لها تقلبك آلام وأوجاع .
 يا غافلاً وهو مطلوب ومتبع أذاك سيل من الفرسان دفاع .
 خذها إليك طعناً فيك نافذة تعدى الجليس وأمرأ ليس ينطاع .
 إن المنية لو تلقى على جبل لأصبح الصخر منها وهو مياع .
- ٤٤ - ويروى أن إبراهيم - عليه السلام - لما مات قال الله له : كيف وجدت الموت ؟
 قال : كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب . فقال : أما إنا قد هوناه عليك « (٤١) » .
- ٤٥ - وعن موسى - عليه السلام - أنه لما صارت روحه إلى الله عز وجل قال له : يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال : « وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقل لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير » « (٤٢) » .
- ٤٦ - ويروى عنه أنه قال : « وجدت نفسي كشاة حية بيد « القصاب » تسلخ » .
- ٤٧ - وقال عمر لكعب الأحبار : « يا كعب حدثنا عن الموت فقال : نعم يا أمير المؤمنين كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى » « (٤٣) » .

* مرسل * وهو في الإحياء (١٢٨/٦-١٢٩) قال الزين العراقي [أخرجه] ابن أبي الدنيا في «الموت» من رواية أبي مسرة رفعه وفيه : لو أن ألم شعره .. فذكره وزاد وإن في يوم القيامة لتسعين هولاً أدناها هولاً يضاعف على الموت سبعين ألف ضعف « وأبو مسرة هو عمرو ابن شرحبيل . والحديث مرسل حسن الإسناد » ٨٠١ .

- (٤١) زاد في «الإحياء» يا خليلي قال : كسفود جعل في صوف .. إلخ
 الإحياء (١٢٩/٦) « والتذكرة » ص ٢١ وعزاه للمحاسبي في «الرعاية» راجع تنريه «الشرعية» (٣٦٥/٢) .
- (٤٢) الإحياء (١٢٩/٦) وما بين المعكفين منه ، و «التذكرة» ص ٢١ .
- (٤٣) انظر الإحياء (١٢٩/٦) .

٤٨ - وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده من حديث جابر بن عبد الله عن النبي - ﷺ - قال : « تحدثوا عن بنى إسرائيل فإنه كانت فمهم أعاجيب (٤٤) ثم أنشأ يحدث قال : خرجت طائفة منهم فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت قال ففعلوا فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر خلا شيء من بين عينيه أثر السجود فقال : يا هؤلاء ما أردتم إليّ فوالله لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدني كما كنت » .

٤٩ - ويروى في الخبر « أن العبد ليعالج سكرات الموت وكروبه وأن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام عليك السلام » (٤٥) .

وأما مشاهدة صورة ملك الموت وما يدخل على القلب منه من الروع والفرع فهو أمر لا يُعبّر عنه لعظم هوله وفضاعة رؤيته ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذى يتبدى له ويطلع عليه وإنما هى أمثال تضرب وحكايات تحكى .

٥٠ - يروى أن إبراهيم الخليل عليه السلام قال : « لملك الموت : - ﷺ - هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر قال : لا تطيق ذلك قال : بلى . قال : فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود أسود الثياب قائم الشعر منتن الريح يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشى على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال : يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورتك وقباحة وجهك لكان ذلك حسبه » (٤٦) .

- (٤٤) الحديث ليس بذلك القائم : قال الإمام الهيثمى فى المجمع (١/١٩٦) عن جابر قال : قال رسول الله - ﷺ - فذكره وقال : رواه البزار عن شيعه جعفر بن محمد بن أبى وكيع عن أبيه . ولم أعرفهما . وبقية رجاله ثقات .
- قال فى الحاشية (فائدة) : « إنما قال الزار حدثنا جعفر بن محمد بن أبى وكيع نا عبد الله بن عمر ، ما رأيت فيه عن أبيه ، فليحذر هذا - كما فى الهامش ا.هـ .
- راجع « تذكرة القرطى » وأهوال القبور لابن رجب .
- (٤٥) * ضعيف * ذكره أبو حامد فى الإحياء (٦/١٣٩) وقال الرين العراقى : « روياه فى الأرسين لأبى هدية إبراهيم بن هدية عن أس بن مالك عن النبى - ﷺ - وأبو هدية هالك ا.هـ .
- (٤٦) * راجع الإحياء (٦/١٣٠) وقد مضى الكلام على مثله .

ونظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على ميت فقال : « لو تترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم إن ميتكم نجاً من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد رآه ومرارة الموت قد ذاقها وخوف الخاتمة قد أمنها » .

٥١ - ويروى عن عبدالله بن عمرو أنه قال : « إذا قبض ملك الموت روح العبد قام على عتبة بابه ولأهل البيت ضجة فممن الضاربة وجهها ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية يا ويلها فيقول ملك الموت فيم هذا الجذع ؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمراً ولا أخذت لأحد منكم رزقاً ولا ظلمت أحداً منكم حقاً فإن كانت شكايته تسخطكم على فإني والله مأمور وإن كانت من ميتكم فإنه مقهور وإن كانت من ربكم فأنتم به كفره ولى فيكم عودة ثم عودة قال : فلو سمعوا كلامه ورأوا مكانه لشغلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم » .

وأنشد بعضهم :

بكاً لأن مات ميت من عشيرته وقال واحزناً وصاح واحرباً .
وبات فوق حشاه للأسى لهب إذا أراد حبواً فار والتهياً .
ولو رأني بصحيح العقل حين رأى وكشف الله عنه للهوى حبياً .
لما رأى الدهر ميتاً أو أحس به إلا بكاء نفسه المسكين وانتحباً .
ومن رأى الشمس في جنبه شارة أنى يراها بجنب ناء أو قرباً .
وطلعة الموت إن تطلع على أحد أرتة في نفسه من هولها عجباً .

ولعلك تقول قد ذكرت من هول الموت وشدته ، وكرهه وغصته وأنه أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وأنه وأنه وقد شاهدنا من بعض الأموات ما يدل على أن الموت ليس كما وصفت وأنه إنما هو كأس تسهل على إنسان وتصعب على آخر وقد رأينا من الأموات من يحدثك ويوصي إليك ويشهد بماله وبما عليه ونفسه تخرج من قدمه إلى صدره أو إلى الحلقوم وهو على حاله في وصيته وإشهاده وربما ظن من رآه فجأة أنه لا بأس عليه ولا موت عنده ثم يموت كذلك وما هذه صفة من ينشر بالمناشير ويقرض بالمقاريض ويُفعل به ويفعل ولو كان كذلك لمنعه ألم النشر ووجع القرض وكره الموت عن الكلام والإشهاد وعن الوصية بأن يدفن في موضع كذا أو

يكفن في ثوب كذا وحتى لو كان كما قلت فقد رأينا من سرعة خروج بعض الأرواح ما لو كان في الموت أضعاف ما قلت من الشدة لما كان يبالي عن ذلك لسرعة خروج الروح وعجلة استلاها . نعم للموت عند الأكثر مقدمات من آلام وأمراض وأسقام تبلغ منه المبالغ قبل الموت ثم يموت وقد تنزل تلك الأمراض والأسقام بأحد فتشرف به على اليقين وتريه المنون قبل المنون ثم تقلع عنه فلا يبقى لها أثر وكأنه ما سمع لها بخبر ، فأقول : صدقت والأمر كما قلت ، قد شوهد من بعض الأموات ما ذكرت ، وقد علم أن الموت يهون على بعض الناس ويسهل عليه وبعضهم أو أكثرهم يشدد عليه ويغص به فمن أى الفريقين أنت؟ أمن يهون عليه أم ممن يصعب عليه ؟ لا بد لك من أن تشرب بإحدى الكأسين وترمى بأحد السهمين لا بد لك من ذلك فما الذى يؤمنك أن تطعم أصره وتسقى أمره وتصلى أشقه وأخره ما الذى أمنك من هذا وكيف ما كان بالموت شربة كريهة وكأس مرة حتى أن الإنسان لو عرض عليه مقعده من الجنة وقيل له تموت وتسير إليه ربما انقبض لذلك واجتمع عندما يذكر له الموت .

كما يروى عن سهل بن عبد الله التستري - رحمه الله : (٤٧) « أن ولياً من أولياء الله عز وجل تبدى له الملك فأخبره برضى الله عز وجل عنه وبشره بالجنة وأنه يموت في وقت قريب حده له قال سهل : فقلت له كيف وجدت نفسك عند ذكر الموت قال : أصابتنى قشعريرة ثم مات الرجل في الوقت الذى حدّ له » وقد تقدم لك أن النبى - ﷺ - « كان عند الموت يدخل يده في قدح فيه ماء ويمسح به وجهه الكريم ويقول : اللهم أعنى على سكرات الموت » .

٥٢ - وقال عمر بن صبيح السعدى : « رأيت عبد العزيز بن سلمان العابد فى منامى بعد موته وعليه ثياب خضر وعلى رأسه إكليل من لؤلؤ فقلت له : يا أبا محمد كيف كنت بعدنا ؟ وكيف وجدت طعم الموت ؟ وكيف وجدت الأمر هنالك ؟ فقال : أما الموت فلا تسأل عن شدة كربه وغمه لكن رحمة الله ستترت منا كل عيب وما نلناها إلا بتفضله » .

(٤٧) - «التستري» نسبة إلى «تستر» - اسم مدينة عمر واضحة بالأصل

وأيضاً فإنك لا تدري بما تسمع نعمة الملك الوارد عليك من ربك ، ولا بماذا يشرك به ، ولا بُدُّ لك من إحدى البشريتين ، والإعلام بمنزلك الذى كتب لك من إحدى الدارين ، ولا بد أن يفزع سمعك قوله إما : يا ولى الله أبشر بالجنة ، وإما : يا عدو الله أبشر بالنار وهذا هو الذى قطع قلوب الخائفين وأسأل عبرات التائبين وأسهر ليلى العابدين ، وإن كنت من جملة المخلصين وأصحاب الكبائر من المسلمين فلا بد أن يفتح لك الباب الذى تلج منه ويظهر لك العمل الذى تسأل عنه ، وقد تقدم الخبر الصحيح عن الله تبارك وتعالى « إذا أحب عبدى لقائى أحببت لقاءه وإذا كره لقائى كرهت لقاءه » (٤٨) . وإن هذه المحبة وهذه الكراهية إنما تكون عند الموت ، ذكرت ذلك عائشة - رضى الله عنها - وهذا موضع ذكرى تنفتت لها الأعضاء ، وتتصدع لها الأكباد وسأذكر لك جملة من كلام المرضى والمحتضرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الصالحين وغيرهم من المقصرين والجهلة المخدوعين لعله سيحرك منك ساكناً ويخوف منك آمناً ويشغلك بعون الله وتوفيقه ظاهراً وباطناً .

٥٣ - ويروى عن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - « أنه مرض فقالوا له : ألا

(٤٨) * صحيح * رواه البخارى - رحمه الله - من حديث أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - - معلقاً - (٣٥٧/١١ - فتح) ووصله مسلم (٩/١٧ نووى) والترمذى وقال : « حسن صحيح » وأحمد (٥٤/٦ ، ٥٥ ، ٢٠٧) والنسائى (٩/٤ سيوطى) وابن ماجة (٤٢٦٤) وابن حبان فى « صحيحه » (٦/٥) والبغوى فى « شرح السنة » (٥/٢٦٣ ، ٢٦٤) والدارمى فى « السنن » (٣١٢/٢) وابن المبارك فى « الزهد » (٩٧٢) ومن حديث أنس عن عبادة بن الصامت أخرجه البخارى (٣٥٧/١١) ومسلم (٩/١٧ - نووى) والترمذى (٣٧٠/٣ - عبدالباقى) وأحمد (٣١٦/٤) والنسائى (١٠/٤ - سيوطى) والطيالسى أبو داود فى المسند برقم (٥٧٤) والبغوى (٢٦٣/٥) والدارمى (٣١٢/٢) ومن حديث أبى هريرة أخرجه إمام الأئمة مالك بن أنس فى « الموطأ » (٢٤٠/١) ومسلم (٩/١٧) والنسائى (٩/٤) وابن حبان فى « صحيحه » (٥/٥) والبغوى (٢٦٢/٥)

ومن حديث أبى موسى أخرجه الشيخان البخارى (٣٥٧/١١) ومسلم (١١/١٧) وعن أنس (مفرداً) أخرجه أحمد (١٠٧/٣) وهو فى « المطالب العلية » (١٨٢/٣) عن عبد الرحمن بن أبى ليل يقول حدثنا فلان رحل من أصحاب النبى - ﷺ - وعزاه لابن أبى عمر فى « الجمع » (٣٢٣/٢) أورده الهيثمى رحمه الله عن أنس وعزاه لأحمد وأبى يعلى والبزار وقال : رحال أحمد رحال الصحيح . واستقصى طرقة هالك راجعهما إن أحببت .

ندعو لك طبيباً ؟ فقال : قد رآني : فقالوا : وأى شيء قال لك ؟ فقال :
قال لي : إني فعال لما أريد » (٤٩) .

٥٤ - ومرض أبو الدرداء - رضى الله عنه - « فقالوا له أى شيء تشتهي ؟ فقال
الجنة . قالوا : أندعوا لك طبيباً ؟ قال : الطبيب أمرضني . فقال له رجل من
أصحابه : يا أبا الدرداء أتشتهي أن أساهرك الليلة ؟ فقال له أبو الدرداء :
أنت معافى وأنا مبتلى فالعافية لا تدعك أن تسهر والبلاء لا يدعني أن أنام
أسأل الله الذى لا إله إلا هو أن يهب لأهل العافية الشكر ولأهل البلاء
الصبر » .

٥٥ - ولما اشتد مرض عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - « جاءوا بطبيب فلما
دخل عليه ورآه قال : إنه قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر
بصره إليه وقال : ولا يؤمن أيضاً الموت على من لم يسق السم . فقال
الطبيب : وهل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، عرفت ذلك
حين وقع في بطني . فقال : تعالج يا أمير المؤمنين فإنى أخاف أن تذهب
نفسك . فقال عمر : ربي تبارك وتعالى خير مذهب إليه والله لو علمت أن
شفائى عند شحمة أذنى ما رفعت إليه يدي اللهم حد لعمر في لقائك فلم
يلبث إلا أياماً قللاً حتى مات - رضى الله عنه » (٥٠) .

٥٦ - ومرض الربيع بن خيثم « فقالوا له : ألا ندعو لك طبيباً فتفكر فقال : إن
عاداً وثموداً وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً قد كانت فيهم الأدوية
وكانت فيهم الأطباء فلا أرى المداوين تقى ولا المداوى كل قد فنى ومضى
والله لا أدعو لي طبيباً أبداً » (٥١) .

(٤٩) أثر الصديق الأكبر - رضى الله عنه - أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٤/١) من طريق عبد الله بن أحمد بن
حنبل قال : حدثني أبي ثنا وكيع عن مالك بن معول عن أبي السفر به .

(٥٠) أثر عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - هو في ترجمته من « الحلية » (٣٣٥/٥) أخرجه أبو نعيم من
طريق أبي كريب عن جابر بن حازم عن المغيرة بن حكيم قال حدثني فاطمة امرأة عمر .. فذكره . وكذا
في « الزهد » لاس المبارك رقم (٨٨٧) .

(٥١) أثر الربيع بن خيثم . أورده الإمام الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٤/٢٠٠) قال : قال سفيان الثوري وقيل له
لو تدانيت ... فذكره .

٥٧ - وذكر ابن جهضم في كتابه عن أبي يعقوب يوسف بن أحمد قال :
« خرجت إلى مكة على طريق البصرة ومعى جماعة فقراء وفيهم شاب كنت
أميل إليه لحسن سمته ومراعاة حاله واشتغاله بذكر ربه وكثرة مناجاته
وتملقه ، فلما وصلنا لمدينة شرفها الله مرض مرضاً شديداً وانفرد عنا فسرت
إليه مع جماعة أصحابنا نتعرف خبره فلما رأينا شدة ما به قال بعضنا : لو
أحضرنا طبيباً ينظر إليه ويرى علته فلعله يكون عنده دواؤه فسمع الشاب
مقالته فتبسّم من ذلك وقال : يا مشايخي ويا أحبائي ما أقبح المخالفة بعد
الموافقة من أراد الله له حالاً وأراد هو غيرها أليس قد خالف الله في إرادته .
قال أبو يعقوب : فخرجنا من كلامه فنظر إلينا وقال : لو عرفتم داء القتل
لطلبتم لدائه دواء إن الأمراض والأسقام فيها تطهير وتكفير وتذكير وداء
القتل مشاهدة اليقين وموافقة الهوى » .

ثم أنشد يقول :

يــــد الله دوائى ويعلم الله دأى
إنما أظلم نفسى باتباعى هوائى
كلما داويت دأى غلب الداء دوائى

قال فقمنا من عنده وتركناه »

يريد بقوله « داء القتل » : الداء الذى يقتل صاحبه .

٥٨ - وقيل لحسان بن أبي سنان في مرضه : « كيف تجدك ؟ فقال : بخير إن
نجوت من النار » .

وقال بعض الصالحين : دخلنا على مغيرة الخراز وهو مريض فقلنا له : كيف
تجدك ؟ فقال : أجدنى موقراً بالآثام قلنا : فما تشتكى ؟ قال : الحسرة على
طول الغفلة . قلنا : فما تشتهى ؟ قال : الإنابة إلى ما عند الله والنقلة عما
يكراهه الله قال : فبكى القوم جميعاً . (*) قيل له : فما تشتهى ؟ قال : ليلة
طويلة أصلها كلها] .

٥٩ - ودخل الحسن البصري رحمه الله « على عطاء السلمي يعودوه وهو مريض
فوجده قد علاه الغبار والصبار فقال : يا عطاء لو خرجت إلى صحن الدار

فكان يضربك الهواء فيجد له راحة فقال له : يا أبا سعيد وبهذا تأمرني والله
إني لأستحي من الله عز وجل أن أخطو خطوة في راحة بدني » .

٦٠ - وقال منصور : « دخلت على عطاء السلمي بعد هذا أعوده وهو مريض
فرأيته يتبسم فعجبت من ذلك ، فكأنه فهم عني فقال : أتعجب يا ابن
أخي ؟ فقلت وكيف لا أعجب فقال وكيف لا أضحك وقد دنا فراق ممن
كنت أخافه وأحذره ، ودنا قدومي على من كنت أرجوه وأؤمله أتجعل
مقامي مع مخلوق أخافه كقدومي على خالق أرجوه . قال هذا قبل أن يحتضر
وينزل به الموت » .

٦١ - وقال أحمد بن أبي الخوارى « دخلت على بعض المتعبدين وهو مريض فقلت
كيف تجددك فقال بحال شريفة أسيرُ كريم حبيس جوارحه مع أعوان صدق
والله لو لم يكن لي مما ترون عوضاً إلا ما أودع قلبي من محبته لكنت خليفاً
أن أدوم على الرضا عنه ، وما الدنيا وما غاية البلاء فيها ؟ هل هو إلا ما
ترون من هذه العلة ويوشك إن اشتد لي الأمر أن ترحلني إلى سرر ولنعمت
العلة علة رحلت بمُحِبٍّ إلى محبوب قد أحزنه طول التخلف عنه » .

٦٢ - ويروى أن مالك بن دينار رحمه الله « دخل على شاب يعود فوجده خيلاً
على فراشه كالشن البالي فسأله عن حاله فلم يستطع الجواب بلسانه وأشار
بطرفه فبينما نحن كذلك وإذا نحن بصوت المؤذن فسمعناه يقول مثل ما يقول
المؤذن ويشير بأصبعه عند الشهادتين ثم أمر والده يوضأه ثم أمره أن يوجهه
إلى القبلة ليصلي راقداً بالإيماء ثم قال : يا مالك . راحة مع بقاء الإيمان ،
يا مالك نِعْمَةٌ لا تُعَدُّ وبلاؤه واحدٌ . قال مالك : فعجبت من يقينه وصبره
وصدق وفائه وخالص محبته ، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى مات رحمه الله » .
٦٣ - وقال عبد الله بن عتبة « عدت رجلاً مريضاً فلما قعدت عنده قلت له
كيف تجدك فقال :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي غداة أقل الحاملون جنازتي .

وعجل أهلي حفر قبري وصبروا خروجي وتعجيلي أجل كرامتي .

كأنهم لم يعرفوا قط صورتي غداة أتى يومي على وساعتي .

٦٤ - ولما احتضر أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - « جاءته ابنته عائشة أم

المؤمنين - رضى الله عنها - فلما رأته تمثلت بهذا البيت :
لعمرك ما يُغنى الثراء عن الفتى إذا خَشُرَتْ (٥٢) يوماً وضاق بها
الصدرُ .

فكشف أبو بكر عن وجهه وقال : ليس كذلك ولكن قولى : ﴿ وجاءت
سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ [ق / ١٩] ثم قال : فى كم
كفن رسول الله - ﷺ - ؟ قالت : فى ثلاثة (٥٣) أثواب بيض سحولية
فقال أبو بكر : خذوا هذا الثوب ثوب كان عليه قد أصابه شق أو زعفران
فاغسلوه ثم كفنوفى فيه مع ثوبين آخرين وكان به فاخلقا فقالت له عائشة :
ما هذا تريد أنه خلقت فقال أبو بكر : الحى أحوج إلى الجديد من الميت إنما
هذا للمهلة يريد للصدید . ثم سمع منشداً فى البيت ينشد :
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل .
فالتفت إليه أبو بكر - رضى الله عنه - وقال : ذاك رسول الله
- ﷺ - .

وصدق أبو بكر ، هذا البيت قاله أبو طالب عم رسول الله - ﷺ - فى
قصيدته الطويلة التى يمدح فيها رسول الله - ﷺ - قال فيها :

(٥٢) خير احتضار الصديق الأكبر أبى بكر - رضى الله عنه - و « جاءته انتة عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها -
فلما رأته تمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا خَشُرَتْ يوماً وضاق بها الصدر
البخارى (٢٥٢/٣ - فتح) بإسناده به ، قال شيخ الإسلام ابن حجر . « زاد أبو نعيم فى « المستخرج » من
هذا الوجه فرأيت به الموت فقلت . هيج .. هيج

من لا يزال دمعهم مقنعا فإنه فى مرة مدفوق
فقال لا تقولى هذا ولكن قولى : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾ ... الآية ثم قال فى أى يوم ... الحديث
(فتح البارى ٢٥٢/٣) قال : وهذه الزيادة أخرجها ابن سعد مفردة عن أبى أسامة عن هشام
وقولها : هيج : بالجيم : حكاية نكاتها . ه كلامه رحمه الله والقصة أوردها فى الإحياء (١٥١/٦) وغيره .

(٥٣) صحيح : أخرجه البخارى (١٣٥/٣ ، ١٤٠ ، ١٥٢ فتح) ومسلم (٧/٧ نووى) وأحمد (١١٨/٦) وأبو
داود (١٩٨/٣) والترمذى (٣١٢/٣ عبد الباقي) والنسائى (٣٥/٤ سيوطى) وابن ماجه (١٤٦٩) والبيهقى
(٣٩٩/٣) والطيالسى (١٤٥٣) وابن حزم فى « المحلى » (١١٨/٥ - شاكرك) كلهم - وغيرهم - عن عائشة
- رضى الله عنها - .

وما ترك قوم لا أبالك سيراً يحوط الدمار غير درب مواكل .
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل .
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل .
كذلك قال أبو طالب « يلوذ به الهلاك من آل هاشم » ولم يدر أنه
- ﷺ - يلوذ به الهلاك من بني آدم .

٦٥ - ويروى عن سعيد بن المسيب أنه قال : « لما احتضر أبو بكر الصديق
- رضي الله عنه - أتاه ناس من أصحابه فقالوا له : يا خليفة رسول الله
- ﷺ - إنا نراك لما بك فأوصنا منك بوصية وزودنا منك بموعظة .
فقال : من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين
قالوا : وما الأفق المبين ؟ قال : قاع بين يدي العرش فيه رياض وأشجار
وأنهار فمن قال هذا القول جعله الله في ذلك المكان : اللهم إنك ابتدأت
الخلق من غير حاجة بك إليهم ، ثم جعلتهم فريقين فريقاً للنعيم وفريقاً
للسعير ، فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير ، اللهم إنك خلقتهم وميزتهم
قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً وسعيداً وغوياً ورشيداً فلا تشقني
بمعاصيك ، اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص
لهم مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك ، اللهم إن أحداً لا يشاء حتى
تشاء فاجعل مشيئتي أن أشاء ما يقربني إليك ، اللهم إنك قدرت حركات العباد فلا
يتحرك شيء إلا بإذنك فاجعل حركاتي في تقواك ، اللهم إنك خلقت الخير والشر
وجعلت لكل واحد منهما عاملاً يعمل به فاجعلني من خير القسمين ، اللهم إنك
خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلاً فاجعلني من ساكني جنتك ،
اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقك به صدورهم فاشرح صدري للإيمان وزينه
في قلبي ، اللهم إنك دبرت الأمور فجعلت مصيرها إليك فأحيني حياة طيبة وقربني
إليك زلفى ، اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه في غيرك فإن ثقتي ورجائي
ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال أبو بكر : وهذا كله في كتاب الله عز وجل » (٥٤) .

(٥٤) أثر سعيد بن المسيب : راجع له الإحياء (١٥٢/٦ ، ١٥٣) .

في الهامش رواه أبو السبخ الأصبهاني في كتاب ثواب الأعمال وعنده أنه قال :
« من قال حين يصبح وحين يمسي هذه الكلمات فمات على ذلك كتب في نغشته كل
يوم مائة رحمة فمن مات على القول جعل روحه في المكان » .

٦٦ - وقال السعبي رحمه الله . « لما طعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنى
لبن فشرب منه فخرج اللبن من طعنته فقال : الله أكبر . وعلم أنه يموت
فجعل جلساؤه يثنون عليه خيراً فقال : وددت أن أخرج منها كفافاً كما
دخلت لا على ولا لى والله لو كان لى اليوم ما طلعت عليه الشمس لافتديت
به من هول المطلاع ، ولما حضر غشي عليه ورأسه بالأرض وضع ابنه عبد الله
رأسه بين حجره فلما أفاف قال له : ضع رأسى بالأرض فقال له : يا أبت
وهل الأرض وحجرى إلا سواء قال : ضع رأسى بالأرض كما أمرتك فوضعه
قال : فمسح خديه بالتراب ثم قال : ويل لعمر ويل لعمر ويل لأم عمر إن لم
بغفر الله لعمر . فقال له انه عبد الله . يا أبه وهل الأرض وحجرى إلا
سواء قال ضع رأسى بالأرض كما أمرتك فإذا فبضت فأسرعوا بى إلى حفرنى
فإنما هو خير تقدموننى إليه أو شر يضعونه عن رقابكم » (٥٥) .

٦٧ - ولما احتضر عثمان بن عفان - رضى الله عنه - جعل يقول ودمه يسيل :
« لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، اللهم إننى أسئلك على
أمورى وأسألك الصبر على بلائى » (٥٦) .

٦٨ - ولما احتضر سلمان الفارسي - رضى الله عنه - « بكاء فقبل له : ما يبكيك ؟
قال والله ما أبكى جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكن عهد عهده
إلينا رسول الله - ﷺ - قال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب .

(٥٥) خبر استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -
« صحيح » أخرجه البخارى (٤٣/٧) ، وحكاها عن أشياحه إمام المؤرخين أبو جعفر من حرير الطبرى
(١٩١/٤) وما بعدها والمحب الطبرى فى «الرياض النضرة» (٤٠٩/٢) وما بعدها . وهو فى الإحياء
(١٥٣/٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥) .

(٥٦) خبر استشهاد أمير المؤمنين عثمان - رضى الله عنه -
هو فى الحلية (٥٨/١) والرياض النضرة (٧٢/٣ ، ٧٣) والإحياء (١٥٧/٦)

فلما مات نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته ثلاثون درهماً وقد كان أميراً على المدائن مدائن كسرى» (٥٧) .

٦٩ - ويروى أن امرأته قالت وهو في الموت : « واحزنه فقال سلمان : بل واطرباه ، غداً نلقى الأحبة ، محمداً وحزبه » .

ومثل هذا القول يروى أيضاً عن بلال مولى أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - أنه قال : « غداً نلقى الأحبة ، محمداً وحزبه » (٥٨) .

٧٠ - ويروى أن عمرو بن العاص لما دنا منه الموت « دعا بحرسه ورجاله فلما دخلوا عليه قال : هل تغنون عني من الله شيئاً ؟ قالوا : لا . قال : فافترقوا عني . ثم دعا بماء فتوضأ فأسبغ الوضوء ثم قال : احملوني إلى المسجد فحملوه فقال استقبلوا بي القبلة ففعلوا فقال : اللهم إنك أمرتني فعصيت واثمنتني فخنيت وحددت لي فتعديت اللهم لا [برىء فأعذر] (٥٩) ولا قوى فأنتصر بل مذنب مستغفر لا مصر ولا مستكبر ثم قال لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فلم يزل يرددتها حتى مات » (٦٠) وقوله لحرسه ورجاله : « هل تغنون عني من الله شيئاً » إنما فعل ذلك تصغيراً لنفسه وتحقيراً وليربها رؤية مشاهدة أن الذين كانوا يغنون عنه في الدنيا لا يغنون عنه عند نزول الموت شيئاً .

٧١ - ولما حضرت الوفاة معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - قال : « الآن

(٥٧) خبر سلمان الفارسي - رضي الله عنه - : أخرجه ابن ماجة (١٤٠٤)

صحيح وأحمد (٤٣٧/٥) والطبراني في الكبير (٦٠٦٩) وأخرجه الطبراني أيضاً (٦٠/٦١) وصححه ابن حبان (٢٤٨٠) وأخرجه الحاكم (٣١٧/٤) وصححه ووافقه الذهبي وأبو نعيم في الحلية (١٩٦/١)، (١٩٧) وراجع « سير أعلام النبلاء » (٥٥٦/١) .

(٥٨) قوله . ومثل هذا القول (يعني غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه) يروى أيضاً عن بلال مولى أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم -

قلت : هو فعلاً مسوب إليه وراجع لذلك ترجمة بلال - رضي الله عنه - في « النبلاء » (٣٥٩/١) وفيه . قال : تقول امرأته واويلاه فقال : وافرحاه .. إلخ

(٥٩) (برىء فأعذر) غير واضحة بالأصل واستكملناها من « السير »

(٦٠) قوله : ويروى أن عمرو بن عمرو - رضي الله عنه - لما دنا منه الموت إلخ

أورده الإمام الذهبي - من غير وجه - في « النبلاء » (٥٤/٣ - ٧٧) .

أقعدوني فأقعدوه فجعل يذكر الله ويسبحه ويقده ثم قال : الآن تذكر ربك يا معاوية بعد الانحطام والانهدام ألا كان ذلك وغض الشباب قصير زمان وبكا حتى علا بكأؤه ثم قال :

هو الموت لا منجا من الموت والذي أحاذر بعد الموت أدهى وأفظع
ثم قال : اللهم يا رب ارحم الشيخ العاصي في القلب القاسي . اللهم أقل العسرة واغفر الزلة وخذ بحلمك على من لم يرج غيرك ولا وثق بأحد سواك . ثم قال لابنه يزيد : يا بني إذا وفي أجلى فاعمد إلى المنديل الذي في الخزانة فإن فيه ثوباً من ثياب رسول الله - ﷺ - وقراضة من شعره وأظفاره فاجعل الثوب مما يلي جسدي واجعل أكفاني فوقه واجعل القراضة في فمي وانفسي وعيني فإن بقي شيء فهذا فإذا جعلتموني في قبري فخلوا معاوية وأرحم الراحمين « (٦١) » .

٧٢ - ويروى أنه قال في جملة ما قاله « يا ليتني كنت رجلاً من سائر قریش بذى طوى ولم أل من هذا الأمر شيئاً » .

٧٣ - ولما حضرت أبا هريرة - رضى الله عنه - الوفاة « بكاء فليل له : ما يبكيك ؟ فقال : يبكينى بعد المفازة وقلة الزاد وضعف اليقين والعقبة الكؤود التى المهبط منها إما إلى الجنة وإما إلى النار » (٦٢) .

٧٤ - ولما حضرت الوفاة حذيفة بن اليمان قال : « اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجرى الأنهار ولا لغرس الثمار لكن لظماً الهواجر وقيام الليل ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء في حلق الذكر . ولما اشتد به النزاع جعل كلما أفاق من غمرة فتح

(٦١) (قوله): ولما حضرت الوفاة معاوية بن أبى سفيان .. إلخ
«الإحياء» (١٥٨/٦) .

(٦٢) (قوله) ولما حضرت أبا هريرة - رضى الله عنه - الوفاة . إلخ
«سر أعلام البلاء» (٦٢٥/٢) و «الطبقات» (٣٣٩/٤) - كما في الحاشية - - وهو أيضاً - في «الحلية» (٣٨٣/١) .

عينيه وقال : يا رب شد شدتك واخنق خنقاتك فوعزتلك إنك لتعلم أنى أحبك» (٦٣) .

٧٥ - ومثل هذا يروى عن محمد بن المنكدر « أنه لما نزل به الموت بكاء فقليل له ما يبكيك ؟ فقال ما أبكى جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكن أبكى على ما يفوتنى من ظمأ الهواجر وقيام ليالى الشتاء » .

٧٦ - وكذلك يروى عن عامر بن قيس . وقال أنس بن مالك « لمن حضره وقد نزل به الموت : ليعاين الناس غداً من عفو الله وسعة رحمته ما لم يخطر على قلب بشر » كشف له - رضى الله عنه - من سعة رحمة الله وكثرة عفوهِ وعظيم تجاوزه ما أوجب أن قال هذا .

٧٧ - ولما دنت من عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - الوفاة « بكى فقليل له : ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله تبارك وتعالى بك سننا وأظهر بك عدلاً فبكاً ثم قال : أليس أوقف ثم أسأل عن هذا الخلق ؟ والله لو عدلت فهم لخفت أن لا تقوم نفسى لحجتها عند الله تعالى إلا أن يلقنها حجتها ويثبتها فكيف بكثير مما ضيعت ثم بكى » .

٧٨ - ويروى عن فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز أنها قالت : « كنت أسمع عمر بن عبد العزيز فى مرضه الذى مات فيه يقول اللهم أخف عنهم موتى ولو ساعة من نهار فلما كان فى اليوم الذى مات فيه خرجت من عنده فجلست فى بيت قريب منه بينى وبينه باب فسمعتة يقول : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ [القصص / ٨٣] ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاماً فقلت لوصيف لنا : انظر إلى أمير المؤمنين ما صنع ؟ فلما

(٦٣) أثر حذيفة - رضى الله عنه - قال : « اللهم إلى كنت » . إلخ

هو فى « الإحياء » (١٦٠/٦) معزو لمعاد - رضى الله عنه - بحوه

وقد أوردتها الإمام النووى أيضاً فى « تهذيب الأسماء واللغات » (١٠٠/٢) فى ترجمة معاد بن جبل (!) ،

والذى فى ترجمة حذيفة من « الحلية » (٢٨٢/١) « والمستدرك » (٣٨١/٣) و « سير النبلاء » (٣٦٨/٢)

غير ما هنا فالله تعالى أعلم كيف ذلك كان ؟

- دخل عليه صاح فأسرعت إليه فإذا هو ميت رحمة الله عليه» (٦٤) .
- ٧٩ - ويروى أنه لما قرب موته قال : « أجلسوني فأجلسوه فقال : اللهم إنك الذى أمرتنى فقصرت ونهيتننى فعصيت . قالها ثلاث مرات . فإن عفوت فقد مننت وإن عاقبت فما ظلمت ثم قال : لا إله إلا الله ثم أخذ النظر فقليل له فى ذلك فقال : أرى حضرة ما هم بإنسان ولا جان ثم خرج من كان عنده فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات - رضى الله عنه - » (٦٥) .
- ٨٠ - ويروى أنه « قيل له وقد اشتد مرضه : أوصنا يا أمير المؤمنين فقال : أحذرکم مثل مصرعى هذا » .
- ٨١ - ويروى « إنه دخل عليه قبل الموت بأيام ابن أبى زكريا أو أحد الفقهاء فتذاكرا الآخرة فبكى عمر وبكى الرجل ثم دعوا الله جميعاً وسألاه أن يقبضهما إليه فجاءه ابن صغير لعمر يدب فقال عمر : اللهم وهذا معنا فإني أحبه قال : فماتوا ثلاثتهم قريباً من قريب فى جمعة أو نحوها » .
- ٨٢ - ويروى عن عبد الملك بن مروان « أنه لما حضره الموت نظر من موضع له مشرف إلى رجل ويده ثوب يضرب به المغسلة فقال : يا ليتنى كنت مثل هذا الرجل أعيش من كسب يدى يوماً بيوم ولم أل من هذا الأمر شيئاً » (٦٦) .
- ٨٣ - وقال له رجل : « كيف تجددك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أجدنى كما قال الله تعالى : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما حولناكم وراء ظهوركم ﴾ [الأنعام / ٩٤] .

(٦٤) (قوله) ويروى عن فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر قالت . إلخ
أحرقه أبو نعيم فى « الحلية » (٣٣٥/٥) واس المارك فى « الزهد » (٨٨٨) والعرالى فى « الإحياء » (١٥٩/٦) .

(٦٥) (قوله) . ويروى أنه لما قرب موته قال : أجلسونى . إلخ
أحرقه أبو نعيم فى « حلية الأولياء » (٣٣٥/٥) بإساده به وهى أيضاً فى « الإحياء » (١٥٩/٦) .

(٦٦) (قوله) : ويروى عن عبد الملك بن مروان . إلخ
هو فى الإحياء (١٥٨/٦) ، راد بعدها . فلع ذلك أنا حارم فقال الحمد لله الذى جعلهم - إذا حصرهم الموت - يتصون ما نحن فيه ، وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه . اهـ .

٨٤ - ولما نزل الموت بهشام بن عبد الملك أمير المؤمنين نظر إلى أولاده وأهله ليكون حوله فقال لهم : « جادلکم هشام بالدنيا وخدم له بالكا ، وبرك لكم هشام ما جمع وتركتم عليه ما اكتسب ، ما أعظم مصلب هشام وأسوأه إن لم يغفر الله له » .

٨٥ - وكان أمير المؤمنين هارون الرشيد ينقئ أكفاه بده فرياً من مونه وينظر إليها ويقول : ﴿ ما أغنى عنى ماله هلك عى سلطانية ﴾ [الحاقة / ٢٨ - ٢٩] .

٨٦ - ومثل هذا يروى عن أبى شجاع فناحسرو^(٦٨) ابن عصف^(٦٩) الدولة : أنه لما نزل به الموت لم يسمع منه إلا قوله ﴿ ما أغنى عنى ماله هلك عى سلطانية ﴾ [الحاقة ٢٨ - ٢٩] .

وقال أبو الحسين على بن الحسين المسعودى - رحمه الله - لما اشتدت علة هارون الرشيد وسار إلى طرسوس هونب الأطباء عليه علته وحقروا أمرها فأرسل مأوه فى فاروره من حملة قوارير فعرضت على منطبيب فارسى كان هناك فحعل ينظر إلى قاروره قارورة ويقول ما يقول حتى أتى على القارورة التى فيها ماء هارون فقال : عرفوا صاحب هذا الماء أنه هالك بعد ثلاث ومروه فليوص فإنه لا برء له من علته هذه فأتى الغلام هارون فقال له : ما قال لك ؟ فحمجم الغلام ولم بين فعزم عليه فأخبره بما قال وقال : عرفوا صاحب هذا الماء أنه هالك بعد ثلاث فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً ونمايل على فراشه وجعل ينسد هدى الببتين :

إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطبع دفاعى
ما للطبيب بموت بالداء الذى قد كان برى منله فيما مضى
واشد ضعفه عندما سمع كلام الطبيب وأرحف الناس بمونه فلما بلعه ذلك

(٦٧) (قوله) وكان أمير المؤمنين هارون الرشيد ينقئ أكفاه . إلخ
«الإحفاء» (١٦٠/٦)

(٦٨) (فناحسرو) - غير واضحة بالأصل

(٦٩) (عصف) - خرف فى الأصل إلى (عصر) بساد وراء مهملى والصوب من كتب التاريخ

دعا بحمار ليركبه فلما صار عليه سقط ولم يقدر أن يثبت على السرج فقال :
صدق المرجفون ، كما دعا بأكفان فنشرت بين يديه فجعل يختار منها ما
يصلح وجعل يقول هذا القول : ﴿ ما أغنى عنى ماله هلك عنى
سلطانيه ﴾ ثم أمر بقبوره فحفر فلما اطلع فيه جعل يقول هذا القول : ﴿ ما
أغنى عنى ماله هلك عنى سلطانيه ﴾

ويروى أنه قال قبل ذلك شعراً يمدح فيه نفسه منه قوله :

ليس شرب الراح^(٧٠) إلا في النظر^(٧١) وغناء من جوار^(٧٢) السحر.

غالبات سالبات للنهي ناعمات في تضاعيف الوتر .

(٧٣) الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر .

(٧٤) عصر الدولة وابن ركنها (٧٥) ملك الأملاك غلاب القدر (٧٦).

(٧٠) (الزَّاح): الخمر - عمر واضحة بالأصل.

(٧١) (المطر) (١)

(٧٢) سقطت لفظة (لى) بين (جوار) (والسحر).

(٧٣) (مبرزات) بياض بالأصل والتكملة من « سمر النبلاء » .

(٧٤) (عضد) بضاد معجمة ودال مهملة كما سبق أن أصلحناها وليس (عصر) بصاد وراء مهملتين كما هو مشتق بالأصل (١)

(٧٥) (ركبتها) ننون منقوطة من فوق وليس كما تحرفت في الأصل إلى ناء موحدة (ا) ذلك أنه كان ابن السلطان ركن الدولة حسن بن بويه الدليمي .

(٧٦) - في ترجمته من « سير النبلاء » و « البداية والنهاية » و « شذرات الذهب »

اختلافات في سياق ألفاظ هذا الشعر فعمد ابن العماد رحمه الله شرب الكاس بدل «الراح» هنا وفي

« السير » وعنده من الريادة

سَهْلَ اللهُ لَهُ مَغِيَّتُهُ فِي مَلُوكِ الْأَرْضِ مَا دَارَ الْقَمَرُ
وَأَرَاهُ الْخَمْرَ فِي أَوْلَادِهِ لَيْسَ الْمَلِكُ مِنْهُمْ مَالِغُورٌ .
أ.هـ (٧٨/٣) . وفي « البداية » (٢٩٩/١١) وما بعدها :

راقصات زامبات نجل
مطربات غنحات لحن
ميرزات الكأس....

رافلات في أفانين الخير
راعضات الهم آمال الفكر

- ٨٧ - قال أبو منصور الثعالبي « لم يُفلح بعد هذا البيت » يعني قوله :
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر »
- ٨٨ - ولما حضرت أمير المؤمنين المأمون الوفاة « أمر بحل دابته ففرش له فاضجع عليه ووضع [يده » (٧٧) على رأسه وجعل يقول : « يا من لا يزول ملكه ارحم اليوم من قد زال ملكه » (٧٨) .
- ٨٩ - ويروى أنه أمر أن يطاف به على هذه الحال وأمر المتنادين أن يقولوا هذا القول . وكان المعتصم أخوه يقول عند موته وكان قد ولي بعده : « لو علمت أن عمري هكذا قصير ما عملت ما عملت وجعل يقولها ويبكى » (٧٩) .
- ٩٠ - ولما حضرت المنتصر الوفاة : جعل يضطرب فقال لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال : « هكذا لا بأس على ذهبت عني الدنيا والآخرة وتقولون لي لا بأس عليك » (٨٠) .
- ٩١ - ولما حضرت عبد الله بن علي الوفاة قال : « ما أغفلني أمس عن مصرعي اليوم » .
- ٩٢ - وقال أبو سليمان الداراني : « دخلت على عابد وقد حضره الموت وهو يبكي فقلنا له : ما يبكيك رحمك الله ؟ فأنشأ يقول :

قال أبو الفداء رحمه الله معقباً قبحه الله وقبح شعره وفتح أولاده فإنه احترأ في أبياته هذه فلم يفلح بعدها ،
فيقال أنه حين أنشد قوله :

« غلاب القدر » أخذه الله فأهلكه .

قال الذهبي : في « النلاء » (٢٥٠ / ١٦) . « وكان يقول الشعر فقال أحياناً كصرية ... فذكرها ، وقال : نقل أنه لما احتضر ما انطلق لسانه إلا يقول الله تعالى . ﴿ ما أعسى عني ماليه هلك عسى سلطانيه ﴾

(٧٧) (يده) غير واضحة بالأصل .

(٧٨) الإحياء (١٦٠ / ٦) : « وفرش المأمون رماداً واصطجع عليه وكان يقول : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه . »

(٧٩) الإحياء (١٦٠ / ٦) .

(٨٠) الإحياء (١٦٠ / ٦) .

وحق لمثل بالبكا عند موته ومالى لا أبكى وأجلى قد اقترب
ولى عمل فى اللوح أحصاه خالقى فإن لم يحد بالعفو صرت إلى العطب
٩٣ - وقال عبد الله بن العلاء « شهدت أعرابيا قد نزل به الموت فتشخص ببصره
ثم قال :

كل أت فإنه سوف يأتى أنت يا موت هادم اللذات .
رحم الله أعظما نالبات أصبحت فى عساكر الأموات .
٩٤ - وقال الحجاج بن يوسف عند موته : « اللهم اغفر لى فإنهم يزعمون أنك
لا تفعل »^(٨١) فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة وذكر ذلك
للحسن البصرى فقال : « أفاها ؟ فقالوا : نعم ؛ قال : عسى !! » .

٩٥ - وقال سليمان التميمى : « دخلت على بعض أصحابنا وهو فى الموت فرأيت
من حزنه ما ساءنى ، فقلت له : هذا الجزع كله لماذا وقد كنت بحمد الله
على كذا - يعنى على حال صالحة - فقال : ومالى لا أجزع ومن أحق منى
بالجزع ، والله لو أتتني المغفرة من الله عز وجل لأهمنى الحياء منه فيما
أفضت به إليه » .

- وقال بعض الصالحين لغلامه - وقد حضره الموت : يا علام شد كنانى
وعفر فى التراب خدى ، ففعل العلامة . ثم قال : « دنا الرحيل ، اللهم
لا براءة لى من ذنب ، ولا عذر لى فأعتذر به ، ولا قوة فأنتصر بها . ثم
قال : أنت لى ، أنت لى . ثم صاح صيحة ومات ، فسمعوا صوتا يقول :
استكان العبد لمولاه فقبله » .

٩٦ - ولما حضرت محمد بن سيرين الوفاة بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال :
« أبكى لتعربطى فى الأيام الخالية ، وقلة عملى للجنة العالية ، وما ينجيني من
النار الحامية » .

(٨١) أبو نعيم فى « الحلية » من طريق أبى العباس اس فتية لنا إبراهيم بن هشام بن عيسى حاتى أبى عن حدى
قال : قال عمر يعنى (اس عبد العزيز رضى الله عنه -) . ما حسدت الحجاج عدو الله على شئ
حسدى إياه على حدة القرآن وإعطائه أهله وماله حتى حضرته الوفاة « اللهم اعفر لى فإن الناس يزعمون
أنك لا تفعل » والمصنف نا حصار فى « الإحياء » (١٦٠/٦)

- ولما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة بكى ؛ فقليل له : ما يبكيك ؟ فقال :
« أنتظر رسولا من ربي يشرني بالنار أو الجنة » .

٩٧ - وقال حماد بن سعيد بن أبي عطية المذبح : « لما حضر أبا عطية الموت جزع فقالوا له : أتجزع من الموت ؟ فقال : ومالي لا أجزع وإنما هي ساعة ولا أدري أين يسلك بي » .

٩٨ - ولما حضرت الوفاة فضيل بن عياض - رضى الله عنه - غشى عليه ثم أفاق فقال : « وَأُبْعَدُ سفرى وقلة زادى » .

٩٩ - وكان عامر بن عبد قيس يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة فلما حضره الموت بكى فقليل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة / ٢٧] وقد تقدم عنه كلام آخر قاله أيضاً عند الموت .
١٠٠ - ويروى أن ابن المنكدر نزل به الموت فبكى فقليل له : ما يبكيك ؟ فقال : « والله ما أبكى لذنبي أتيت وأنا أعلم أنى أتيت ولكنى أخاف أن أكون قد أتيت ذنباً حسبته هيناً وهو عند الله عظيم » .

وقد روى عنه كلام آخر يدل على علو منزلته .
واعلم أن ذكر الموت وغمره من الأذكار إنما يكون بالقلب وإقبالك على ما تذكر ، وأى فائدة لك رحمك الله فى تحريك لسانك ، إذا لم تحضر بجنانك ؟ وإنما مثل ذلك مثل من يكون فى بعض أعضائه جراحة فيريد أن يداوئها فيجعل الدواء على عضو آخر صحيح ويدع العضو المريض ليس عليه شيء فانظر كيف يستريح هذا بهذا التداوى أو متى يستريح ، إلا أن يأتيه البرء من بارئه والشفاء من خالقه سبحانه ، أو مثل من يريد أن يوقظ نائماً فيدعه فى غمرة نومه ويوقظ غيره فانظر كيف يستيقظ له ذلك الذى أراد بإيقاظه إيقاظ هذا الآخر أو متى يستيقظ ، وإنما سنة الله الجارية أن يقصد العضو المريض بدوائه والنائم ما يوقظ به ، اللهم إلا أن يكون فى إيقاظ هذا النائم حركة عظيمة ، ومعالجة كثيرة تتعدى إلى ذلك النائم الآخر يستيقظ فيكون إذا كأنه قد قصده بالإيقاظ مع صاحبه ، وأما إن كانت حركته لا تنعده فإن النائم الآخر يبقى بحاله وفى غمرات نومه ، حتى يوقظه الذى أنامه وبحركته الذى سكنه تبارك وتعالى .

وإنما مثل الذكر الذى يعقب التنبيه ويكون معه البرء من السقم والإيقاظ من النوم أن تحضر المذكور قلبك وتجمع له ذهنك وتجعله نصب عينيك ومثالاً حاضراً بين يديك ، وأن تنظر إلى كل ما تحبه من الدنيا من ولد أو أهل أو مال أو جاه أو غير ذلك فتعلم أنك لا بد لك من مفارقتها إما فى الحياة أو عند الممات سنة الله الجارية وحكمه المطرد ، وتشعر هذا قلبك وتفرغ له نفسك فتمنعها بذلك من الميل إلى ذلك المحبوب والتعلق به والهلكة بسببه ، كما قيل يا ابن آدم لا تعلق قلبك بما يأخذه منك الموت أو يأخذك الموت .

نظر رجل إلى بُنى له صغير يمشى بين يديه فأعجبه حسنه وأهبطه حركته فقال : « يا بنى لولا الموت لعلقت قلبى بك وأكثرت من حبى لك » . ونظر ابن مطيع يوماً إلى داره فأعجبه حسننها فبكأ ثم قال : « والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ، ولولا ما أصير إليه من ضيق القبر لقرت عينى بك . ثم بكأ حتى ارتفع بكأؤه وعلا نحيبه » .

واعلم أن طول الأمل داء عضال ومرض مزمن ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه ، واشتد علاجه ، ولم يفارقه داء ، ولا نجح فيه دواء ، بل أعيا الأطباء ويش من برءه الحكماء والعلماء

وقد ورد فى طول الأمد وذمه وفى التحريض على العمل والترغيب فيه ما فى بعضه الكفاية وما يقل منه يوصل إلى المقصود مع عون الله عز وجل قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر / ٣] .

١٠١- وقال عليه السلام « لا يزال قلب الشيخ شاباً فى اثنتين حب الدنيا وطول الأمل » (٨٢) ذكره البخارى ومسلم وغيرهما .

١٠٢- وذكر أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده عن عبد الله بن مسعود قال : « خط لنا رسول الله - ﷺ - خطاً مربعاً فقال هذا الأجل وخط فى وسطه خطاً

(٨٢) « لا يزال قلب الشيخ شاباً .. الحديث »

« صحيح » أخرجه البخارى (٢٣٩/١١) فتح) ومسلم (١٣٨/٧) نووى) وأحمد فى المسند (١١٩/٣) ، (١٦٩) والترمذى (٢٣٣٨) وابن ماجة (٤٢٣٣) والغوى فى « شرح السنة » (٢٨٣/١٤) واس حان فى « صحيحه » (٩٠/٥) والحاكم فى « المستدرک » (٣٢٨/٤)

وقال هذا الإنسان وخط في عرضه يعنى في جانبه خطوطاً فقال هذه الأعراض وخط خطأ خارجاً فقال هذا الأمل قال فالأعراض تنهشه وعينه إلى الأمل»^(٨٣) يريد عليه السلام أن الإنسان قد أحاط به أحله وأنه دائر به فحيث ما توجه لقيه وأن محن الدنيا وفنتها تعترضه وتنهشه وتلقاه وتستقبله وهو مع ذلك بعيد الأمل مصروف البصر إليه .

١٠٣- ويروى أنه عليه السلام « أخذ عوداً ففرزه بين يديه وبرز عوداً آخر إلى جنبه قريباً منه ثم أخذ عوداً ثالثاً ففرزه بعيداً منه ثم قال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم فقال : هذا الإنسان وأشار إلى العود الذى بين يديه ، وهذا الأجل وأشار إلى العود الذى إلى جنبه ، ثم قال : وذلك الأمل وأشار إلى العود الثالث البعيد ، فالإنسان يتعاطى الأمل ويختلج به قبل ذلك الأجل » .

١٠٤- ويروى أن النبي عليه السلام طلع ذات يوم على الناس فقال : « ألا تستحيون من الله ؟ فقالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال : تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون »^(٨٤) .

١٠٥- ويروى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : « اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله - ﷺ - يقول : ألا تعجبون من قدمت وإلى بيتك الحسن الذى بنيت قال فإننى لم أقدم عملاً صالحاً ولا بنيت بيتاً حسناً قال فإلى نار تلظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط بين أهله فمن بين صارخة تصرخ وباكية تبكى قال يزيد ولو يعلمون سوء المنقلب لكان العويل أعظم والبكاء أكثر »^(٨٥) .

(٨٣) صحيح * أخرجه البخارى (٢٣٥/١١) وأحمد (٣٨٥/١) والترمذى (٢٤٥٤) وابن ماجة (٤٢٣١) والدارمى (٣٠٤/٢) والبيهقى (٢٨٦/١٤) .

(٨٤) * ضعيف * قال الهيثمى - رحمه الله - رواه الطبرانى وفيه الوارع بن نافع وهو متروك .

(٨٥) * ضعيف * قال الحافظ ابن العراق : الحديث [رواه] اس أبى الدنيا في « قصر الأمل » والطبرانى في « مسند الشاميين » وأبو نعيم في « الحلية » والبيهقى في « الشعب » بسند ضعيف .

(٥) باب ما يستحب من أحوال الميت عند الموت وفي تلقين الشهادتين للمسلم وما يستحب للمسلم من الرجاء وحسن الظن بالله تعالى عند الموت

اعلم - رحمك الله - أن المحبوب من حال الميت عند الموت أن يكون يعلوه الهدوء والسكون ومن لسانه الكلام بالشهادتين ومن قلبه حسن الظن بالله تعالى .
١٠٦- وذكر الترمذى من حديث بريدة بن حصيب عن النبي - ﷺ - قال : « المؤمن يموت بعرق الجبين » (٨٦) .

١٠٧- ويروى في خبر عن النبي - ﷺ - : « ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه وإذا ذرفت عيناه ويست شفتاه فذلك رحمة الله تنزل به ، وإذا غط غطبط المجنون واخضر لونه وارتدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به » (٨٧) ، وأما انطلاق لسانه بالشهادتين فهو علامة الخير ودليل الشهادة إعادة الاتصال بالحضرة الإلهية .

١٠٨- ذكر أبو داود من حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله - ﷺ - : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » (٨٨) .

(٨٦) « صحيح » أخرجه الترمذى (٥٨٢/٣) عبد السائق ، وفيه انقطاع فإن قتادة لم يسمع من اس بريدة ، ومع ذلك فقد صحت له طرق أخرى . أخرجه اس ماجه (١٤٥٢) عبد الباقي) والحاكم في المستدرک (٣٦١/١) والسائق (٦/٤) من طرق صحاح عن اس بريدة عن أبيه .

(٨٧) « صعب » أورده المرطبي في « الذكرة » ص ١٩ عن سلمان بن وهب وعراه للحكيم الترمذى في « بوادر الأصول » وهو في « الإحباء » (١٣٣/٦) قال العراقى بعد أن عزاه للحكيم الترمذى في البوادر من حديث سلمان قال . « ولا يصح » ١ هـ

(٨٨) « صحيح » أخرجه أبو داود (١٣٠/٣) والحاكم في « المستدرک » (٣٥١/١) وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وليس كما قالوا فإن في إسناده صالح من أنى عريب لم يوثقه سوى ابن حبان راجع « شرح السه » (٩٦/٥) ومشكاة المصابيح (١٦٢١) « وصحح الجامع » (٦٣٥٥) و (٦٤٧٩)

- ١٠٩- وذكر مسلم من حديث عثمان بن عفان - رضى الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ - : « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة » (٨٩) .
- ١١٠- وذكر أيضا من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » (٩٠) .
- ١١١- ومن غير كتاب مسلم عن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « لما حضر ملك الموت رجلاً فنظر فى عمله فلم ير له شيئاً ففك لحية فوجد طرف اللسان لاصقاً بمنكه يقول لا إله إلا الله فغفر الله له بكلمة الإخلاص » (٩١) .
- ١١٢- وقال عمر - رضى الله عنه - : « احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله فإنهم يرون ما لا ترون » (٩٢) .
- ١١٣- وذكر مسلم من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله - ﷺ - فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعدو الله ابن أبى أمية بن المغيرة فقال رسول الله - ﷺ - : يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله . فقال أبو جهل . وعدو الله ابن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله - ﷺ - يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب : آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله - ﷺ - : أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله عز وجل :

(٨٩) * صحيح * أخرجه مسلم (٢١٨/١) وروى والخطيب فى « التاريخ » (٧٥/٦) .

(٩٠) * صحيح * وهو فى مسلم (٢١٩/٦) من حديث أبى هريرة والترمذى (٩٧٦/٣) عبد الباقي عن أبى سعيد رفعه وقال : « حسن صحيح » وعنه أيضاً رواه أبو داود (١٩٠/٣) والنسائى (٥/٤) وابن ماجة (١٤٤٤ ، ١٤٤٥) وابن حبان فى « صحيحه » (٤ ، ٣/٥) وأحمد (٣/٣) والمهقى (٣٨٣/٣) والغبوى فى « شرح السنة » (٢٩٦/٥) .

(٩١) ضعيف * أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب « المنصرين » كما أشار الحافظ العراقى والطبرانى والبيهقى فى الشعب وإسناده حيد إلا أن فى رواية البيهقى رجلاً لم يسم ، وسُمى فى رواية الطبرانى إسحق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف .

(٩٢) قوله . وقال عمر - رضى الله عنه - . احضروا موتاكم إلخ هو فى « باب ما يستحب من أحوال المختصر عند الموت » من الإحياء (١٣٣/٦) .

﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ [التوبة / ١١٣] وأنزل الله عز وجل في أي طالب فقال لرسول الله - ﷺ - : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [القصص / ٥٦] (٩٣) .

١١٤- ويروى وتعود أن له بتلك المقالة يعنى أبا جهل وعدو الله ابن أبي أمية .
١١٥- ويروى عن أنس بن مالك « أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي - ﷺ - فمرض فأتاه النبي - ﷺ - يعوده فقعده عند رأسه فعرض عليه الإسلام فقال له : أسلم فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده فقال له أبوه : أطع أبا القاسم فأسلم فقام النبي - ﷺ - وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه بي من النار » (٩٤) . ذكر هذا الحديث البخارى وأبو داود وغيرهما وينبغي أن لا يلح على الميت بتلقين الشهادة .

١١٦- قال ابن المبارك « لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه لأنه يخاف عليه إذا ألح عليه بها أن يرم ويضجر ويثقلها الشيطان عليه فيكون ذلك سبباً لسوء الخاتمة » (٩٥) .

وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به . وذكر أبو بكر الدينورى رحمه الله فى كتاب المجالسة عن الحسن بن عيسى قال لما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسى على التراب . قال فبكى نصر فقال : ما يبكيك ؟ فقال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هذا تموت فقير غرب فقال له

(٩٣) صحيح * أخرجه البخارى (٣٤١/٨) ومسلم (٢١٤/١) وابن حبان فى صحيحه (١٦٤/٢) وذكره الحافظ فى الإصانة (١٣٤/١١٢/٧ - ١٤٤) والقرطبى فى تفسيره الجامع (٢٧٢/٨) والسيوطى فى « الدر المنثور » (٢٨٢/٣) واس إسحق كما فى سيرة ابن هشام (٢٦٣/١) .

(٩٤) - صحيح - أبو داود (١٨٥/٣) وأحمد (١٧٥/٣ - ١٧٧ - ٢٦٠ ، ٢٨٠) الحاكم (٣٦٣/١) ، (٣٩١/٤) .

(٩٥) قوله (قال ابن المبارك - رحمه الله - : لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) صحيح * وهو فى ترجمة شيخ الإسلام ابن المبارك من سير أعلام النبلاء (٤١٨/٨) وراجع المعنى بالشرح الكبير (٣٠٤/٢) وما بعدها .

اسكت فإني سألت الله عز وجل أن يخيبنى حباة الأغنياء ويهيننى ميتة
الفقراء . ثم قال له : لقنى - يعنى الشهادة - ولا تعدها على إلا أن أتكلم
بكلام .

والمقصود أن يموت الرجل وليس فى قلبه إلا الله وحده لأن المدار على القلب
وعمل القلب هو الذى ينظر فيه وتكون النجاة بسببه .

وأما حركة اللسان دون أن يكون ترجمة عما فى القلب فلا فائدة فيها ولا خير
عندها ، وأما حسن الظن بالله عز وجل عند الموت فواجب قال عليه
السلام : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » .

١١٧- وقال عبد الله بن مسعود « والذى لا إله غيره يا بؤس للدنيا شدت عن ثديها
فطمتم ومن سمها أطعمتم ويدها الباطشة لطمتم وفى ظلمات الأرض
وغيايات الثرى طرحتهم فقلبت قائم تلك الأعيان ، وطمست تلك الوجوه
الحسان ، وأعمت تلك الأبصار ، وأصمت تلك الآذان ، أسالت الأحداق
على الخدود والوحنات وغسلت بالصدید جميل القسماں وملأت بالتراب
اللهازم واللهوات ، وكسعت تلك الضواحك والرباعيات ، وعشت
بجسوم أولئك الفتيان ونلك الفتيات ، لطال ما أغربوا ضاحكين وتقلبوا
فاكهيں ، وباتوا على سررهم مطمئين آمنين ، فكهم ها من لسان فصيح
لطال ما أنشد وخطب ، وأرهب ورغب ، ومدح فأطنب ، وأنابه الآن من
فصيح لسان وعظيم بيان أخرسه الحدثان وتحكمت فيه الهوام والديدان .

وأنشدوا :

ويجيبان إذا ما قال أو خطبا أتي بسحر بريق القول والخطبا .
أتى بسهل من الألفاظ فممتع جزل مصيب المعانى آية عجبا .
فلو تميع مضرا سلساً ولو تحسر كان خالصاً ذهباً .
رمت هذى المنايا وهى ضابطة سهمها فما هو إلا أن رمت كبا .
فأخر ميتة فما يبدى بضاحكة ولا يرد جواباً هان أم صعبا .
وبات مطروحاً فى قعر موحشة غرباء مصطنق الأحشاء مستلباً .
أعطى يديه لدنياه بما طلبت إذ أدرك الدود من جنبيه ما طلبا .
وكم هنا كم من مسعر حرب قد لبس أوزارها ، وأضرم نارها ، وأوصل إلى

القلوب أوارها ، وأقام سوقها ورفع غبارها ، كم أغار من غارة شعواء وفتك
من فتكة شنعاء ، وأثار من فتنة عمياء ، صال بجنان ، وطعن بسنان وركض
بحصان ، ولعب بفرسان ، وفرسان ، وقال خذها وأنا فلان بن فلان هاك
هو اليوم قد خيل جنانه وتكسر سنانه ، وأكب به حصانه ، لأبيه الويل
وحسرة سوداء مثل الليل ..

وأنشدوا :

ومقدام على الأهوال صدق لدى الفاتكات والأمر الكبير .
تبيت لذكره الأبطال سكرى وتضحى منه ضيقة الصدور .
فرض فرائص الفرسان رضاً ويحطمهن كالأسد المنصور .
طموح السيف لا يثنيه شيء جهول بالبشير والنذير .
أشار الموت من بعد إليه فخر موسداً لإحدى الصخور .
وكب حصانه ونبت أشباه واعلو نادبوه بالثبور .
وأنسى أن يقيم لواء روع يروعات أئته من القبور .
وإن أنت أطلت اعتبارك ، وأمعنت استبصارك ، فكم بها من عادة قد هجم
وشاحها ، ونور مصباحها ، وملء فتنة غدوها ورواحها قد فتكت بذلك
الأسد المنصور ، واقتنصت ذلك الفارس المذكور ، أدلت إدلالها ، وجرت
أذيالها ، وأرسلت جمالها ، فعملت أعمالها ، وسلبت الملوك قلوبها وأموالها ما
كان فأوشك من أن صارت جيفة من الجيف ، تبعد وتصرف ، وتنكر ولا
تعرف أحسن أحوالها ، إن ثلب في سربالها وتدفع لجمالها ، فتطرح في من
الأرض قريب الطول والعرض ، مظلم القعر ، إلى يوم القيامة ، والخير فضاء
الله النازل من سمائه وحكمه في عبيده وإمائه .

وأنشد بعضهم :

عرج على القبر بدار البلى حيث منى نفسى مقبور .
حيث هوى بدر الدجى ساقطاً قد زال عن صفحة النور .
وحيث حلت داعيات الهوى أجمع مسموع ومنظور .
يا ظبية بطن الثرى أسكنت وبيتها في القصر مشهور .

حقاً تمطيت على رضمة جنبك منها اليوم مكسور .
وطال ما بت على سندس بالذهب الإبريز مضبور .
وجسمك الناعم حنا به للتراب تشقيق وتقطير .
وطال ما أثر من قبل ذا في لينه و متم وتفكير .
وثغرك العذب ويا ويلتنا فيه الديدان جمهور .
ولو به غل قتيل الهوى قبل الأضحى وهو منشور .
وشعرك الجثل وعمره به فيه فبيث المسك مشور .
قد عشتت فيه بنات الثرى ففيه تشعيث وتغير .
يا حسرتا مت يا حسرتا لو كان يغنى اليوم تحسير .
ياتا التى أعجبها عطفها قبرك فى الأقبر محفور .
وكلنا ذاك ولكننا كل بهذى الدار مسحور .

فأنت إذا تذكرت هذه الأذكار وأطلت لها الترداد والتكرار وأعملت فيها النظر والاعتبار ، ورأيت أنك واحد من المذكورين ملكا أو غير ذلك من أصناف الناس ورأيت خلقتك خلقتهم ، وصفتك صفتهم ، وأنه لا بد أن يصيبك من الموت ما أصابهم ، وينزل بك منه ما نزل بهم ، وأنت تشاهد بهذه الدار أنواع المصيبات ، وأجناس البليات ، وضروباً من الهلكات ، وأن الموت واحد وأسبابه كثيرة فمن رجل باشر الكفاح فتخللته الرماح ، وتمكنت من رقبتة السفاح ، وربما كان هذا أسهلهم مماتاً ، وأكرمهم وفاة ، وثان قد طرح فى أيدي أعدائه ، وأسلم لبلائه ، فقطعوه إرباً إرباً وفصلوه عضواً عضواً ، وثالث [قد ساقوا ألوان] العقاب إليه ، وصبوا أنواع العذاب عليه وما مات حتى كان الموت أحب غائب إليه وأكرم قادم يقدم عليه ، ورابع قد أمسى أكيلة حوت فى ظلمات البحار ، وخامس فريسة أسد فى موحشات القفار ؛ إلى غير ذلك من الأمراض الصعبة والآلام الشاقة ، وما تظنه ومالا تظنه حتى إن الرجل هم بالطعام ويسرف بالشراب فيكون فى ذلك حتفه ، وتذهب فيه نفسه .

كما قال القائل :

وما طريق الموت فى ذا الورى واحدة بل جمة الأحبة .
وربما لذ امروء شربة فانقلبت وهى له شاربة .

وأسباب الموت : أكثر من أن أحصمها لك ، وأعدها عليك ، ولا تدري ما السبب الواصل إليك منها ، ولا النصيب الذى قسم لك من جملة ما ، وإنك لا تدري متى يهجم عليك الموت فيقصمك ، ولا متى ينزل عليك فيحطبك ، ولعله لا يهلك حتى تقضى نفسك ، فأنت إذا واطبت على هذا تمكن ذكر الموت من قلبك وملكت القياد من نفسك ، ونظرت بعون الله عز وجل فى أمرك ، ومهدت المضجع من قبرك وأعددت به الأنيس ليوم حشرك ، وإلا فقد نبه من حذر وأعذر من أنذر ولا لوم إلا على المقصر ، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ولعلك تقول : يا هذا قد أرعدت فى ذكر الموت وأبرقت ، وطولت فيه وعرضت ، وعرضت فى كلامك بمن عرضت وأموت بالتفكر فيه ، والاشتغال به ، وجمع الهم له وتقصير الأمل ، والخوف من انقضاء الأجل ، وأى فائدة فى ذكر الموت وأنواعه ، وضيق العمر واتساعه وهذا أمر قد فرغ منه ، وأعجزت الحيلة فيه وكما تقول لى لا تكثر الانشغال بأمر الرزق ولا تنغم له ولا تتفكر فيه وأنه مقدر مفروغ منه وما قدر يأتك فكذلك الموت أيضاً وأسبابه ، والعمر ومدته ، كل ذلك أمر مقدر مفروغ منه ما قدر على يصيبني وما كتب على يأتيني . فأقول نعم كلاماً قد سبق فى الأزل وكتب فى القسم الأول ، والسبب الذى كتب عليك فى الموت لن تتعده ، والعمر الذى قسم لك لن تتخطاه ، ولكن بين الأمرين فى الاشتغال بهما فرقان ، وذلك أن الرزق المقدر المفروغ منه لا يزيد فيه حرصك ولا ينقص منه كسلك وعجزك ، وإن كانت له أسباب ، ولطلبه أبواب فقد تتعلق بأسبابه ، وتأثيه فى الظاهر من أبوابه ، فتكون أحد المحترمين والمجاهدين المحدودين ، هذا أمر قد شوهد بالعيان ، وعلم به كل إنسان فلا يفيدك الطلب ، إلا العناء والتعب ، ولست بمأجور فى الحرص ، ولا فيما تتحمله من مشقة الطلب لأكثر مما تحتاج إليه ، وربما تبرمت فى الحال ، ولم تنظر فى المال ، وسخطت قضاء الله عليك ، وحكمه فيك ، وإرادته لك وفى هذا ما فيه ، وقد تؤجر فيما يصيبك من المشقة فى طلب أكثر مما تحتاج إليه إذا كان لك فيه نية صالحة من صدقة أو صلة رحم أو غير ذلك من أفعال الخير وأعمال البر ، وأما إن كان سعيك ذلك للتكاثر والتفاخر ومحبة فى المال فلا ، والحول والقوة لله وحده .

وأما ذكر الموت والتفكير فيه فإنه وإن كان أمراً مقدراً مفروغاً منه فإنه يكسبك بتوفيق الله سبحانه التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت والنظر فيما تقدم عليه ، وفيما يصير أمرك إليه ، ويهون عليك مصائب الدنيا ويصغر عندك نوائبها ، فإن كان سبب موتك سهلاً^(٩٥) [وأمره قريباً هيناً فهو لك ، وإن كانت الأخرى كنت مأجوراً فيما تقاسيه مثاباً على فعله] [و] لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده .

١١٨- وقال عبد الله بن عباس : « إذا رأيتم الرجل قد نزل به الموت فبشروه حتى يلقي ربه وهو حسن الظن به وإذا كان حياً فخوفوه بربه وذكروه شدة عقابه » .

١١٩- وقال المعتمر بن سليمان : « قال لي أبي عند موته : يا معتمر حدثني بالرخص لعلني أن ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به وكانوا يسحبون أن يذكر العبد بمحاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه »^(٩٦) .

١٢٠- وقال الفضيل بن عياض « ما دمت حياً فلا يكن شيء عندك أخوف من الله عز وجل فإذا نزل بك الموت فلا يكن عندك شيء أرجى من الله عز وجل » .

١٢١- ويروى أن حذيفة بن اليمان لما نزل به الموت قال : [حَيِّبٌ] [جَاءَ] على فاقة قد كنت قبل اليوم أحسنك وأنا اليوم أرجوك »^(٩٧) .

١٢٢- ويروى عن الحسن بن الليث أنه قال : « رأيت محمد بن محمد الرازي في المنام فقلت له يا أبا عبد الله ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي . قلت : بم ؟ قال برجائي له منذ ثمانين سنة » .

١٢٣- ودخل واثلة بن الأسقع على رجل فوجده في الموت فقال له أخبرني كيف ظنك بالله تعالى فقال الرجل : « أغرقتني ذنوبي وأشرفت على الهلكة ولكن

(٩٦) قوله . وقال المعتمر بن سليمان . إلخ الإحباء (١٣٥/٦) وأوردها في المعنى والشرح الكبير (٣٠٢/٢) .

(٩٧) قوله . ويروى أن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - لما نزل به الموت .. إلخ سير السلاء (٣٦٨/٢) وقال في الحاشية ذكره في الكنز (٣٤٦/١٣) وسهه إلى ابن عساكر - والتصوب من « السر » و « الحلية » .

أرجو رحمة الله تعالى فكَبَّرَ واثلة وكَبَّرَ أهل البيت لتكبيره . قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : قال الله تعالى : « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء » (٩٨) .

١٢٤- ويروى أن النبي - ﷺ - دخل على شاب وهو في الموت فقال له : « كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال النبي عليه السلام : « هذان أمران لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرحو وأمنه الذي يخاف » أخرجه الترمذي (٩٩) .

١٢٥- وقال ثابت البناني : « كان شاب به حدة وكانت أمه تعظه وتقول له يا بني إن لك يوماً فاذكر يومك وإن لك مصرعاً فاذكر مصرعك فلما نزل به أمر الله تعالى كبته عليه أمه فجعلت تقول أي بى قد كنت أحذرك مصرعك هذا فقال لها يا أمه إن لى ربا كثير المعروف وإنى لأرجو أن لا يعذبني بكرمه ورحمته قال ثابت فمات فرحمه الله بحسن طنه بربه » وأخبر بذلك في النوم أو أخبر به عنه « (١٠٠) .

١٢٦- وقال جابر بن عبد الله « كان شاب به زهو فتزل به الموت فقالت له أمه يا بني توصى بشيء قال نعم خاتمي ادفيني به فإن فيه ذكر الله تعالى فلعله يرحمني فلما دفن روى في النوم فقال أخبروا أمي أن الله قد غفر لى » (١٠١) .

١٢٧- وقال ذو النون المصري رحمه الله « كان في جوارى شاب مسرف على نفسه

(٩٨) صحيح . أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٧/٢) وله شواهد منها ما أخرجه البخاري - رحمه الله - (٣٢٥/١٣) ومسلم (٢/١٧) ، ٣ ، نووى ، والترمذي (٥٩٦/٤) واليعقوبى في « شرح السنة » (٢٣/٥) . (٢٤) والحاكم في المستدرک (٤٩٧/١) والطيالسي (١٩٦٧) وغيرهم

(٩٩) حسن . أخرجه الترمذي (٩٨٣) عبد الباقي ، وابن ماجة (٤٢٦١) وعبد الله بن أحمد في « روائد الرهد » ص ٢٤ - ٢٥ وابن أبي الدنيا كما في « الترغيب » (١٤١/٤) (١٠٠) قوله وقال ثابت الساقى كان شاب به حدة الخ الإحياء (١٣٤/٦) .

(١٠١) قوله (وقال جابر بن عبد الله) هو في الإحياء جابر بن وداعة (١٤) كان شاب به زهو .. [في الإحياء شاب به زهو ... إلى قوله أخبروا أمي أن الله قد غفر لى] في الإحياء أخبروا أمي أن الكلمة قد معتنى [راجع الإحياء (١٣٤/٦)]

كثير الخطايا فمرض فدخلت عليه أعوده فإذا هو قد مات وأوصى أن يكتب على قبره شيء فرأيت في منامي فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي فقلت بماذا ؟ قال : فكرت في جرمي وفي عفوه فرأيت عفوه أكثر من جرمي . قال ذو النون : فلما أصبحت جئت إلى قبره فإذا عليه مكتوب :

حسن ظني بك كان مني جراني عليك .

فارحم اللهم عبداً صار رسماً في يديك .

١٢٨- ويروى عن بعض الصالحين قال : قال مالك بن دينار : « رأيت مسلم ابن

يسار في النوم بعد موته بسنة فسلمت عليه فلم يرد علي السلام فقلت له : لم

لا ترد السلام علي ؟ قال وكيف أرد السلام عليك وأنا ميت ؟ فقلت له :

وماذا لقيت بعد الموت قال ودمعت عينا مالك عند هذا القول فقال : لقيت

أهوالاً وزلازل وعظائم وشدائد . قال مالك فقلت له : فما كان بعد ذلك ؟

قال وما تراه يكون من الكريم إلا الكرم قبل منا الحسنات وغفر لنا السيئات

وضمن عنا التبعات كما كان حسن ظني به . قال : ثم شق مالك شهقة خر

مغشياً عليه فلبث بعد غشيته أياماً مريضاً ثم مات من مرضه ذلك وكان يقال

إن قلبه انصدع ولولا حسن الظن بالله عز وجل لهلك الخلق » .

ومرض أعرابي فقيل له : إنك تموت : فقال : وإذا مت فأين يذهب بي ؟

فقالوا إلى الله تعالى قال [أكرهه] من أن يُذهب بي إلى من لا يرى خيراً إلا

من عنده » (١٠٢) .

(١٠٢) قوله : ومرض أعرابي فقيل له : إلى الإحياء (١٣٥/٦) والتصويب منه .

(٦) باب في الجنائز وفضل اتباعها

١٢٩- ذكر البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « من تبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معها حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع وارتفع درجته » (١٠٣) .

١٣٠- ولما نزل الموت بسليمان التيمي قيل له : أبشر فقد كنت مجتهداً في طاعة الله فقال : « لا تقولوا هكذا فإنه لا أدري ما يبدو إلى من الله عز وجل فإنه سبحانه يقول : ﴿ وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ » قال بعضهم عملوا أعمالاً كانوا يظنونها حسنات فوجدوها سيئات .

١٣١- وكان الجنيد يقرأ القرآن وهو في سياق الموت فختم ف قيل له : في مثل هذا الحال يا أبا علي ؟ فقال : « ومن أحق بذلك مني وها هو ذا تطوى صحيفة عملي ثم كبر ومات وقيل له قل لا إله إلا الله فقال ما نسيت فأكذره » .

١٣٢- ولما نزل الموت ببشر الحافي وكان على ما كان عليه من العبادة والزهادة شق عليه وساءه ف قيل له أتحب الحياة يا فلان ؟ فقال : « القدوم على الله شديد » .

١٣٣- ولما حضر أبا سليمان الداراني الموت قال له أصحابه : « أبشر فإنك تقدم

(١٠٣) - صحيح - أخرجه البخاري (١٩٦/٣) فتح ومسلم (١٣/٧) نووي) والترمذي (١٠٤٠) عبد الباقي وصحبه، وأبو داود (٢٠٢/٣) والسنائي (٥٥/٤) سيوطي) وابن ماجه (١٥٣٩) والبيهقي (٤١٢/٣)، (٤١٣) وأحمد (٢٣٣/٢)، (٢٤٦)، (٢٨٠)، (٣٢١)، (٤٠١) والطيالسي (١٥٨١) وابن حبان في « صحيحه » (٣٢/٥) والبيهقي في شرح السنة (٣٧٧/٥) .

على رب غفور رحيم فقال لهم : ألا نقولون تقدم على رب بحاسك بالصغير ويعافبك بالكبير .

أبو سليمان هذا غلب عليه الخوف في هذا الحال فنكلم عن حاله ١٣٤- وقيل لرويم عبد الموت : « فل لا إله إلا الله فقال ما أحسن غيرها » . وكان رويم هذا من الصالحين يروى أنه كان يدعو الطير فنجيه . واحتضر بعض الصالحين فكت امرأته فقال : « ما يبكيك ؟ فقالت : عليك أبكى قال : إن كنت باكية فابكى على نفسك فأما أنا فقد بكيت على هذا اليوم منذ أربعين سنة » .

١٣٥- ولما حضرت أبا على الرودباري الوفاة كان رأسه في حجر ابنته فاطمة ففتح عينيه ثم قال : « هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد رخرت وهذا قائل يقول : يا أبا على قد بلغناك المرتبة الفصوى وإن لم نردها ثم قال : وحقك لا نظرت إلى سواكا بعين موده حتى أراكا » . كان أبو على هذا ممن بعبد الله لذاته وكان يقول لا أريد الجنة ونعيمها إنما أريدك يا رب .

١٣٦- وكذلك كان ممشاد الدينوري ولما نزل به الموت جعل بعض المشايخ يدعو له فضحك وقال : منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما نظرت إليها . ويروى أن بعض الصالحين لما نزل به الموت ضحك وقال : « يا صادق با وفي وفيت لي وما وفيت لك »

١٣٧- ويروى عن عبد الله بن المبارك أنه لما احتضر نظر إلى السماء فضحك ثم قال : ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ [الصافات / ٦١] . ومثل هذا يروى عن بعض أصحاب ابن فورك « وكان من الصالحين المجتهدين أنه نزل به الموت فشخص ببصره إلى السماء ثم قال يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون » .

١٣٨- وقال الجنيد « دخلت على سري السعطي -- رضى الله عنه -- عند الموت وكان ممن أحرق قلبه الخوف فقلت له : كيف نجدك ؟ فقال : كيف أشكو إلى طبيبي ماى والذي قد أصابنى من طيب . فأخذت المروحة لأروح عليه فقال كيف نجد ربح المروحة من قلبه يخترق ثم أنشد :

القلب محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترق .
 كيف العزاء على من لا فرار له
 مما جناه الأسى والشوق والقلق
 يارب إن كان الهوى شئ ثم فيه لى فرج فامنن على به مادام لى رفق .
 ثم ذكر الله ومات رحمة الله عليه .

١٣٩- ويروى عن عبد الله بن شبرمه أنه قال : « دخلت مع عامر الشعبي على مريض بعوده فوجدناه لما به ورجل يلقيه الشهادة يقول له قل لا إله إلا الله وهو يكثر عليه فقال له الشعبي : ارفق به . فتكلم المريض وقال إن تلقنى أولاً تلقنى فإنى لا أدعها ثم قرأ ﴿ وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ [الفتح / ٢٦] فقال الشعبي : الحمد لله الذى أنجا صاحبنا . وحكى أن قوماً من أصحاب الشبلى قالوا له عند الموت : قل لا إله إلا الله فأنشد :

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج .
 وعليلاً أنت زائره قد أتاه الفرج .
 وجهك المأمول حجتنا يوم يأتى الناس بالحجج .
 لا أتاح الله لى فرجاً يوم أدعو منك بالفرج .
 يريد الشبلى رحمه الله أن القلب إذا امتلأ بعظمة الله وجلاله لم يحتاج إلى منبه ينبهه ولا إلى مذكر يذكره .

١٤٠- ودخل [المزنى] على الشافعى فى مرضه الذى مات منه فقال له : « كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسىء عملى ملاقياً ولكأس المنية شارباً وعلى ربى تبارك وتعالى وارداً ولا أدرى روحى إلى الجنة فأهنيها أو إلى النار فأعزيها » (١٠٤) .
 واسترحم فلم يرحم ، ومضى على ما شاء من رأيه وصمم ، بنى المدائن

(١٠٤) قوله ودخل المزنى على الشافعى رحمه الله فى مرضه .. إلخ فى الإحباء [لسوء عملى ملاقياً] وهناك من الزيادة .. :

* ولما قسى قلبى وضافت مذهبى جعلت رحاتى محو عفوك سلماً
 * تعاطمى دنبنى فلما قربته عموك - رى - كان عموك أعطماً

والحصون وأكثر من ماله المخزون ، واستعد لما قد يكون أو لا يكون ، حتى إذا استحكمت له الأمور وأطال الفرح والسرور ، وزخرف الدساكر والقصور ، وظن أن قد ساعده فيما بقى من أمله المقدور ، قلبت له الدنيا ظهر المجن ، وكسته من حصنها ما أجن ، وسقته من كربها ما يسكرو به ويجن ، نظرت بعينها الشوساء إليه ، وقبضت ما كان في يديه ، وأتت بنيانه من قواعده فألقته عليه فأصبح وقد هد ذلك البنيان ، وسقط ذلك الإيوان وتبددت تلك المقاتلة والفرسان ، وتفرقوا شذر مذر ، بكل مكان وأصبح كأنه ما كان وقيل ملك في سالف الزمان ملك يقال له فلان بن فلان ، لم يحصل مما ملك من البلاد ولا ما ادخر من العتاد إلا على حنوط وكفن ، وحفره ضيقة القطن يحبس بها ويرتن ، بكل ما عمل من قبيح أو حسن .
وأنشدوا :

يا باني القصر الكبير بين الدساكر والقصور .
ومجرر الدجى الجيش الذى ملأ البسيطة والضروز .
ومروح الأرض التى أعيت على مر الدهور .
أما فرغت فلا تدع بنيان قبرك فى القبور .
وانظر إليه تراه كيف إليك معترضاً بشير .
واذكر رقادك وسطه تحت الجنادل والصخور .
قد بُدِّدَتْ تلك الجيوش وغبرت تلك الأمور .
واعتصمت من لين الحرير خشونة الحجر الكبير .
وتركت مرتهاً به لا مال وبك ولا عشر .
حيران تعلق بالأسى لهفان تدعو بالشبور .
ودعيت باسمك بعدما قد كنت تدعى بالأمير .
ولأنت أهون فيه من جُعليل على نتن يدور .
إن لم يَجِدْ بالعفو من يعفو عن الذنب الكبير .
هذا هو الحق اليقين وكل ذاك هو الغرور .

* فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تمحود وتعمو منة وتكرما
وما بين المعكفين [المزي] الإمام صاحب الشافعى الإمام وروايته رحمهما الله - غير واضحة بالأصل

وأنشدوا أيضاً :

أبادَ ذا الدهرُ أملاكاً وما مَلَكُوا ودار مستعقباً عليهم الفلكُ
أدار دورته في أرضهم فعثرت كالراح ليس بها لناظر ته . .
رمى بهم حيث لا قيعان بمسكنهم ولا مرار بها المرمى بمسك .
هوت هوى ثقیل الصخر مناهم فلا خسيس ولا ركز ولا حرك .
عدت رؤسهم من تحت أرحلهم وزلزلت بهم الأطباق والدرك .
يا بطشته من حلیم ما هامل وغضبة من عزيز قالها درك .
جروا إلى اللهو فلا من أعتبهم حتى إذا ما رأوا حيل الردى برك .
حطموا بدار البلى منازل حرجا وليتهم ويحهم فهن ترك .
لطلال ما نقصوا ملكاً وما هدموا عزاً وما هتكوا سترأ وما فتك .
مروا وما بلغوا كل الذى طلبوا ولا قضوا وطراً من كل ما ترك .
أصحاهم اليوم صرف الدهر أو هلكوا كما أظلم بالأسراء تلك .

وأنشدوا أيضاً :

أفاض على الملك سرباله وجرر في العز أذياله .
وصاح فوفاه ما شاء من مدبر يعلل أشباله .
وزلزلت الأرض من أجله وقال فكان الذى قاله .
ولابد يوماً له أن يصيح ويئدى شجاه وإعواله .
ولا أحد مستجيب له ولا أحد كاشف حاله .
وتأثيه في سرية روعة تقطع بالموت أوصاله .
ويطرح فرداً لدار البلى ويترك فيها وأعماله .
فكم قائل عنه لا يبعدن وكم قائل فيه أولى له .
قل للذى شاء سلطانه وطول ما شاء أمثاله .
تأهب لتصرع صرع الزجاج وتلحق هذا وأمثاله .
وتحمل مما جمعت الأجاج وتترك للناس سلساله .
وإما نسيت فلا تنسين يوم الحساب وأهواله .
مثالك تعلم على الذنوب وشوم الخلاب وأنكاله .

واعلم رحمك الله أن كثرة الاشتغال بالدنيا وإفراغ المجهود فيها والميل بالكلية إليها وحلاوة أحاديثها ولذة أمانها تمنع حرارة ذكر الموت أن ترد على القلب وأن تلج فيه لأن القلب إذا امتلأ بشيء لم يكن لشيء آخر فيه مدخل ولا لسواه فيه مجال ألا ترى الإناء إذا كان ملاءه بشيء لم يمكنك أن تدخل عليه شيئاً آخر ، ووجهك إذا صرفته إلى موضع صرفته عن موضع آخر ، ومتى دام القلب على هذا لم يكن لذكر الموت فيه تأثير ولا ليزداده عليه جلاؤه كيف يؤثر فيه وهو لا يجد مكاناً ينزل فيه ولا موضعاً يتعلق به ، قد ملاءه حب الشهوات الفانية ، واللذات المنصرفة ، فهو شبعان ريان ، حيران سكران ، أصم أعمى ، إن عرض عليه طريق هدى لم يره أو نودى باجتناب ردى لم يسمع .

فإذا أراد صاحب هذا القلب سماع الحكمة والانتفاع بالموعظة لم يكن له بد من تفرغه لبجد الذكر فيه منزلاً وتلقى الموعظة فيه محلاً قابلاً ، ولا يزال يتعاهده ويتفقد بالآذكار والأفكار والنظر والاعتبار ، آناء الليل وآناء النهار ، لئلا يرجع إلى ما كان عليه من الرين ، ويعود إلى حالته الأولى من العير . وإن لم يقدر على تفرغه فرغ منه ما أمكن وجعل مكان ما أزال ضده فيجعل مكان الغفلة ذكراً ومكان الفرح حزناً ومكان الاغتياب ندماً ومكان السهو تيقظاً ولا يزال هكذا يزيل شيئاً ويجعل مكانه ضده ويستعين بجعل هذا على إزالة هذا وبإزالة هذا على جعل هذا وبالله يستعان على كل ما يحاول ، وبمنه وتيسره سبحانه يتناول كل ما يتناول لا رب غيره ولا معبود سواه .

واعلم رحمك الله أن مما يعينك على الفكرة في الموت ويفرغك له ويكثر اشتغالك به تذكر ما مضى من خلانك وإخوانك وأصحابك وأقرانك الذين مضوا قبلك وتقدموا أمامك ، كانوا يحرصون حرصك ويسعون سعيك ، ويأملون أملك ، ويعملون في هذه الدنيا عملك ، وقضت المنون أعناقهم ، وقلعت أعراقهم ، وقصمت أصلابهم ، وفجعت بهم أهلهم وأحبابهم ، فأصبحوا آية للمتوسمين وعبرة للمعتبرين .

١٤١ - يروى عن أبي هريرة قال : قال لي رسول الله - ﷺ - : « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جمعاً ؟ قلت : بلى يا رسول الله قال : فأخذ بيدي وأنى وادياً من

أودبه المديده فإذا مزيلة فجها رؤس عظام وحرف بالية وعدرات ففال
با أنا هريره أنه لس بن الحنة والنار منرل وأنكم صائرون إلى
إحداهما» (١٠٥)

١٤٢- وروى عن عبد الله بن عمرو أنه قال . « سما نحن نصلح حُصصًا لَنَا إِذْ مَرَّ بِنا
رسول الله - ﷺ - فقال : ما هذا ؟ فقلنا . يا رسول الله قد وَهَى فِىْ
نَصلِحه فقال ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك » (١٠٦) ذكره الترمذى
والخُصَّ بيت من قصص يربد علمه السلام بعجل الأمر ونقربه وخوف بعنه
والحدر من فحاته .

١٤٣- وقيل للحسن البصرى . « يا أنا سعيد ألا تغسل فميصك ؟ فقال : الأمر
أعجل من ذلك » (١٠٧) كان الحسن - رحمه الله - فصر الأمل طوبل
الخوف وكان باقى عليه الأحياء بظن أن الموت قد نزل به وأنه فى سيفه من
كنزه نفكره فيه ونخيله له .

١٤٤ وقال داود الطائى : « لو آمَلْتُ أن أعيش شهرا لرأيت ألى قد أسئت عظيمما
وكيف | أوْمل | ذلك وأنا أرى الصنائع سرل بالخلائق آناء الليل
والنهار » (١٠٨) .

١٤٥- وقيل للربيع بن خيثم : كيف أصبحت فقال : « كيف بصبح رحل إذا
أصبح لا يدرى أنه بمسى وإذا أمسى لا يدرى أنه يصبح » .
امتثل الربيع - رحمه الله - الحدث المروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب
قال : « أخذ رسول الله - ﷺ - بمنكى وقال : كُنْ فى الدنيا كأنك
غريب أوْ عابر سبيل وعُدَّ نَفْسَكَ فى أهل القبور ، وإذا أصبحت فلا تغد
نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تغد نفسك بالصباح وحد من حباتك

(١٠٥) خير أن هريرة . لم أقف علمه بهذا اللفظ فلتحرر

(١٠٦) صحيح أخرج الترمذى (٢٣٣٥) وأبو داود (٥٢٣٥) وابن ماجه (٢١٦٠) وأحمد (١٦١/٢)
والعموى فى « شرح السنه » (٢٣٢/١٤)

(١٠٧) قوله (وقيل للحسن البصرى رحمه الله . يا أنا سعيد ، ألا تغسل قميصك) إلخ - الإحياء (١١٣/٦)

(١٠٨) قوله وقال داود الطائى . لو آمَلْتُ . إلخ - الإحياء (١١٣/٦) والصويب ما والله تعالى أعلم

لمونك ومن غناك لفقرك ومن صحتك لسقمك فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غدا» (١٠٩) .

وقوله : وإذا أصبحت الكلام إلى آخره فأكثر ما يروى من قول عبد الله بن عمر - رضى الله عنه - ذكر الحديث الترمذى وغيره .

١٤٦- وقال ابن عباس : « ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول الله - ﷺ - بمثل كتاب كتبه إلى علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - ، أما بعد : فإن الإنسان يسرُّه درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحاً ، ولا بما فاتك منها ترحاً ، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة بطول الأمل فكأن قد والسلام » (١١٠) .
وقال بعض الحكماء : « العاقل يعتمد على عمله والجاهل يعتمد على أمله » .
وقال آخر في موعظة له : « كلنا قد يتقن الموت وما نرى له منا مستعداً ، وكلنا قد يتقن الجنة وما نرى منا لها عاملاً ، وكلنا قد يتقن النار وما نرى لها منا خائفاً ، فعلام تفرحون ، وما عسى تنتظرون ، وماذا تترجون ، وماذا تؤملون ، الموت أول قادم يقدم عليكم بخير أو بشر ، فيا إخوتاه سيروا إلى الله سيراً جميلاً ، فيا إخوتاه سيروا إلى الله سيراً جميلاً » .
وقال آخر : « بطول الأمل تقسو القلوب وبإخلاص النية تقل الذنوب » .
ويروى عن شقيق البلخي أنه جاء إلى أستاذ له يقال له أبو هاشم وفي طرف كسائه شيء مصرور فضرب عليه الباب فخرج إليه فرأى ما في كسائه فقال

(١٠٩) - صحيح - أخرجه البخارى (٢٣٣/١١) ، و (قوله) : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح .. إلخ إنما هو مدرج من كلام ابن عمر - رضى الله عنهما - وليس من الحديث المرفوع ، وأما قوله هنا « وعُد نفسك من أهل القبور .. » فزيادة في رواية أحد رواة الحديث هو ليث بن أبي سليم عند أحمد والترمذى فأخرجه أحمد (٢٤/٢) من طريق وكيع عن سفيان عن ليث عن معاهد عن ابن عمر به ، والحديث عند الترمذى (٢٣٣٤) وأبى نعيم في « الحلية » (٣٠١/٣) والبعوى في شرح السنة (٢٣٠/١٤) من طريق الأعمش به

(١١٠) (قوله) وقال ابن عباس ... إلخ انظر له « نهج البلاغة » (٤٥٨/٤ - ٤٥٩) ، وأوردها القاضى أبو بكر الباقلاوى في كتاب « إعجاز القرآن » (ص - ١٤٦ - صقر) وعزاها في الحاشية « لأمالى أبى على القالى (٩٤/٢) والتصويب من « الإعجاز » و « نهج البلاغة » والله تعالى أعلم .

له ما هذا الذى فى كسائك فقال : « يا أسناذ دفع إلى أخ لى لوزات وقال أحب أن تُفطر عليها . فقال له يا شقيق وأنت تحدث نفسك أنك تعيش إلى الليل لا أكلمك ثم أغلق الباب فى وجهه ودخل » (١١١) .

ويروى عن الحسن أنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أكلكم يحب أن يدخل الجنة ؟ قالوا : نعم يا رسول الله - ﷺ - فقال : قصرُوا آمالكم ، وثبتوا آجالكم بين أبصاركم ، واستحيوا من الله حق الحياء » (١١٢) .

وقال بعضهم : « رأيت زرارَةَ بن أوفى فى المنام بعد موته فقلت له : أى الأعمال أبلغ عندكم ؟ قال : التوكل وقصر الأمل » (١١٣) .

وقال بعضهم فى موعظة له : « أيها الناس حسنوا أعمالكم ، وقصروا آمالكم ، واعلموا أن الموت معهود بنواصيكم ، وأن الدنيا تطوى من ورائكم » .

١٤٨- وقال الثورى : « الزهد فى الدنيا هو قصر الأمل وليس بأكل الخشن ولبس القباء » (١١٤) وصدق الثورى - رحمه الله - فإن من قصر أمله لم يتأق فى المطعومات ولا تفنن فى الملبوسات وأخذ من الدنيا ما تيسر واجتزأ منها بما يبلغ .

وفى بعض الخطب : أيها الناس : إن سهام المنية قد قذفت إليكم فانظروها ، وحباله الأمل قد نصبت بين أيديكم فاحذروها ، وفتن الدنيا قد أحاطت بكم من كل جانب فاتقوها ، ولا تغتروا بما أنتم فيه من حسن الحال ، فإنه إلى زوال ، ومقيمه إلى ارتحال ، ومتمده إلى تقلص واضمحلال ، أما تسمعون أيها الناس ما به توعظون ، أما تعتبرون بما إليه تنظرون ، أما

(١١١) (قوله وقال شقيق ...) الإحياء (١١٣/٦) .

(١١٢) (قوله) - مرسل ، وقال العراقى [رواه] ابن أبى الدنيا من حديث الحسن مرسلأ « ا.هـ .

(١١٣) (قوله) وقال بعضهم : رأيت زرارَةَ بن أوفى ... إلخ (١) * ضعيف * بجهالة هذا الـ « بعض » وهو فى « الإحياء » (١١٣/٦) .

(١١٤) (قوله) وقال الثورى : الزهد . . إلخ - « الإحياء » (١١٣/٦) .

تفكرون فيما عنه تزولون ، وفيما إليه ترجعون ، وعليه تقدمون ، أين من تقدمكم وكان قبلكم ممن أمل أملككم وسعى سعيكم وعمل عملكم ، أين الذين بنوا المدائن ، وملأوا الخزائن ، واستعدوا لما هو عندئذ كائن ، أين الذين عرشوا في روضة الملك ، ونظموا الأمال في سلك ، وهتكوا حجبها أيما هتك ، وكانوا في ظاهر أعمالهم في ريب من الزمان وفي شك .

أنظر إليهم كيف نصبت لهم هنا ولا تخشى هناك إلا فيما كنت فيه هنا إن صلاح فصلاح وإن مجون فمجون ولعل هذا هو تأويل الخبر المروى عن النبي ﷺ - : « يبعث الميت في ثيابه التي مات فيها » (١١٥) لأنه قد صح أن الناس يبعثون حُفَاةً عُرَاةً ، وهذا الخبر ذكره أبو داود (١١٦) .

واعلم أن طول الأمل حجاب على قلبك يمنعك من رؤية الموت ومشاهدته ، ووقر في أذنك يمنعك من سماع وجبته ودوى وقعته ، وبقدر ما يرفع لك من الحجاب ترى ، وبقدر ما يحجب عن أذنك من الوقر تسمع ، فانظر - رحمك الله - نظر من رفع حجابيه ، وفتح بابه ، واسمع سماع من أزيل وقره ، وخوطب سره ، وبادر قبل أن يبادر بك ، وينزل عليك ، وينفذ حكم الله عز وجل فيك ، فتطوى صحيفة عملك وتختتم على ما في يدك ويقال لك : اجن ما غرست ، وأحصد ما زرعت ، واقرأ كتابك الذي كتبت كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، وبربك تبارك وتعالى شهيداً ورقياً .

١٤٩- قال مالك بن دينار : « رأيت بالبادية في يوم شديد البرد شاباً عليه ثوبان خَلِيقَان وعليه آثار الدعاء وأنوار الإجابة فعرفته وكنت عهدته بالبصرة ذا

(١١٥) * ضعيف * أخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٢١١/٩) وابن حزم في المحلى (١١٣/٥) - راجع « موضوعات » ابن الجوزي (٢٤٠/٣) ، وراجع أيضاً كتاب « المدخل » لابن الحاج (٢٧٧/٣) « ومعالم السنن » للإمام الخطابي (٣٠١/١) .

(١١٦) - صحيح : أخرجه مسلم والنسائي (١١٤/٤) وأحمد (٨٩/٦ ، ٩٠) والحاكم (٥٦٤/٤) وللحديث طرق أخرى عن عائشة أخرجه البخاري (٣٧٧/١١ ، ٣٧٨) ومسلم (٢٨٥٠) والنسائي (١١٤/٤) ، (١١٥) وابن ماجه (٤٢٧٦) وأحمد (٥٣/٦)

ثروة وحسن حال كان ذا مال وآمال قال : فبكيت لما رأيته على تلك الحال فلما رآني بكاء وبدأني بالسلام وقال لي : يا مالك ما تقول في عبد أبق من مولاه ؟ فبكيت لقوله بكاءً شديداً ، فقلت : وهل يستطيع المسكين ذلك ؟ للبلاد بلاده والعباد عباداه فأبين يهرب المسكين ؟ فقال : يا مالك سمعت قارئاً يقرأ ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ [الحاقة / ١٨] فأحسست في الحال بنار وقعت بين ضلوعي فلا تخمد ولا تهدأ من ذلك اليوم . يا مالك أتراني أرحم وتنطفئ هذه الجمرة من قلبي ؟ فقلت له : أحسن الظن بمولاك فإنه غفور رحيم ، ثم قلت له : إلى أين ؟ قال : إلى مكة شرفها الله لعلني أن أكون ممن إذا التجأ إلى الحرم استحق مراعاة الذم . قال مالك : ففارقني ومضى فتعجبت من وقوع الموعظة منه موقعها ، وما تأجج بين جنبيه من نار التيقظ والإنابة ، وما حصل عليه من صدق القبول وحسن الاستماع . واعلم أن الأمل يكسل عن العمل ، ويورث التراخي والتواني ، ويعقب التشاغل والتقاعس ، ويخلد إلى الأرض ويميل إلى الهوى ، وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يطلب صاحبه ببرهان ، كما أن قصره يبعث على العمل ويميل على المبادرة ويحث على المسابقة .

وسأضرب لك في ذلك مثلاً مثل ملك من الملوك كتب إلى رجل يقول له : افعل كذا وكذا ، وانظر في كذا وكذا ، وأصلح كذا وكذا وانتظر رسولي فلاناً فإنني سأبعثه إليك ليأتينى بك ، وإياك ثم إياك أن يأتيك إلا وقد فرغت من أشغالك ، وتخلصت من أعمالك ، ونظرت في زادك ، وأخذت ما تحتاج إليه في سفرك ، وإلا أحللت بك عقابي ، وأنزلت عليك سخطي ، وأمرته أن يأتينى بك مغلوله يداك ، مقيدة رجلاك ، مشمئتا بك عراك مسحوباً على وجهك إلى دار حزني وهواني ، وما أعددت له من عصابي ، وإن هو وجدك قد فرغت من أعمالك ، وقضيت جميع أشغالك ، أتى بك مكراً مرفعاً مرفهاً إلى دار رضواني وكرامتي ، وما أعددت له من امثال أمرى وعمل بطاعتي ، واحذر أن يخذلك فلان أو فلانة عن امثال أمرى والاشتغال بعملى . وكتب إلى رجل آخر بمثل ذلك فأما الرجل الأول فقال هذا كتاب الملك جاءني يأمرني فيه بكذا وكذا وذكر لي أن رسوله يأتينى ليحملنى إليه وأنا لا أمضى

إليه حتى يأتيني رسوله ولعل رسوله لا يأتيني إلى خمسين سنة أو أكثر فأنا على مهلة وسأنظر فيما أمرني به ولم يقع الكتاب منه بذلك الموقع ولم ينزله من نفسه بتلك المنزلة وقال : والله لقد أتى كتابه إلى خلق كثير يمثل ما أتاني ولم يأتهم رسوله إلا بعد السنين الكثيرة والمدد الطويلة وأنا واحد منهم ولعل رسوله سيتأخر عني كما تأخر عنهم وجعل الغالب على ظنه أن الرسول لا يأتيه إلا إلى خمسين سنة كما ظن أو أكثر أو إلى المدة التي جعل لنفسه بزعمه ، ثم أقبل على أشغال نفسه مما لا يحتاج إليه ومما كان غنياً عنه وترك أوامر الملك والشغل الذي كلفه النظر فيه والاشتغال به ، فكلما دخلت سنة قال : أنا مشغول في هذه السنة وسأنظر في السنة المقبلة والمسافة أمامي طويلة والمهل بعيد ، وهكذا كلما دخلت سنة قال : أنا في هذه مشغول وسأنظر في الأخرى أو سأنظر في نصف السنة أو في الشهر الثاني منها أو سأنظر غداً فبينما هو على ذلك من تسويفه واغتراره إذ جاءه رسول الملك فكسر بابه ، وهتك حجابيه ، وحصل معه في قعر بيته وقال : أجب الملك فقال الرجل : والله لقد حاءني كتابه يأمرني فيه بأعمال أعملها وأشغال أنظر فيها وما قضيت منها شغلاً ولا عملت منها حتى الآن شيئاً فقال له الرسول : ويلك وما الذي أبطأك عنها ؟ وما الذي حبسك عن الاشتغال بها والنظر فيها ؟ قال : لم أكن أظن أنك تأتيني في هذا الوقت فيقال له : ويلك ومن أين كان لك هذا الظن من أخبرك به ومن أعلمك بأني لا آتيك إلا في الوقت الذي تظن ؟ قال : ظننت وطمعت وسولت لى نفسي ومننتى وخدعنى الشيطان وغرنى . فقال له : ألم يحذرك الملك في كتابه منهما وأمرك ألا تسمع لهما ؟ قال : بلى والله لقد فعل ولقد جاءني هذا في كتابه ولكنى خدعت فانخدعت وقتنت فافتنت وارتبت في وقت مجيئك فتربصت . فقال له : ويلك غرك الغرور وخدعك المخادع أجب الملك لا أم لك . قال نشدتك بحق الملك إلا ما تركتني حتى أنظر فيما أمرني به أو في بعضه أو فيما تيسر منه حتى لا أقدم عليه في جملة المفرطين وعصاية المقصرين وهذا مال قد كنت جمعته لنفسى وأعددت له مؤونته فاتركنى حتى آخذ منه زاداً أتزوده ودابة أركبها فإن الطريق شاقة والمفازة صعبة والعقبة كؤود والمنزل ليس فيه ماء قال : أتركك حتى أكون عاصراً

مثلك !؟ ثم دفعه دفعةً ألقاه على وجهه ثم جمع يديه إلى عنقه وانطلق به يحجره
من خلفه خزيان ندمان جيعان عطشان ،

وهو ينشد بلسان الحال :

لا تغترّنى إذا رأيت حزينا جل خطيئتي فريتكم أن يهونا .
ضاق صبري عن بعضه وإحتالي فاسلكوا لى حيث ألقى المنونا .
ما تريد العداة منى وإنى لبحال فرق لى المبعضونا .
زفرات هتكن خلب فؤادى وميموم قطعن منى الوتيننا .
خنت عهد المليك قولاً وفعلاً وتحدث الخلاف شرعاً وديناً .
غرست فى الحياة كفتى شراً فاجتنت العقاب منه فنونا .
ليتنى لم أكن أين لمثل ظالم لنفسه فإن لا يكون .
يا خليلي ولا خليل لى اليوم سوى حسرة تديم الأئيننا .
ربح الراجحون وانقضت السوق وخلوا بعينه المغبوننا .
فابكنى أن يكن بكأؤك ميسراً وفر عنى وعصبة ييكوننا .

وأما الآخر الذى كتب إليه الملك بمثل ما كتب به إلى هذا فإنه أخذ كتاب
الملك وقبّله وقرأه وتصفحه وتدبره وقال : أرى الملك قد كتب إلى بأن
أعمل له كذا وأقضى له كذا وأنظر له فى كذا ومن أين سبقت لى هذه
السابقة عند الملك ومن الذى وشى لى عنده ومن الذى أنزلنى منه بهذه المنزلة
حتى جعلنى من خدامه والقائمين بأمره والناظرين فى أعماله والله إن هذه
لسعادة ، والله إن هذه لعناية الحمد لله رب العالمين ثم نظر فى الكتاب فقال
وأسمع : الملك قد قال لى فى كتابه : وانتظر رسولى فأنى سأبعثه إليك فيأتينى
بك وأراه لم يحدد الوقت الذى يبعث فيه الرسول إلّى ولا سماه لى ولعلّى لا
أفرغ من قراءة كتابه إلا ورسوله قد أتانى ونزل على والله لا قدمت شغلاً على
شغل الملك ولا نظرت فى شىء إلا بعد فراغى مما أمرنى به الملك وأعد زاداً
أتزوده ومركوباً أركبه إذا جاءنى رسوله وحملنى إليه فتعرض له رجل وقال
له : لم هذه المسارعة كلها ؟ وفيم هذه المبادرة كلها ؟ فقال له : ويحك أما
ترى كتاب الملك بما جاءنى ، أما تسمع ما فيه ، أما تصدقه ، أما تؤمن به ،
قال : بلى سمعت وآمنت وصدقت ولكن لم يقل لك فيه إن رسوله يأتيك

اليوم ولا غد ولا وقتاً معلوماً ولكنه يأتيك وقد جاء كتابه إلى فلان بهذا الذى قد جاءك أنت به وقد بقى منتظراً لرسوله أكثر من سبعين سنة ، وفلان ما أتاه ، وبعد زمان طويل ما جاءه ، وفلان أتاه بعد ثمانين سنة وفلان أتاه بعد مائة سنة فأكثر وفلان كاد أن لا يأتيه وأنت واحد من المرسلين إليهم فلم هذه العجلة وفيه هذا الإسراع ؟ فقال : ويحك أو ما ترى أنت فلاناً قد جاءه كتاب الملك بهذا الذى جاءنى وجاءه الرسول أثر مجيء الكتاب وفلان كذلك وفلان كذلك وفلان جاءه بعد سنة وفلان كذلك وفلان كذا فقال له : بلى ولكن لا تنظر إلى هؤلاء خاصة وانظر إلى الذين قلت لك ممن تأخر عنه مجيء الرسول . فقال له : دعنى يا هذا فقد شغلتنى والله إنى لأخاف أن يأتينى الرسول وأنا أكلمك . ثم أقبل على ما أمره به الملك فامثله ونظر فيما حد له واشتغل بما يجب أن يشتغل به وأعد الزاد لسفره وأخذ الأهبة لطريقه وجعل ينتظر الرسول أن يأتيه وأقبل يلتفت يمينا وشمالاً من أين يأتيه ومن أين يقبل عليه فبينما هو كذلك وإذا برسول الملك قد أتاه فقال : أجب الملك قال : نعم قال : الساعة . قال : الساعة قال : وفرغت مما أمرك به وعملت ما حد لك أن تعمله ؟ قال : نعم . قال : فانطلق . قال : بسم الله . فخلع عليه خلعة الأولياء ، وكساه كسوة الأصفياء ، وأعطاه مركوباً يليق به ويجمل بمثله وانطلق به فى حبور وسرور ،

وهو ينشد بلسان الحال :

هتئولى بغبطتى وسرورى فحدير بأن يهنأ مثلى .
 رجحت صفقتى وزكى سعى وارتقى للإله قولى وفعلى .
 كيف لى أن أعبر اليوم عنى بمقال يبين وصف محلى .
 ضاقت الكتب أن تضم حديثى بل ولا شئت عن بعض ما أنا أملى .
 قد بلغت المنى وزدت عليها ونمألت بالمسرة كلى .
 ليت قومى لو يعلمون بمالله من نعمة على وفضل .
 طاب عيشى وقر فيه قرارى وتقلبى بين ماء وظل .
 أنا ذاكم حقيقاً أم هو غيره ؟ أعذرونى فقد توله عقلى .
 فإن لك بهذا المثل وبغيره فضيلة قصر الأمل وفضيلة المبادرة للعمل

والاستعداد للموت قبل نزوله والانتظار له قبل حلوله وقد كثر الخوض على هذا وكثرت الأقاويل فيه ولم يزل المذكرون يذكرون والنهون ينهون لو يحدون سمعاً واعياً وقلباً حافظاً ومحلاً قابلاً والحلول حول الله والأمر كله بيد الله .

١٥٠- روى ابن عباس عن النبي ﷺ - أنه قال لرجل وهو يعظه : « اغتسم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » (١١٧) .
وعن ابن عباس أيضاً عن النبي ﷺ - قال : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » ذكره البخارى (١١٨) .

وقال القائل :

إن في الموت والمعاد لشغلاً وإن كاد الذى الهنى وبلاغاً .
فاغتسم نعمتين قبل المنايا صحة الجسم يا أخى والفراغا .

١٥١- وذكر الترمذى من حديث أبى هريرة عن النبي ﷺ - أنه قال : « ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغياً أو فقراً منسياً أو هرمًا [مُفْتِئداً] أو مرضاً مُفْسِداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » (١١٩) .

١٥٢- وعن أبى هريرة أيضاً عن النبي ﷺ - أنه قال : « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة » (١٢٠) .

(١١٧) صحيح - وهو فى « صحيح الجامع » (١٠٨٨) وعراه للحاكم والمهقى فى « الشعب » عن ابن عباس وأحمد فى « الزهد » وأبو نعيم فى « الحلية » والمهقى فى « الشعب » عن عمرو بن ميمون مرسلًا، وأخرجه البغوى (٢٢٤/١٤) وابن المبارك فى « الزهد » رقم (٢) .

(١١٨) - صحيح - أخرجه البخارى (٢٢٩/١١) - فتح وأحمد (٢٥٨/١ ، ٣٤٤) والترمذى (٢٣٠٤) وابن ماجه (٤١٧٠) والدارمى (٢٩٧/٢) والحاكم فى المستدرک (٣٠٦/٤)

(١١٩) * حسن * أخرجه الحاكم فى المستدرک (٣٢٠/٤) وهو عد الترمذى (٢٣٠٦) وقال حسن غريب وأخرجه البغوى (٢٢٤/٤) وهو فى ضعيف الجامع (٢٣١٤) .

(١٢٠) * حسن * أخرجه الترمذى (٢٤٥٧ - تحفة) وقال : حسن غريب وأخرجه الحاكم فى المستدرک

١٥٣- وقال عليه السلام : « أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد » (١٢١) ذكره

القاضي أبو الحسن بن صخر في الفوائد .

١٥٤- وقال جابر بن عبد الله : « كان رسول الله - ﷺ - إذا خطب رفع صوته

واحمرت عيناه كأنه منذر جيش يقول : صباحكم ومساءكم ويقول : بعثت أنا

والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه » (١٢٢) ذكره مسلم بن الحجاج ، يريد

عليه السلام تقريب الأمر وسرعة نزوله وكل آت قريب وكل ما هو كائن

سيكون .

١٥٥- وقال ابن مسعود : « قرأ رسول الله - ﷺ - ﴿ فمن يرد الله أن يهديه

يشرح صدره للإسلام ﴾ [الأنعام / ١٢٥] فقال - عليه السلام - :

[إن] النور إذا دخل القلب انفسح فليل : يا رسول الله هل لذلك من

علامة تُعرف ؟ قال : نعم التَّجَافَى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود

والاستعداد للموت قبل نزوله » (١٢٣) .

(٣٠٨ ، ٣٠٧/٤) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي بالرغم من أن في إسناده أبو فروة

يزيد بن سنان التميمي الرهاوي وهو ضعيف وقد نقل الذهبي نفسه في « الميزان » (٤٢٧/٤) تضعيفه

عن ابن معين وأحمد وابن المديني وقال هو من عد نفسه تركه النسائي وساق له هناك حملة وأقره من

ماكره ورواياته غير المحفوظة .. والحديث أورده السيوطي في « الجامع الصغير وأشار إلى تصحيحه »

والله أعلم .

(١٢١) أرجو أنه حسن . أورده العزالي في « الإحياء » (١٢٢/٦) عن أبي هريرة وقال الزين العراقي : [رواه]

ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » وأبو القاسم البعوي بإسناد فيه لبيد .هـ. قلت : والحديث في « مسند

الفردوس » برقم (١٠١) وأخرجه أبو بكر بن أبي داود في كتاب « البعث . . » وقال أبو إسحق المؤيد

حفظه الله إسناده صالح أخرجه أبو يعلى كما في تفسير ابن كثير (١٧٨/٦) والبيهقي في « شعب الإيمان »

(ق ٢/٧٦) في « الشعبة الحادية والسعين والقضاعي في مسند الشهاب (٣٣٣) وقال الهيثمي في

« المجمع » (٢٢٧/١٠) رجاله رجال الصحيح غير صمام بن إسماعيل وهو ثقة .

(١٢٢) صحيح * أخرجه مسلم (١٩٣/٦) نووي (٨٨/٣) والنسائي (٢١١/٣) والبيهقي (٢١٢) وأبو يعين

(١٨٩/٣) وأحمد (٣١٩/٣) والبعوي في « شرح السنة » (٢٥٤/٤) وهو في صحيح « الجامع » برقم

(٤٥٨٧) .

(١٢٣) ضعيف * أخرجه الحاكم في « المستدرک » (٣١١/٤) بإسناد فيه عدوى بن الفضل وهو ساقط كما قال

الذهبي في « التلخيص » والحديث في الإحياء (١٢٢/٦) وعراه العراقي - رحمه الله - إلى ابن أبي الدنيا

في « قصر الأمل » والحاكم في « المستدرک » والتصويب من المصادر التي ذكرناها .

ومن كلام بعضهم « أما تسمعون أيها الناس داعي الموت يدعوكم وحاد به يحدوكم ، أما ترون صرعاة في منازلكم ، وقتلاه بين أيديكم ، فقيم هذا التصام عن الداعي والتشاغل عن الحادى والتغافى عن مصارع القتلى والتغافل عن مشاهد الهلكى ، رحم الله امرأً أيقظ نفسه في مهلة الحياة قبل أن توقظه روعة الممات واستعد لما هو آت قبل الانبئات ، وحلول الفوات ، فكأن الحكم قد وقع والخطاب قد ارتفع أعرض من أعرض وأسمع من سمع . وأنشدوا :

قطعت زمانى حيناً فحيناً أدير من اللهو فيه فنوناً .
وأمهلت نفسى وما أمهلت وهونت من ذاك ما لن يهونا .
ورب سرور شفا علة وولى فأعقب حزناً رصيناً .
وكم أكل ساعة ما يريد يكابد ما أورثته سنينا .
وما كان أغنى الفتى عن نعيم يعود عليه عذاباً مهيناً .
وكم وعظمتنى عظات الزمان لو أنى أصيخ إلى الواعظينا .
وكم قد دعانى داعي المنون واسمع لو كنت فى السامعينا .
وكم ذا أؤمل أو أرتجيه وقد حزت سبعاً على الأربعينا .
ولو كان عقلى معى حاضراً سمعت لعمرى منها أنينا .
ولن يبرح المرء فى رقدة يغط إلى أن يوافى المنونا .
فتوقظه عندها روعة تقطع منه هناك الوتينى .
وإذ ذاك يدرى بما كان فيه وتجلو الحقائق منه الظنونى .

١٥٦- وقال أنس فى قول الله عز وجل : ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ [المُلْك / ٢] قال : « [أى] أكثر [كم] للموت ذكراً وأحسن له استعداداً وأشد منه خوفاً وحذراً » (١٢٤) .

(١٢٤) قوله . وقال أنس فى قول الله عز وجل ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم .. ﴾ .. إلخ هو فى « الإحياء » عن « السدى » و أنس التى تصحفت على الناسح والزيادات بين المعكفات من لفظ « الإحياء » .

١٥٧- وقال حذيفة : « ما من صباح ولا مساء إلا ومنادٍ ينادى أيها الناس الرحيل الرحيل » (١٢٥) .

وقال بعضهم : أيها الإنسان إنما أنت نازل من الدنيا في منزل تعمرك أيام عمرك ثم تخليه عند موتك لمن ينزله من بعدك .
وأنشدوا :

أخيل لمن ينزل ذا التنزل وارحل فقد آن بأن ترتحل .
وارحل بما قد كنت جمعته واحمله إن خُلِّيت أن تحمل .
هيهات لا تخرج منه بشيء فافعلن ما شئت أن تفعل .
واقعد من الغيظ وإلا فقم واطلع إلى الكوكب أو فانزل .
فلمست بالخارج إلا بما جئت فسلم وبك واستبس .
وحل عن هذى الأمانى فما تثمر إلا شر ما يوكل .
كم من فتي طوّل آماله فقصرت دنياه ما طوّل .
وجاءه الموت على غرة فمات من قبل الذى أمل .
فيا إلهى والذى جودّه قد عمر الآخر والأو...ل .
رحماك يا رحمان فى فتية ليس لهم دونك من موئل .
قد حجبتها عنك آثامها وأنزلها شر ما منزل .
وليس إلا عفوك المرتجى أو ذلها ذا الذى تعمل .

١٥٨- وقال محمد بن إبراهيم : « جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلى فجوّز فى صلاته وقال : أخبرنى بما جئت له فأبى أبادر فقلت له : وما تبادر ؟ قال : ملك الموت - رحمك الله - أخاف أن ينزل بى فقممت عنه وقام إلى صلاته » (١٢٦) .

١٥٩- ومّر داود الطائى فسأله رجل غريب عن حديث فقال : « دعنى فأبى أبادر خروج نفسى » (١٢٧) .

(١٢٥) قوله : وقال حذيفة : ما من صباح ولا مساء إلا ومنادى.. إلخ « الإحياء » ١٢٢/٦ .

(١٢٦) قوله وقال محمد بن إبراهيم : جلست إلى عامر.. إلخ هى فى « الإحياء » . عن سحيم مولى نبي تيم قال : جلست إلى عامر.. إلخ (١١٩)

(١٢٧) قوله . ومّر داود الطائى.. إلخ . الإحياء نفس الجزء والصفحة .

١٦٠- وقال الربيع بن خيثم : « من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال أمله ساء عمله » .

١٦١- وقال علي - رضى الله عنه - : « التؤدة خير في كل شيء إلا في أمر الآخرة والتؤدة هي التثبث والتأني » (١٢٨) .

١٦٢- وكان الحسن يقول في موعظته « المبادرة المبادرة فإنما هي الأنفاس لو حيست انقطعت عنكم الأعمال التي تتقربون بها إلى الله عز وجل رحم الله امرأ نظر لنفسه وبكى على ذنبه ثم قرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا نَعِدْكُمْ عَذَابًا ﴾ يعنى الأنفاس آخر الأنفاس خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك » (١٢٩) .

وقال بعض الصلحاء : « اغتسم تنفس الأجل وإمكان العمل واقتطع ذكر المعاذير والعلل فإنك في أجل محدود ، وتفريق معدود ، وعمر غير ممدود » .

وقال غيره : اعمل عمل المرتحل فإن حادى الموت يحدوك ليوم ليس يعدوك فيطرحك في حفرة لا يخافك فيها أحد ولا يرجوك » .

وكتب رجل إلى بعض إخوانه أما بعد : « فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن في أضغاث أحلام والسلام » .

١٦٣- وكتب محمد بن يوسف إلى أخ له : « سلام عليك فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد : فأني محذرك من دار منقلبك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك فتصير في باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فإن يكن الله معك فلا فاقة ولا بأس ولا وحشة وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله يا أخى وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة النشور ونفخة الصور وقيام الخلائق لفصل القضاء ، وامتلات الأرض بأهلها والسموات بسكانها فباحث الأسرار وسعرت النار ووضعت الموازين ونشرت الدواوين وجيىء بالنبیین والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد

(١٢٨) قوله وقال علي - رضى الله عنه - : التؤدة خير .. إلخ الإحياء نفس الجزء والصفحة .

(١٢٩) قوله وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة درر الإحياء (١٢٢/٦) وهناك من الزيادة « آخر العدد دخولك من قبرك » والتصويب منه .

لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور ومعذب ومرحوم وكم من هالك وناج فيا ليت شعري ما حالى وحالك يومئذ وإن في هذا ما هدم اللذات وسلا عن الشهوات وقصر من الأمل وأيقظ النائم ونبه الغافل أعاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا من قلبى وقلبك موقعها من قلوب المتقين فإنما نحن له وبه السلام .

وفي بعض الخطب المروية : « أيها الناس إن لكم نهاية فانتهاوا إلى نهايتكم وإن لكم معالم فانتهاوا إلى معالمكم وإن المؤمن بين مخافتين بين أجل مضى لا يدري ما الله صانع فيه وأجل بقى لا يدري ما الله قاض فيه ، فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الحياة قبل الموت فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذى نفسى بيده ما بعد الموت مستعتب وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار .

١٦٤- وخطب عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - فقال : « أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى وإن لكم معاداً يجمعكم الله فيه للفصل والحكم فيما بينكم فخاب وشقى [غداً] عبدٌ أخرجه الله من رحمته التى وسعت كل شئء وجنة عرضها السموات والأرض وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف ، واتقى وباع قليلاً بكثير وفانياً بباق وشقاءً بسعادة ألا ترون أيها الناس أنكم فى أصلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون ألا ترون أيها الناس أنكم تتبعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه فى بطن قاع من الأرض غير ممهد ولا موسد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب وإيم الله إني لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما عندى لكنها سنن من الله عادلة أمر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته ثم استغفر ووضع كفه على وجهه ولحيته وبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد إلى مجلسه ذلك حتى مات رحمه الله » (١٣٠) .

(١٣٠) قوله . وخطب عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - ... إلخ هو فى ترجمته - رضى الله عنه - من « الحلية » (٢٩٥/٥) .

ومما يروى من خطبه أيضاً : « أيها الناس إن الدنيا ليست بدار قراركم ولا محل إقامتكم إنما هي دار كتب الله عليها الفناء وأوجب منها على أهلها الرحيل فكم من عامر موقن عما قريب سيخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل سيرحل فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة واحملوا خير ما بحضرتكم للنقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى .

إن الدنيا كظل (١٣١) قلص فذهب

بينما ابن آدم فيه ينافس وعلما يضارب إذ دعاه الله لقدره ووافاه يوم حثفه فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لآخرين مصارعه ومغناه إن الدنيا لا تسر بمقدار ما تضر إنها تسر قليلا وتُحزن حزناً طويلاً » (١٣٢) .

١٦٥- وخطب المأمون يوماً فقال : « عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا وأعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوها وتغوصوا فيها أيها الناس استعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جُدَّ بكم وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وأن غائباً يحذوه الحديدان لجدير بسرعة الأوبة وإن قادماً يقدم بالفوز أو بالشقوة لمستحق بأفضل العدة اتقى عند ربه ونصح نفسه وغلب شهوته وقدم شهوته توبته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به يمينه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى هجمت عليه منيته أغفل ما يكون عنها وأنسى ما يكون لها وإن ما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به فياها من حسرة على ذى غفلة أن يكون عمره عليه حجة وأن ترديه أيامه إلى شقوه جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن الطاعة معصية ولا تحمل به بعد الموت حسرة إنه سميع الدعاء فعال لما يشاء .

١٦٦- وخطب الحجاج يوماً فقال : « أيها الناس : إن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء

(١٣١) هي على الصواب « إنما الدنيا كمنى ظلال قلص فذهب ! كذا هي في ترجمته من « الحلية » في « الإحياء » (١١٥/٦) .

(١٣٢) راجع « الحلية » (٢٩٢/٥)

فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة واقهروا طول الأمل بقصر الأجل .

وفي بعض الخطب المرويه : « أيها الناس : إن الآمال تطوى والأعمار تننى والأبدان تحت الثرى تبلى وأن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد وييليان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات وسلا عن اللذات ورغب في الباقيات الصالحات » .

وفي بعض الخطب « أكثرُوا ذكر هادم اللذات الموت فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وسَّعه عليكم فرضيتم به فأجرتم ، وإن ذكرتموه في غنى نغصه عليكم فجدم فأنَّيتم ، إن المنايا قاطعات الآمال مدنيات الآجال وإن المؤمن بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه عمله فختم عليه ويوم قد بقى لعله لا يصل إليه ، إن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما أسلف وقلة غناء ما خلف ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه » .

وقال بعض الحكماء : « إن للباقي بالماضي معتبراً وللآخر بالأول مزدجراً والسعيد لا يغتر بالطمع ولا يركن إلى الجزع ومن ذكر المنية نسي الأمنية ومن أطال الأمل نسي العمل وغفل عن الأجل » .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ فتنم أنفسكم ﴾ قال : بالشهوات واللذات ﴿ وتربصتم ﴾ قال : بالتوبة [وارتبتم] قال : شككتم ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ قال : الموت ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ الآية رقم (١٤) من سورة الحديد قال : الشيطان (١٣٣) .

١٦٧- وكتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك : « إياك أن تدركك الصرعة عند الغرة فلا تقال العثرة ولا تتمكن من الرجعة ولا يحمدك من خلفت على ما تركت ولا يعذرک من تقدم عليه بما به اشتغلت » .
وقال بعض البلغاء : « لا تمت على غير وصية وإن كنت من جسمك في صحة ومن عمرك في فسحة فإن الدهر خائن وكل ما هو كائن كائن » .

(١٣٣) ﴿ فتنم أنفسكم وتربصتم وارتبتم .. الآية ﴾ وما قاله فيها من التفسير نقله عن الإحياء (١٢٤/٦) برمته والآية هي رقم (١٤) من سورة الحديد .

١٦٨- وقال عبد الله بن مسعود : « ما منكم أحد إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة » .

١٦٩- وقال الحسن البصرى : « يا عجباً لقوم أمروا بالمراد ونودى فيهم بالرحيل وحبس أولهم على آخرهم وبهم مع ذلك قعود يلعبون » .

وقال بعض الحكماء : « ليس من الدين عوض ولا من الإيمان بدل ولا من الجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فإنه يُسَارُّ به وإن لم يسير » .
١٧٠- وقال على بن أبى طالب - رضى الله عنه - : « أيها الناس اتقوا الله الذى إن قلتم سمع وإن أضمرتم علم ، وبادروا الموت الذى إن أقمتم أخذكم وإن هربتم أدر ككم » .

١٧١- وكان عبد الله بن ثعلبة يقول فى موعظته : « تضحك يا هذا ولعل أكفانك عند القصار » .

وقال بعض الحكماء : « كلّ يجرى من عمره إلى غاية تنتهى إليها مدة أجله وتنطوى عليها صحيفة عمله ، فخذ من نفسك لنفسك وقس يومك بأمسك وكف عن سيئاتك وزد فى حسناتك قبل أن تستوفى مدة الأجل وتقصر عن الزيادة فى السعى والعمل » .

١٧٢- وقال أبو عبيدة الناجى : « دخلنا على الحسن البصرى فى يومه الذى مات فيه فقال : مرحبا بكم وأهلاً حياكم الله بالسلام وأحلنا وإياكم دار المقام هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم فلا يكونن حظكم من هذا الأمر أن تسمعوه بهذه الآذان وتخرجوه من هذه الأفواه فإن من رأى محمداً - ﷺ - رآه غادياً ورائحاً لم يضع لبنه على لبنه ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر إليه الرحا^(١٣٤) الرحا النجا النجا علام تخرجون ؟ أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معاً رحم الله امراً جعل العيش عيشاً واحداً فأكل كسرة

(١٣٤) (الوَحْأ) وهى مفسرة بما بعدها النجاً ... النجاً وقد تصحفت على الناسخ فجعل (الواو) (راء مهملة) فكانت (الرحا) وقصة دخول أبى عبيدة الناجى على الحسن البصرى رحمهما الله فى يومه الذى مات فيه فقال مرحباً ... إلخ الإحياء (١٢٤/٦)

ولبس خلقاً ولزق بالأرض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وفر من العقوبة وطلب الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك» (١٣٥) .

١٧٣- وقال أبو محمد الزاهد : « خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجثته فقعدت إليه قريباً منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا أخى أن كل شيء شغلك عن الله تعالى فهو عليك مشغوم واعلم أن أهل القبور إنما يندمون على ما يتركون ويفرحون بما يقدمون فما عليه أهل القبور تقدمون أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه يتزاحمون » .

١٧٤- وقال محمد بن أبي توبة : « أقام معروف الكرخي الصلاة ثم قال لى : تقدم فقلت : إن صليت لكم هذه الصلاة لم أصل لكم غيرها فقال : أراك تحدث نفسك أنك تعيش حتى تصلى صلاة أخرى أعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل » .

١٧٥- وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : « ويل لمن كانت الدنيا أمله والخطايا عمله عظم بطنته قليل فطنته عالم بأمر دنياه جاهل بأمر آخرته » .

١٧٦- وقال العلاء بن زياد : « لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فلتعمل بطاعة الله » .

وقال بعض الحكماء : « عجبت ممن يحزن على نقصان ماله ولا يحزن على نقصان عمره وعجبت ممن الدنيا مدبرة عنه والآخرة مقبلة إليه كيف يشتغل بالمدبرة ويعرض عن المقبلة » .

وقال بعضهم : أيها الناس إن لكم معالماً تستبقون إليها وإن لكم موارد تردون عليها وإن الحديد ينسيران بكم وإن لم تسيروا ويسرعان بكم وإن لم تسرعوا

(١٣٥) القول بأنه - عليه السلام - لم يضع لينة على لينة... « حسن » هو في الإحياء - في أثناء القصة الثالثة قال العراقي رحمه الله حديث أبي عبيدة الناجي : دخلنا على الحسن في المرض الذي مات فيه فقال مرحباً بكم .. الحديث ، اس أى الدنيا في « قصر الأمل » وابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية من هذا الوجه ا.هـ ، وبقية الآثار الواردة بعده في الإحياء (١٦٩/٦) .

وإن قصاركم الموت وإن بعد الشأو وامتدت الغاية وطال المدى فيرحم الله امرءاً ضمير نفسه للسباق وساقها إلى الغاية أشد مساق واستعد للموت قبل هجومه وأخذ حذره منه قبل وثوبه وأنفذ دموعه على ما تقدم قبل أن تزل به القدم ويؤخذ بما علم وبما لم يعلم .

وأنشد من كلمة له :

لمن ورقه بالوادي المربع تشب به تباريح الضلوع .
على قنانة خضراء يصفو على أعظامها وشي الربيع .
تردد صوت باكية عليها رماها الدهر في الأهل الجميع .
فشئت شملها وأزال منه عزاً ما عاد في قلب صريع .
عجبت لها تكلم وهي خرسا وتبكي وهي جامدة الدموع .
فهمت حديثها وقمت إلى من الخسران في أمر بشيع .
أتبكي تلك أن فقدت أنيساً وتشرب منه بالكأس الفظيع .
وها أنا لا أبكي فقد نفسي وتضييحي الحياة مع المضيع .
ولو أني غفلت اليوم أمرى لأرسلت المدامع بالنجيع .
ألا يا صاح والشكوى ضروب وذكر الموت يذهب بالهجوع .
لعلك إن تُعير أخاك دمعا فما في مقلتيه من دموع .

١٧٧- وقال ابن سعد : « يقال لأحدنا تريد أن تموت فيقول : لا فيقال : لم ؟

فيقول : حتى أعمل عملاً صالحاً فيقال : اعمل فيقول : سوف أعمل فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل فيؤخر عمل الله ولا يؤخر عمل الدنيا .

١٧٨- وقال عيسى عليه السلام : « عجبت لثلاثة غافل وليس بمغفول عنه ومؤمل

دنياً والموت يطلبه وبان قصراً والقبر مسكنه » .

وقال بعض الحكماء : « ما انقضت ساعة من يومك إلا بقطعة من عمرك

ونصيب من جسمك » .

١٧٩- وقال لقمان لابنه : « يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن

يفجأك » .

١٨٠- وقال الحسن : « ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من يقين الناس بالموت مع غفلتهم عنه وما رأيت صدقاً أشبه بالكذب من قولهم إنا نطلب الجنة مع عجزهم عنها وتفريطهم في طلبها » .
وقال بعضهم : « أيها الناس إن الحكم قد وجب وأن الأمر قد اقترب والعمر قد ذهب فهل من أسيف عليه ، أو ناظر بعين الشفقة إليه وإن في تلاشي العمر ما يقصر من أمل الأريب ويجمع من هم اللبيب ويرسل من عبرات الكتيب فرحم الله أمراً بكى على نفسه فليس يبكى عليها غيره ونظر لها فليس ينظر لها سواه » .
وأنشد :

ليلك على السبية من بكاها كما أبكى عليها ملء جفنى .
ومن بك بات ذا حزن عليها فمثل فليت في فرط حزنى .
ومن يبك سالفاً يوماً فإني قطعت علائق السلوان عنى .
ما ترى في أمره يا من يرى كل شيء وهو رب لا يرى .
ليس إلا عفوك المرجو أو دفعة تنزله قعر لظى .
وعياذا بك يا مولاي أن يلتوى في يده حبل الرجا .
وإذا أسلمته رب فمن يقصد اليوم له أو يرتجا .

١٨١- وقال ميمون بن مهران : « خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقابر فلما نظر إليها بكاء ثم أقبل على فقال : يا ميمون هذه قبور آبائي بنى أمية كأن لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وطيب عيشهم ، أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلاء وأصابته الهوام في أجسامهم مقيلاً ؟ ثم بكوا وقال : والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله عز وجل » .

١٨٢- وقال ثابت البناني : « دخلت المقابر فلما أردت الخروج منها فإذا أنا بصوت يقول : يا ثابت لا يفرنك صموت أهلها فكم من نفس معذبة فيها » .

١٨٣- ويروى أن فاطمة بنت الحسين بن علي : « نظرت إلى جنازة زوجها الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - وقالت :
وكانوا رجاءً ثم عادوا رزيةً لقد عظمت تلك الرزايا وجَلَّتْ

ثم ضربت على قبره فسقاطاً وأقامت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا
الفسقاط ليدخلوا المدينة فسمعوا صوتاً من جانب البقيع يعنى المقابر يقول :
هل وجدوا ما طلبوا ؟ فسمعوا صوتاً من الجانب الآخر يجاوبه يقول : بل
يئسوا فانقلبوا » .

١٨٤- وقال أبو موسى التميمي : « توفيت النوار امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها
وجوه أهل البصرة وقراؤها وفهم الحسن بن أبي الحسن البصري فقال الحسن
للفرزدق : يا أبا نواس ما أعددت لهذا اليوم فقال : شهادة أن لا إله إلا الله
منذ ستين سنة وخمس . لا يدركني عنى الصلوات الخمس فلما دفنت النوار
قام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم يعافني أشد من القبر التهايا وأضيحا .
إذا قادني يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا .
لقد خاف من أولاد آدم من مشى إلى النار مغلول القلادة أزرقا .
يساق إلى نار الجحيم مسربلا سراييل قطران لبوسا محرقا .
إذا شرفوا (١٣٦) فيها الحميم رأيتم يذوبون من حر الحميم تمزقا (١٣٧)

١٨٥- وقال مالك بن دينار : « أتيت القبور مرة فقلت فيها :
أتيت القبور فناديتها أين المعظم والمحتقر ؟
وأين المذل بسلطانه وأين العزيز إذا ما افتخر ؟
قال فنوديت من بينها اسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول :

(١٣٦) (شربوا) يبايئ موحدة بدل الفاء التي تصحفت منها ها .

(١٣٧) قصة وفاة النوار امرأة الفرزدق وتشيع الناس لها وفهم الحسن البصري - رضى الله عنه - هي في الإحياء
(١٧٠/٦) وأوردها - بتوسع أكثر - أبو الفرج الأصفهاني رحمه الله (٣٩١/٢١ ، ٣٩٢) في كتابه
« الأعالي » قال : لما توفيت النوار قال له الحسن البصري - وكان فيمن حصر حنارتها - وهو عند
القبر - ما أعددت لهذا المضيع يا أبا فراس ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله فقال الحسن هذا العمود فأين
الطنب وفي رواية فقال : نعم ما أعددت ثم أنشد الفرزدق أخاف وراء القبر ... إلى آخر
الآيات ، وبعدها قال لإدريس بن عمران راوى الخبر فرأيت الحسن يدخل بعصه في بعض ثم قال :
حسبك ! هـ .

والطنب هو حل الخباء « نهاية » جمعه أطناب .

تفانوا جميعاً فلا نخبر وماتوا جميعاً ومات الخير .
وساروا إلى مَلِكٍ قاهر عزيز مطاع إذا ما أمر .
تروح وتعدو بنات الثرى وتمحوا محاسن تلك الصور .
فيا سائلي عن أناس مضوا أمالك فيما ترى معتبر .
قال مالك : فرجعت وأنا أبكى » .

واعلم رحمك الله أن الشيء الممكن وجوده لا يعرف مقداره على الحقيقة إلا
إذا عدم وفقد وطلب فلم يوجد كما قال القائل :

مر الشباب ولم أقدر له قدراً ولم أجته إلا بعدما انصرف .
والمرء يجهل قدر الشيء بجعله يمكنه حتى إذا فاتته إمكانه عرفا .

ألا ترى رحمك الله أن الصحة لا يعرف مقدارها إلا المبتلى ، وكذلك الحياة
لا يعرف مقدارها إلا الموقى ، لأنهم قد ظهرت لهم الأمور ، وانكشفت لهم
الحقائق ، وتبدت لهم المنازل ، وعلموا مقدار الأعمال الصالحة ، إذ ليس
يتفق هناك إلا عمل زكى ، ولا يرتفع هنالك إلا عد نقى ، وكلما ازداد هنا
عملاً صالحاً كان هنالك أرفع درجة ، وأشرف رتبة ، وأكثر وجاهة ،
وكلما ازداد في الدنيا فضيلة كان أقرب إلى الله وسيلة ، فلما استبان لهم ذلك
وعلموا مقدار ما ضيعوا ، وقيمة ما فيه فرطوا ، ندموا وأسفوا ، وودوا لو
أنهم إلى الدنيا رجعوا ، وإلى حالتهم الأولى ردوا ، وكل على حاله ، فالذى
عمل صالحاً ود أن لو رجع إلى الدنيا فازداد من عمله الصالح ، وأكثر من
تجربه الرابح ، والمقصر يود لو أنه رد فاستدرك ما فات ونظر فيما فيه فرط ،
والمفرط المهمل بالجملة يكون تمنيه للرجوع أكثر ، وحرصه على الإقالة
أشد ، كل يتكلم عن حاله ويخبر عما هو فيه حتى قال الشهيد الذى يقتل فى
سبيل الله لما قيل له ما تشتهى قال : أريد أن أرجع إلى الدنيا فأقتل مرة أخرى
وذلك لما يرى من فضل الشهادة ، وقال غيره : ﴿ رب ارجعون لعلى أعمل
صالحاً فيما تركت ﴾ و ﴿ يا ليتنا نرد فنعمل غير الذى كننا نعمل ﴾ .

١٨٦- وقد قال عليه السلام : « ما من أحد يموت إلا ندم قالوا : وما ندامته يا رسول الله ؟ قال : إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع » (١٣٨) أخرجه الترمذى .

ويروى : « أن رجلاً جاء إلى القبور فصلى ركعتين ثم اضطجع على شقه فنام فرأى صاحب القبر فى المنام فقال : يا هذا إنكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل ولأن تكون ركعتك فى صحيفتى أحب إالى من الدنيا وما فيها » .

وقال بعض الصالحين : « مات لى أخ فى الله فرأيت فى النوم فقلت له : يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين فقال لى : لأن أقدر على أن أقولها - يعنى الحمد لله رب العالمين - أحب إالى من الدنيا وما فيها ثم قال : ألم تر حيث كانوا يدفنونى فإن فلاناً جاء فصلى ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصلها أحب إالى من الدنيا وما فيها » .

ألا ترى إلى ندمهم على تفريطهم وتأسهم على تضييعهم ندموا والله حيث لا ينفع الندم وطلبوا مالا يمكن وسألوا فيما لا يجوز فتركوا على حالهم ولم يسعفوا فى سؤا لهم وبقي كل واحد منهم فيما هو فيه .

ولما أشرف بعضهم على الآخرة وأخذ فى الانحدار إلى أوديتها والتدلى فى مهاوئها وأراد التمسك فلم يمكنه وأراد التثبيت فلم يقدر عليه والرجوع فلم يجد سبيلاً إليه أمر أن يكتب على قبره كذا ويرم عليه كذا ليكون تذكرة لمن رآه وموعظة لمن مرّ به . كما قال القائل :

أيها المارُّ بين هذه القبور غافلاً عن حقيقة المقبور .
ادن منى أنبيك عنى ولا ينبئك اليوم عنى مثل خبير .
أنا ميت كما ترانى طريح بين أطباق رضمة وصخور .

(١٣٨) - ضعيف « هو فى جامع الترمذى - كما أشار المصنف وقال : هذا حديث إنما يعرفه من هذا الوجه ويحيى بن عبيد الله قد تكلم فيه شعبة وهو يحيى بن عبيد الله بن موهب، مدنى ١ هـ (٢٤٠٣) قلت : وفى التقريب (٣٥٣/٢) « متروك » وأفحش الحاكم فرماه بالوضع والحديث فى « مشكاة المصابيح » (٥٥٤٥) وهو فى « ضعيف الجامع » (٥١٤٨) والفردوس (٦١٠٦) وفى « الترغيب » (٣٥٣/٤) وضعفه المدرى رحمه الله .

أنا في بيت غربة وانفراد مع قرني من جيرقي وعشري .
ليس لي فيه مؤنساً غير سعيي من صلاح سعيتي أو فجور .
وكذا أنت فاتعظ بي وإلا فقد يرى منك الغداة نذيري .
فمن رأى قبراً فإنما رأى واعظاً يعظه ومذكراً يذكره ، وإن كان القبر ساكناً
فإنه ناطق بلسان الحال مفصح بما يكون منك في المآل ، فكأنه إنما يخاطبك
إنسان ويبين لك عاقبتك ويقول لك يا هذا كنت حياً مثلك وقد مُتُ
وكذلك أنت تموت وضيعت أمر ربي وكذلك أنت ضيعت أمر ربك ستندم
كما قال القائل :

ألا قل لماشي على قبرنا غفولي عن أشياء حلت بنا .
سيندم يوماً لتفريطه كما قد ندمننا لتفريطنا .

والسعيد من وعظ بغيره ، والتقى من وعظ بنفسه ، وإنما هي ساعة واحدة
وإن طال المدى وامتد العمر واتصلت الأيام كما قال القائل :
وإنما عمرك المرجى هذا إذا نلت كساعة .
وقال الأصمعي : وجد حفير حول الحبرة فإذا فيه أزج فيه رجل عليه حلقة
وعند رأسه لوح فيه مكتوب أنا عبد المسيح بن
حلبت الدهرَ أشطره حياقي ونلت من المنى فوق المزيد .
وكافحت الأمور وكافحتني فلم أخضع لمفضلة كزود .
وكدت أنال بالشرف [خلودا] ولكن لا سبيل إلى الخلود .
ووجد على قبر مكتوباً :

أيها الناس كان لي أمل قصر لي عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربّه رجل أمكته في حياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث تروا إلى مثله سينقل
تتاجيك أجدات ومن سكون وسكانها تحت التراب جفوت .
أيا جامع الدنيا لغير بلاغٍ لمن تجمع الدنيا وأنت تموت ؟
ووجد على قبر مكتوباً :

وقفت على الأحبة حين صُفّت قبورهم كأفراس الزمان .

فلما أن بكيتُ وفاض دمعى رأيت عيناي بينهم مكانى .
وقال القاسم بن سعد : رأيت قبراً فى بستان كثير النخل والرمان وأصناف
الشجر وعليه مكتوب :
كم ساكن فى حفرة تبلى حديد جماله ترك الأجنة بعده يتلذذون بماله
ووجد على قبر مكتوباً :

الموت أخرجنى من دار مملكتى فالتراب مضطجعى من بعد تشريف .
لله عنده أى قبرى فأغيره وخاف من دهره رب التصارييف .
هذا مصير بنى الدنيا وإن نعموا فيها وغرهم طول التساوييف .
استغفر الله من جرمى ومن زلى وأسل الله فوزاً يوم [توقيف] .
وعلى آخر مكتوباً :

قف واعتبر فكان قد حلت هذا المحللاً .
هذا مكان يساوى فيه الأعزُّ الأذللاً .
ما كان لى من صديق إلا جفانى وملاً .
وما جفانى ولكن طال المدى فتسللاً .
وعلى قبر أبى عامر بن شهيد مكتوب وهو مدفون بإزاء قبر صاحبه أبى
مروان الرجالى - وكأنه يخاطبه ودفنا فى بستان كانا كثيراً ما يجتمعان فيه .
يا صاحبنى قم فقد أطلت أنحن طول المدى هجود
فقال لى لن تقوم منها مادام من فوقنا الصعيد .
تذكركم ليلة نعمنا فى ظلها والزمان عيد .
وكم سرور مضى علينا سحابة نره تجود .
كل كأن لم يكن تقضى وشؤمه حاضر عتيد .
خصلة كانت حفيظ وضمة صادق شهيد .
يا حسرتا أن تنكبثها رحمة من بطشه شديد .
يا رب عفواً فأنت مولى قصر فى حقه العبيد .
وأمر أبو العلاء بن دهر وكان طبيب عصره بأن يكتب على قبره :
ترحم بفضلك يا واقفاً وأبصر مكاناً دفعنا إليه .
تراب الضريح على صفحتى كأنى لم أمش يوماً عليه .

- أداوى الأنام حَذَارَ المنونِ فهأنا قد صرت رهناً لديه .
- ١٨٧- وذكر مسلم بن حجاج من حديث أبي هريرة فقال : « زار النبي ﷺ - قبر أمه فبكى وأبكى من حوله وقال استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزورا القبور فإنها تذكر الموت » (١٣٩) .
- ١٨٨- وذكر أبو داود من حديث بريدة بن حصيب قال : قال رسول الله ﷺ - : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة » (١٤٠) .
- ١٨٩- وذكر النسائي عن بريدة أيضاً عن النبي ﷺ - قال : « من أراد أن يزور قبراً فليزره ولا تقولوا هجراً » (١٤١) .
- ١٩٠- وذكر أبو عمر بن عبد البر من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ - « ما من رجل مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام » (١٤٢) . ويروى هذا من حديث أبي هريرة موقوفاً قال : « فإن لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام » (١٤٣) .

- (١٣٩) = صحيح أخرجه مسلم (٤٦/٧) وأبو داود (٢١٨/٣) والنسائي (٩٠/٤) وابن ماجة (١٥٧٢) والحاكم (٣٧٥/١) وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .
- قلت : سبحان الله (١) ها أنت ترى رواية مسلم أمامك !
- وأخرجه الصحيح (٧٦/٤) وأحمد (٣٥٥/٣ ، ٣٥٦) والحاكم (٣٧٤/١) عن ابن بريدة عن أبيه عن أس بن مالك - رضى الله عن جميع الأصحاب - وأخرجه الصحيح (٧٧/٤) من حديث ابن مسعود وأبي سعيد
- وأخرجه الطبراني في الصغير (٤٢/٢) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن حده مرفوعاً .
- (١٤٠) حديث بريدة بن الحصيب - رضى الله عنه - سقت الإشارة إليه في الذي قلته وأنه صحيح .
- (١٤١) في الحديث قبل الفاتحة والله الحمد وهو تعالى أعلم .
- (١٤٢) أثر ابن عباس - رضى الله عنهما - التذكرة معلقاً ومعروفاً لاس أبي عمر . ويشهد له ما أورده الديلمي في الردوس (٦٣٢٣) عن ابن عباس بلفظ : ما الميت في قبره إلا كالعريق ... الحديث راجعه .
- (١٤٣) قوله : ويروى من حديث أبي هريرة موقوفاً قال : « فإن لم يعرفه وسلم ... هو في الإحياء (١٧٨/٦) عنه - رضى الله عنه - موقوفاً بلفظ إذا مرَّ الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مرَّ بقبر لا يعرفه .. الخ =

١٩١- ويروى من حديث عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : قال رسول الله ﷺ - « ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم » (١٤٤) .

١٩٢- وذكر النسائي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ - « إن لله ملائكة سياحين يبلغوننى من أمتى السلام » (١٤٥) .

١٩٣- وذكر أبو داود من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ - قال : « ما من أحد يسلم علىّ إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام » (١٤٦) .

١٩٤- وقال سليمان بن سحيم : « رأيت النبى ﷺ - فى النوم فقلت : يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقهم منهم ؟ قال : نعم وأرد عليهم » (١٤٧) .

قلت : إذا صححت نسبة هذا الكلام إلى أبى هريرة فهو من قبيل الموقوف الذى له حكم الرفع إذ هو فى المغيبات التى لا يقول فيها الصحابى إلا بتوقيف
(١٤٤) ضعيف وهو نصه فى « الإحياء » (١٧٦/٦) وقال العراقى فى التعليق عليه [رواه] ابن أبى الدنيا فى « القبور » وفيه عبد الله بن سميان ولم أقف على حاله .أ.أ. قلت أما شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله فقد وقف على حاله (١) فقال فى « اللسان » (٢٩٧/٣) ذكره شيخى العراقى فى تخرىج الإحياء فى حديث عائشة ما من رجل يزور قبر أخيه وفى سنده عبد الله بن سميان ولا أعرف حاله -
قلت : يجوز الاحتمال أن يكون هو المخرج له من بعض الكتب وهو عبد الله بن زياد بن سميان ، ينسب إلى حده كثيراً وهو أحد الضعفاء .أ.أ.

(١٤٥) حسن * أخرجه النسائي (٤٣/٣) ؛ والدارمى فى السنن (٣١٧/٢) وابن حبان (٢٣٩٣ - موارد) وأخرجه الحاكم (٤٢١/٢) بإسناد فيه محبوب بن موسى ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى !

قلت : لا يسلم ذا . فإن محبوباً - وإن وثقه بعضهم - إلا أنه لينة أيضاً بعضه وليس هذا الضرب مما يحتج به الشيخان غالباً . فالحديث ليس على شرطهما أو أحدهما والله تعالى أعلم - قال فى التقريب (٢٣١/٢) صدوق ولم يصح أن البخارى أخرج له .أ.أ. والحديث أخرجه النجاشى فى « شرح السنة » (١٩٧/٣) .

(١٤٦) صحيح - أخرجه أبو داود (٨٨/٣) والبيهقى (٢٤٥/٥) وأبو نعيم فى « الحلية » (٣٤٩/٦) انظر « التلخيص » (٢٦٧/٢) وقد استوفى الحافظ السخاوى رحمه الله طرق الحديث وشواهده ومتابعاته استيفاءً يكاد يكون تاماً فى كتابه « القول البديع » ... راجعها إن أحببت والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١٤٧) خبر رؤية سليمان بن سحيم للنبي ﷺ - مناماً وسؤاله عن الصلاة عليه ﷺ - أورده الغزالي فى « الإحياء » (١٧٦/٦) ولم أجد العراقى رحمه الله علق عليه بشيء .

١٩٥- وكان - ﷺ - إذا أتى المقابر قال : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم السابقون وأنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله العافية لنا ولكم » (١٤٨) .
وكان عليه السلام يعلمهم مثل هذا أن يقولوه إذا دخلوا المقابر ، وكذلك أبيحت زيارة القبور للنساء أيضاً كما أبيحت للرجال وأبيح لهن البكاء عند القبور كما أبيح للرجال .

١٩٦- مر النبي - ﷺ - بامرأة تبكي عند قبر على صبي لها فقال لها : « اتقي الله واصبري فقالت : إليك عنى فإنك لم تصب بمصيتي ولم تعرفه فلما ذهب قيل لها : إنه رسول الله - ﷺ - فأخذها مثل الموت فأتت بابه فلم تجد عليه بوابين فقالت : يا رسول الله لم أعرفك . فقال لها : إنما الصبر عند الصدمة الأولى » (١٤٩) . والحديث صحيح مشهور ذكره مسلم والبخاري وغيرهما ولو كان بكاء النساء عند القبور وزيارتهم لها حراماً لأنها - ﷺ - ولزجرها زجراً يزرع بمثله من أتى محرماً وارتكب منهياً فذلك هو المنهى عنه .

وقد أبيح لك أن تبكي عند قبر ميتك حزناً عليه أو رحمة له مما بين يديه فإن وجدت بكاء فابك ومع بكائك على ميتك فلا تغفل عن بكاء على نفسك وعن فكرة فيما عملته في أمسك وفي مالك عند حلول رمسك بل لو أمكنك أن تجعل بكائك كله عليك كان الأولى بك والأحمد لك وأنشدوا :
لمن حدث لذي باب البنود صدعت عليه أكباد العميد .
نظرت إليه منتبذا بعيداً فذكرني بمنتبذ بعيد .
مررت به فجاذبني حديثاً أعاد على أحزاني وعيد .
وأبكاني وأبكاني وأبكي ومثلي من بكا عند اللحود .

(١٤٨) صحيح . أخرجه مسلم (٤٤/٧) واللفظ له وللنسائي (٩١/٤ ، ٩٢ ، ٩٣) وأحمد (٢٢١/٦) من حديث عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - .

(١٤٩) صحيح - أخرجه أحمد (١٤٣/٣) والبخاري (١٧١/٣ - فتح) ومسلم (٢٢٧/٦ ، ٢٢٨ - بوى) والترمذي (٩٨٧ ، ٩٨٨) وقال . « صحيح » ، وأبو داود (١٩٢/٣) والنسائي (٢٢/٤) والبيهقي في السنن الكبير (٦٥/٤) من حديث أنس - رضي الله تعالى عنه - .

رمانى من ثوى فيها ولكن غداة عند سادخل فى العديد .

وفى هذا المعنى :

ولما حللنا من نحابه جانباً تُصان به هذى الجسوم وتكرّم .
وجدت له طيباً وروحاً وراحة كأنى أيام الصبا اتنسم .
وأوهمتهم أنى جهلت وأننى لأدّرى بذاك الأمر منهم وأعلّم .
فقلت لصحبى : ما الذى أرحت له مقابر منها لا طى ومشم .
فقالوا طلبنا علم ذاك فلم نجد سوى رمّم ممن تحب وأعظم .
تصدع بطن الأرض منها كأنما تفيق من دارين مسك مختم .
ففاضت دموعى عند ذلك وربما تشهر بالدمع السراء المكتم .
ومما شجائى وهو أعظم أننى قدفت به مسودة الخوف تظلم .
وأعظم منها موقعاً وأشدّه وما خصنى أدهى على وأعظم .
وما أنا أدرى ما إلا فى ولا الذى عليه إذا ما كان ذلك أقدم .
خليلى ما بالى وبال نوائب يراغ لذكرها فؤادى ويكلم .
ولم أدر ما كانت تحية خصمه له أبشرى أم بشفعاء تقصم .
بأننى فى تلك المسالك سالك أساق إلها أن أبئت وأرغم .
فهل من دم أبكيه صرفاً قائماً يبكى على هذا من المعاد الدم .
وقد تقدم أن الميت يتأذى ببكاء أهله عليه فيه حديث ابن أبى شيبه وقول
النبي - ﷺ - « يا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم » (١٥٠) وربما يتأذى
كذلك أو أكثر من ذلك ببكاء غير أهله ويعتبر ذلك بالحنى إذا بكأ عليه من
ليس له غرض فى بكائه ولا إرادة فى عويله .

١٩٧- يروى عن أبى بكر بن اللباد قال : « حدثتنى عائشة الأندلسية وكانت
عائشة هذه من الصالحات قالت توفى لى ولد بمصر فقدمت القيروان فكنت

(١٥٠) ضعيف « قال فى « المقاصد » سده ضعيف وكذا قال فى « الفوائد المجموعة » ص ٢٦٩ راجع « كشف
الحق » (٤٩٩/٢) حيث قال العجلونى رواه ابن أبى الدنيا والمخاملى سند ضعيف عن أبى هريرة - رضى
الله عنه - وروى أحمد والحكيم الترمذى وابن مده عن أسى إن أعمالكم تعرض على أقاربكم
وعشائركم من الأموات فإن كان خيراً استشروا الحديث

أخرج إلى المقابر في باب سلم على عادتي وإذا أهل فأجلس عند قبري وأبكي فرأيت ذات ليلة كأني خرجت إلى باب سلم على عادتي وإذا أهل القبور قعود على أفنية بقبورهم الرجال والنساء والصبيان فلما أقبلت إلى الموضع الذي كنت أبكي عنده سمعت أهل القبور يقولون قد جاءت هذه المرأة أها قبر عندنا تبكي عليه ؟ قالوا : لا . قالوا : فلم تؤذينا ببكائها ؟ قالت : ثم لطمني منهم ميت في خدي الأيمن قالت : فقلت لهم : أتلطمون خدي وقد مسست به الركن والحجر الأسود فقالوا لي قبرك بمصر وتؤذينا أنت ها هنا ؟ قالت فانتبهت وأثر اللطمة في خدي . قال أبو بكر : فكشفت لي عن وجهها فرأيت أثر سوادٍ قام نحوه من أربعين يوماً ثم تقشر فذهب . [ويستحب] لمن رأى القبور أن يسلم على أهلها وأن يدعو لهم ويسأل الله عز وجل عنهم ويترك الكلام عندهم بما لا يحل والحديث على رؤسهم بما لا يحب وإن كان المتكلم لا يدرى مقدار ما يقول فإن الميت يدرى مقداره ويتحقق موقعه ويتبين ضرره فواجب عليك أن لا تؤذيه بسماع ما لا يريد سماعه وأن لا تدخل عليه ما لا يريد إدخاله وإلا [فرجعت] بما لم يف لك خيرٌ زيارتك إياه بشرٌ ما تنقلب به من عنده .

واعلم أن الميت كالحَيِّ فيما يُعطاه ويُهدى إليه بل الميت أكثر وأكثر لأن الحي قد يستقل ما يهدى إليه ويستحق ما يتحف به والميت لا يستحق شيئاً من ذلك ولو كان مقدار جناح البعوضة أو وزن مثقال الذرة لأنه يعلم قيمته وقد كان يقدر عليه فضيعه ومما يدل ذلك على صحة وصول ما يهدى الحي للميت قوله عليه السلام : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (١٥١) فهذا دعاء الولد يصل إلى والده وينتفع به ، وكذلك أمره عليه السلام بالسلام على أهل القبور والدعاء لهم ما ذاك إلا لكون ذلك الدعاء لهم والسلام عليهم يصل إليهم والله أعلم .

(١٥١) صحيح . أخرجه مسلم (٨٥/١١ - نووي) والحاوي في الأدب المفرد (١١٣/١) فصل الله الصمد (وأبو داود (١١٧/٣) والسنائي (٢٥١/٦) والطحاوي في مشكل الآثار (٨٥/١) والبيهقي (٢٧٨/٦) وأحمد (٣٧٢/٢) من حديث أبي هريرة - رضى الله عن سائر الأصحاب - .

١٩٨- ويروى عنه عليه السلام أنه قال : « الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق له فإذا ألحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها » (١٥٢) والأخبار في هذا الباب كثيرة .

١٩٩- قال بشر بن منصور وكان رجل زمن الطاعون يختلف إلى المقابر ثم يستقبل القبور فيقول : « أَمَنَّ الله روعتكم أنسَ الله وحشتكم رحمَ الله غربتكم قبل الله حسناتكم تجاوز الله عن سيئاتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فانصرف ذات يوم ولم أدع فلما كان الليل رأيت فيما يرى النائم خلقاً كثيراً قد جاؤني فقلت لهم : من أنتم ؟ قالوا : أهل المقابر . قلت : حاجتكم . قالوا : إنك كنت عودتنا منك هدية تهديها لنا عند انصرافك . قلت : وما هي ؟ قالوا : الدعوات التي كنت تدعو لنا بها . قلت : فإني أعود لما كنت أدعوه به . قال : فما تركت ذلك بعد » (١٥٣) .

٢٠٠- وقال بشار بن غالب : رأيت رابعة العدوية - يعنى العابدة - في المنام وكنت كثير الدعاء لها فقالت لى : يا بشار هديتك تأتينا في أطباق من نور عليها مناديل الحرير وهكذا يا بشار دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا لإخوانهم الموتى فاستجيب لهم يقال : هذه هدية فلان إليك » (١٥٤) . ورأيت لبعض من يوثق به قال : « ماتت لى امرأة فقرأت في بعض الليالى آيات من القرآن فأهديتها لها ودعوت الله عز وجل واستغفرت وسألت فلما كان اليوم الثانى حدثتني امرأة تعرفنى وتعرفها قالت لى : رأيت البارحة فلانة في النوم - تعنى الميتة المذكورة - فى مجلس حسن فى دار حسنة وقد أخرجت لى أطباقاً من تحت سرير كان فى البيت والأطباق مملوءة قوارير فقالت لى : يا فلانة هذا أهدها لى صاحب بيتى قال : وما كنت أعلمت بما أهديت من ذلك أحدا » .

(١٥٢) تقدم لى (١٣٥) والله الحمد أولاً وآخراً .

(١٥٣) الإحياء (١٧٧/٦) .

(١٥٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة

وقال أبو قلابة : « أقبلت من الشام إلى البصرة فمررت على مقابر فنزلت الخندق فتوضأت وصليت ركعتين ثم وضعت رأسي على قبر فنمت فإذا صاحب القبر في المنام قد وقف لي فقال لي : يا هذا لقد آذيتني منذ الليلة - يعني بوضع رأسه على قبره - ثم قال : جزى الله أهل الدنيا خيراً فإنه لا يزال يدخل علينا من دعائهم أمثال الجبال فأقرئهم مني السلام » .

وحدثني من أثق به قال : رأى فلان - وسمى رجلاً موثقاً - فلانة في النوم قال : وكانت ميتة فقالت لي : يا هذا امض إلى ابنتي فلانة الفاعلة الصانعة تسبها وقل لها : أهذا من الصواب أو من البر أن أقعد مع النساء فتأتين الطرف والهدايا من عند بناتهن وأخواتهن وأهلهم وأنطلع أنا وأنظر يمينا وشمالاً رجاء أن يأتيني منها شيء فلا يأتيني فأبقى خجلة عند النساء خزيانة . بينهن وقل لها : أو لفلان أن يمضي لموضع كذا وكذا فإن فيه دنائير مدفونة بها ويفعل بها كذا وكذا قال : فوجدت الدنانير كما قالت » .

والأخبار في هذا الباب كثيرة قديماً وحديثاً .

فينبغي لمن دخل المقابر أن يتخيل له أنه ميت ، وإنه قد لحق بهم ، ودخل في معسكرهم ، وإنه محتاج إلى ما هم إليه محتاجون ، وراغب فيما فيه يرغبون ، فليأت إليهم ما يجب أن يؤتى إليه ، وليتحفهم بما يجب أن يتحف به ، وليتفكر في تغير ألوانهم ، وتقطع أبدانهم ، ويتفكر أحوالهم ، وكيف صاروا بعد الأنس بهم والتسلي بحديثهم من النفار من رؤيتهم ، والوحشة من مشاهدتهم ، وليتفكر أيضاً في انشقاق الأرض وبعثرة القبور ، وخروج الموتى وقيامهم مرة واحدة حفاة عُرّة عُرلاً ، مهطعين إلى الداعي مسرعين إلى المنادي .

٢٠١- وقال مطرف بن أبي بكر الهذلي : كانت عجوز متعبدة في بني عبد القيس فكانت إذا جاء الليل قامت في محرابها فإذا جاء النهار خرجت إلى القبور فعوتبت في كثرة إتيانها القبور فقالت : إن القلب القاسي إذا غشا لم يلينه إلا زيارة الموتى ، والوقوف على رسوم البلى ، وإنى لآتي القبور فأقف عليها ، وأنظر إليها وأعتبر بها ، وأفكر فيها وكأني أنظر إليهم وقد خرجوا من بين أطباقها وانبعثوا من تحت أحجارها فيا لها من نظرة لو أشرها العباد قلوبهم ما أشد نكها للأجسام وأعظم مرارتها في الأنفس » .

واعلم أن قبور الصالحين لا تخلوا من بركة وأن زائرها والمسلم علمها والقارىء عندها والداعى لمن فيها لا ينقلب إلا بخير ولا يرجع إلا بأجر . وقد توجد لذلك أمانة وتبدو له منها بشارة .

٢٠٢- ويروى أن رسول الله - ﷺ - : « لما نزل بالشاربين قال له أصحابه : يا رسول الله أما تجد ها هنا ريح مسك ؟ فقال : وما يمنعكم وها هنا قبر أبى معاوية وأبو معاوية هو عبيد بن الحارث بن عبد المطلب قتل يوم بدر شهيداً » (١٥٥) كان جرح ومات هناك - رضى الله عنه - .

٢٠٣- وروى يحيى بن سعيد عن شعبة بن الحجاج قال : « فتن الناس بقبر عبد الله ابن غالب كان يوجد منه ريح المسك » . وقال مالك بن دينار - رحمه الله - ذهبت إلى قبر عبد الله بن غالب - رضى الله عنه - فأخذت من ترابه فإذا هو مسك » .

٢٠٤- وقال حماد بن زيد حدثنى سعيد بن يزيد قال : « أدخلت يدى فى قبر عبد الله بن غالب إلى المدفن فأخرجت منه تراباً فإذا ريح المسك » وقصة هذا القبر صحيحة مشهورة - ولما خيف على الناس منه الفتنة سؤى . ٢٠٥- وحدثنى أبو الوليد إسماعيل بن أحمد عرف بابن افرند وكان هو وأبوه صالحين معروفين قال لى أبو الوليد : « مات أبى رحمه الله عليه فحدثنى بعض إخوانه ممن يوثق بحديثه قال لى : زرت قبر أبىك فقرأت عليه حزباً من القرآن ثم قلت له : يا فلان هذا قد أهديته لك فماذا لى ؟ قال : فهبت على من القبر مسك غشتنى نفحة وأقامت معى ساعة ثم انصرفت وهى معى فما فارقتنى إلا وقد مشيت نحو نصف الطريق » .

٢٠٦- وحدثنى أبو محمد عبد الله البكرى - ويعرف بالمغاوير وكان من الصالحين والله أعلم مشهوراً بالصدق والخير - قال : زرت قبر الزبير بن العوام صاحب النبى - ﷺ - وقرابته وهو أحد العشرة وقبره بأرض البصرة قال : « فبينما أنا على قبره إذ رأيتنى قد صب على ماء ورد من الجو فبلنى حتى

(١٥٥) لم أقف عليه إلا الله المستعان أما كون الشهيد يأقى بدمه يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك فالأخبار به كثيرة مشهورة معروفة .

بل مرقعتى رأيت ذلك وأنا حاضر الذهن مفتوح العين »
وغير بعيد أن يخلق الله على رأسه ماء ورد ييله بل ييل الأرض كلها إذا شاء
كرامة لصاحب نبيه وبشرى لهذا بزيارته إياه ، وللكلام على هذا موضع
آخر .

٢٠٧- وذكر أبو إسحاق قال : حدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة
قالت : « لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره
نور » (١٥٦) .

ويستحب لك رحمك الله أن تقصد بميتك قبور الصالحين ومدافن أهل الخير
فتدفنه معهم وتنزل بإزائهم وتسكنه في جوارهم تبركاً بهم وتوسلاً إلى الله
عز وجل بقربهم وأن تجتنب به قبور من سواهم ممن يخاف التأذى بمجاورته
والتألم بمشاهدة حالته فقد روى عن النبي ﷺ - أنه قال : « إن الميت
ليتأذى بالجوار السوء كما يتأذى به الحي » والله عز وجل أعلم بحقيقة حال
المقبور وإنما لنا ما ظهر خاصة والله عز وجل ما ظهر وما خفى .

(٧) باب ذكر منامات رؤيت لبعض الصالحين تدل على ما هم فيه من الخير

وقد قال عليه السلام : « إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا
نبي فشق ذلك على المسلمين فقال : لكن المبشرات قالوا : يا رسول الله وما
المبشرات ؟ قال : رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة » (١٥٨) وقد فسر قوله

(١٥٦) خبر أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - من موت النجاشي يأتي في أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى
الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك وفي صلاة النبي ﷺ - هو وأصحابه عليه

(١٥٧) ضعيف * أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٥٤/٦) بزيادة « ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين » في أوله .
وقال أبو نعيم عريب من حديث مالك لم نكتبه إلا من حديث شعيب ، وقال أبو الفرج ، بن الجوزي في
« الموضوعات » (٢٣٧/٣ ، ٢٣٨) لا يصح .

(١٥٨) صحيح - أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح عريب من هذا الوجه من حديث المختار بن فلفل ،
وأخرجه الحاكم (٣٩١/٤) وصححه ووافقه الذهبي على شرط مسلم وأصل الحديث أخرجه الشيخان
البخاري (٣٧٥/١٢) عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لم يبق من السوء إلا =

تعالى : ﴿ لهم البشرى فى الحياة الدنيا ﴾ [يونس / ٦٤] أنها الرؤيا الصالحة ذكر
الحديثين الترمذى .

٢٠٨- وقال مسلم من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « الرؤيا
الصالحة بشرى من الله » وقال : « رؤيا المسلم يراها أو تُرى له جزء من ستة
وأربعين جزءاً من النبوة » (١٥٩) .

٢٠٩- ومن حديث أنس قال : قال رسول الله - ﷺ - : « الرؤيا الصالحة من
العبد الصالح جزء من ستين جزءاً من النبوة » (١٦٠) ذكر هذا مسلم وغيره .
وإذا ثبت صلاح العبد صدقت رؤياه وإلا فهي تَسْر ولا تضر والله أعلم فمن
يثبت صلاحه وبمن يصدق كل ما يراه وليس هنا موضع هذا الكلام ،
وسأذكر لك جملاً من هذه الأخبار .

٢١٠- ذكر البخارى من حديث أم العلاء وكانت ممن بايعت رسول الله - ﷺ -
قالت : « [طَارَ] (١٥٥) لنا عثمان بن مظعون فى السكنى حين أفرغت
الأنصار على سكنى المهاجرين فاشتكى فمرضناه حتى توفى ثم جعلناه فى
أثوابه فدخل علينا رسول الله - ﷺ - فقالت : رحمة الله عليك أبا السائب
فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال : وما يُدْرِيك أن الله أكرمك ؟ قلت :
لا أدرى والله ؛ قال : أما هو فقد جاءه اليقين إني لأرجو له الخير من الله ؛
والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يُفعل بى قالت : فوالله لا أَرْكِي أَحداً بعده ؛
قالت : فأحزننى ذلك فتمت فرأيتُ لعثمان بن مظعون فى النوم عيناً تجرى

المبشرات ، قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة » وأخرجه مسلم (٢٣/١٥) نووى) بحواه « وكذا أبو
داود (٣٠٤/٤) جميعاً من طريق إمام الأئمة مالك الذى أخرجه فى « الموطأ » (٩٥٦/٢) عبد الباقي) ومن
طريق البخارى أخرجه البغوى فى « شرح السنة » (٢٠٢/٢) وأخرجه الحاكم (٣٠٩/٤) وصححه على
شرطهما وقال لم يخرجاه ١.هـ.

(١٥٩) صحيح - فيه حديث أبى هريرة أخرجه البخارى (٣٧٣/١٢) ومسلم (٢٣/١٥) نووى) والطيالسى
(١٩/٢) .

(١٦٠) صحيح - أخرجه أحمد (٣١٥/٥ ، ٣٢١) والبخارى (٣٧٣/١٢) ومسلم (٢٣/١٥) والدارمى
(١٢٣/٢) والترمذى (٥٣٢/٥) والطيالسى (١٩/٢) والحاكم (٣٩٠/٤) .

(١٦١) - قولها (طَارَ لنا) أى حرج لهم فى قرعتهم كما تُسرّه فى « الفتح » .

فجئتُ رسول الله - ﷺ - فذكرتُ ذلك له فقال : ذلك عمله يجزى له ﴿١٦١﴾ .

٢١١- ويروى عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال : « رأيت معاذ بن جبل بعد وفاته بثلاث على فرس أبلق وخلفه كرجال أهل منى رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو قدامهم وهو يقول : ﴿ يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ [يس / ٢٦ ، ٢٧] ثم التفت عن يمينه وشماله يقول : يا ابن رواحة ، يا ابن مظعون ﴿ الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ [الزمر / ٧٤] قال : ثم صافحنى وسلم على- » .

معاذ بن جبل هذا وعثمان بن مظعون وعبد الله بن رواحة تشهد لهم صحبة رسول الله - ﷺ - بما هم فيه من الخير وبما صاروا إليه من الكرامة ولا يحتاج لهم إلى رؤيا ولكن أردت ألا أدخل هذا الباب من ذكر بعض الصحابة - رضى الله عنهم - أجمعين .

٢١٢- وقال صالح بن بسير : « رأيت عطاء السلمى فى النوم بعد موته فقلت له : يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن فى الدنيا فقال : أما والله لقد أعقبني ذلك فرحاً طويلاً وسروراً دائماً فقلت : فى أى الدرجات أنت ؟ فقال : ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ [النساء / ٦٩] .

٢١٣- ولما مات سفيان الثوري « رُؤي فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : وضعت أول قدم على الصراط والثانى فى الجنة » .

٢١٤- وقال إبراهيم بن إياس : « رأيت سفيان الثوري فى النوم بعد موته وهو مخضوب اللحية فقلت له : أبا عبد الله ما فعل الله بك ؟ قال : أنا مع السفارة قلت : وما السفارة ؟ قال الكرام البررة » .

وعن قبيصة بن عثمان بن سفيان قال : « رأيت سفيان الثوري فى المنام بعد موته فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : لقيت محمدا وحزبه (*) » .

(١٦٢) صحيح - أخرجه البخارى (٢٦٤/٧) وأورده أبو عبد الله الذهبي فى ترجمة عثمان بن مظعون - رضى الله عنه - من « سير النبلاء » (١/١٥٩ ، ١٦٠) وعبد الرزاق فى « المصنف » برقم (٢٠٤٢٢)

وقال محمد بن راشد : « رأيت عبد الله بن المبارك في النوم بعد موته فقلت : أليس قدُمتُ ؟ قال : بلى . قلت : فما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب . قلت : فسفيان الثوري ؟ قال : بيح بيح ذاك ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾

نظرت إلى ربي عيانا فقال لي : هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيد .
لقد كنت قواماً إذا الليل قد دجا بعبرة محزون وقلب عميد .
فدونك فاختر أي قصر تريده وزرني فإني منك غير بعيد .

٢١٥- وعن ابن عيينة قال : « رأيت سفيان الثوري في اليوم وقد مات كأنه يطير في الجنة من شجرة إلى نخلة ومن نخلة إلى شجرة وهو يقول : لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له : بم أدخلت الجنة ؟ قال : بالورع بالورع » .
وكان شعبة بن الحجاج ومسرر بن كدام رجلين فاضلين جليلين وكانا من ثقات المحدثين وحفاظهم وكان شعبة « أكثر وأجل فماتا فقال أبو أحمد اليزيدي : فرأيتهما في النوم وكنت إلى شعبة « أميل مني إلى مسرر » فقلت يا أبا بسطام ما فعل الله بك ؟ فقال : وفلك الله يا بني لحفظ ما أقول ثم أنشأ يقول :

حبائي إلهي في الجنان بقبة لها ألف باب من لجّين وجوهرأ .
وقال لي الجبار يا شعبة الذي تبهر في جمع العلوم فأكثرأ .
تنعم بعزي إنني عنك ذورضي وعن عبدى القوام في الليل مسعراً .
كفى مسعراً عزاً بأن سيزورني وأكشف عن وجهي وأدنو لينظراً .
فهذا فعالي بالذين تنسكوا ولم يألّفوا في سالف الدهر منكراً .

قيل له : فما فعل على بن عاصم ؟ قال ما نراه إلا مثل الكوكب » .

٢١٦- وذكر أبو الحسن بن جهم عن أبي بكر أحمد بن محمد بن الحجاج قال : « حدثني رجل من أهل طرسوس قال : دعوت الله عز وجل أن يريني أهل القبور حتى أسألهم عن أحمد بن حنبل ما فعل الله به ، فرأيت بعد عشر سنين فيما يرى النائم كأن أهل القبور قد قاموا على قبورهم فبادروني بالكلام فقالوا : يا هذا كم تدعو الله أن يريك إيانا تسألنا عن رجل لم يزل منذ

فارقكم تحليه الملائكة تحت شجرة طوبى » وهذا الكلام من أهل القبور إنما هو عبارة عن علو درجة أحمد بن حنبل وارتفاع مكانته وعظم منزلته فلم يقدروا أن يعبروا عن صفة حاله وعن ما هو فيه إلا بهذا وبما هو في معناه .

وقال محمد بن أحمد الكندى : « رأيت أحمد بن حنبل في النوم فقلت له : يا أبا عبد الله ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى . ثم قال لى : يا أحمد ضربت في ستين سوطا ؟ قلت : نعم يارب قال : هذا وجهى قد فانظر إليه » .

٢١٧- ويروى عن عبدة العابدة رحمها الله قالت : « لما حضرت الوفاة رابعة العدوية قالت يا عبدة لا تؤذنى بموتى أحداً وكفينى في جبتى هذه وهى جبة من شعر كانت تصلى بالليل فيها قالت : فكفناها في تلك الجبة وفي خمار من صوف كانت تلبسه قالت : عبدة فرأيتها في منامى بعد دفنها وعليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر قط شيئاً أحسن منهما قالت : فقلت لها : يا رابعة ما فعلت تلك الجبة التى كنا كفناك فيها والخمار الصوف ؟ قالت : إنهما نزعا والله عنى واستبدلت بهما هذا الذى ترين على وطوبىنا وختم عليهما ورفعانى عليين ليكمل ثوابهما لى يوم القيامة قلت لها : فما فعلت عبيدة بنت أبى كلاب ؟ قالت : هميات هميات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى قلت لها : وبم وقد كنت أنت عند الناس أكثر منها ؟ قالت : إنها لم تكن تبالى على أى حال أصبحت من الدنيا ولا أمتست قلت : فما فعل ضيغم بن مالك ؟ قالت : يزور الله عز وجل متى شاء . قالت : فقلت : فما فعل بشر بن منصور ؟ قالت : بيخ بيخ أعطى والله فوق ما كان يأمل . قالت : فقلت : فيما تأمريننى أن أتقرب إلى الله عز وجل به ؟ فقالت : عليك بذكر الله عز وجل فيوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك » .

٢١٨- وقال أبو جعفر السقا صاحب بشر بن الحارث : « رأيت بشر بن الحارث ومعروفا الكرخى وهما حائيان وكأنهما فى قبة أو كما قال فقلت : من أين ؟ قالوا : من جنة الفردوس زُرنا كليم الله موسى - ﷺ - » .

ولما احتضر حجاج الزاهد « قيل له : ما تشتهى ؟ قال : الله ثم خرجت نفسه فراه بعض إخوانه فى النوم كأنه يمشى على حائط قال : رفعت رأسى إليه وأنا أمشى بالأرض فقلت له : أبا يوسف كيف حالك ؟ وكيف أنت ؟

وعلام قدمت ؟ قال : فضحك وقال : ما الأمر إلا سهل ما رأيت شيئاً مما كنت أخافه والحمد لله .

٢١٩- وعن سعيد بن أسد : « أن رجلاً كان من دعائه : اللهم سهل على الموت ويسر على الحساب وبارك لي في اللقاء وأعزني من جهد البلاء فمات فرؤى في النوم فقيل له : ما فعلت ؟ فقال : لقيت خيراً كل شيء سألت الله أن يعطيني أعطانيه . »

وقال بعض الصالحين : « رأيت بشر بن الحارث في النوم وما كنت رأيته في اليقظة ولا كلمته قط فرأيت كأني واقف بين يدي الله عز وجل أسمع كلاماً ولا أرى أحداً وهو يقول : يا بشر قد قبلناك وقبلنا ما كان منك فسمعت بشراً يقول : ومن تبعني يا رب قال : قد غفرت لهم . »

٢٢٠- وقال عاصم الجوزي : « رأيت في النوم كأني لقيت بشر بن الحارث فقلت : من أين يا أبا نصر ؟ فقال : من عليين . قال : فقلت له : ما فعل أحمد بن حنبل ؟ قال : تركته الساعة مع عبد الوهاب الوراق بين يدي الله عز وجل يأكلان ويشربان . قلت له : فأنت ؟ قال : علم الله قلة رغبتى في الطعام فأباحني النظر إليه . »

٢٢١- وقال أبو جعفر السقا : « رأيت بشر بن الحارث في النوم بعد موته فقلت له : يا أبا نصر ما فعل الله بك ؟ فقال : ألطفني ورحمني وقال لي : يا بشر لو سجدت لي في الدنيا على الجمر ما أديت شكر ما حشوت قلوب عبادي منك وأباح لي نصف الجنة فأسرح فيها حيث شئت ووعدني أن يغفر لمن تبع جنازتي . فقلت له : ما فعل أبو نصر التمار ؟ قال : ذاك فوق الناس بصره على بنيانه وفقره لعله أراد بقوله أباح لي نصف الجنة نصف نعيم الجنة لأن النعيم نصفان نصف روحاني ونصف جسماني فيتنعمون أولاً بالروحاني فإذا رُدَّت الأرواح إلى الأجساد أضيف لهم النعيم الجسماني إلى النعيم الروحاني والله أعلم بما أراد . »

وذكر بعض الصالحين قال : « رؤى بشر بن الحارث في النوم وهو يهرول وهو يقول الساعة انطلقنا من السجن . »

وكان من دعاء بعض الصالحين : « اللهم يا سيدى حبست من شئت عن خدمتك ، وأطلقت لها من أحبيت من خلقتك ، غمر ظالم ولا مستول عن فعلك ، وقد تقدمت لى فيك آمال ، فلا تجمع على المنع من الطاعة ، وخيبة الأمل فيك يا كريم ، وكان هذا خاتمة دعائه فلما مات رأى فى المنام فى الجنة فقيل له : بم نلت هذا ؟ قال : بذلك التضرع والاستغاثة فى الأسحار . قال : ورؤى عليه حلة قال الرأى : ما رأيت لها شياً وعلها مكتوب بالذهب انعم فقد نلت الأمل انعم فقد نلت الأمل فقلت له : ما هذه الكتابة على ثيابك ؟ قال : هذا خاتمة تضرعى وأملى الذى كنت آمله من سيدى . وقال بعض الصالحين : « رأيت أبا بكر الشبلى فى النوم وكأنى قاعد فى مجلس بالموضع الذى كان يقعد فيه وإذا به قد أقبل وعليه ثياب حسان قال : فقمتم إليه وسلمت عليه وجلست بين يديه فقلت له : يا سيدى من أقرب أصحابك إليك ؟ فقال : مسرعاً ألهجهم بذكر الله وأقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة فى مرضاة الله » .

٢٢٢- وقال أبو عبد الرحمن الساحلى : « رأيت ميسرة بن سلم فى المنام بعد موته فقلت له : أصلحك الله طالت غيبتك فقال : السفر طويل قال : فقلت : فما الذى قدِمْتُ عليه ؟ فقال : رخص لنا لأننا كنا نفتى بالرخص فقلت : فما تأمرنى فقال : اتباع الآثار وصحبة الأخيار تنجيان من النار وتقربان من الجبار » .

وقال بعض الصالحين : « رأيت فى النوم كأنى فى السماء ولأهل السماء ضجيج وحركة وهم يقولون حاء المحسن جاء المحسن جعفر بن الزبير فانتبهت فمشيت إلى منزله فوجدته قد مات » .

٢٢٣- ويروى عن أبى جعفر الضير قال : « رأيت عيسى بن زاذان فى النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فأنشأ يقول :

لو رأيت الحسان فى الخلد حولى وأكاوب معهم للشراب .

يترنمن بالقومان جميعاً يتمشين مسبلات الثياب » .

وقال عبود المعلم وكان يعرف بوجه الجنة : « رأيت أبا عبد الله الفزارى المعلم فى المنام فقلت له : كيف وجدت الأمر ؟ قال : أسهل مما تذكرون

- وأصعب مما تصفون . فقلت له : صاحبك سهل الوراق معك هو ؟ قال :
يدي في يده ويده في يدي - يعنى في الجنة - ولكنه أطول منى قامة » .
وقوله أطول منى قامة يريد أرفع منى رتبة . وكان قد رآه بعد موته .
- ٢٢٤- ويروى عن معود بن جبراد التاكونى : وكان من الصالحين أنه قال :
« رأيت أبا حفص عمر بن عباد الزعيني الزاهد بعد موته فقلت له : ما فعل
الله بك ؟ فقال : لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير » وهذا يدل على
أنه فعل معه خير فأراد الزيادة منه .
- ٢٢٥- وعن يعلى بن عبيد قال : « جاء رجل إلى سفيان الثوري فقال له : يا أبا
عبد الله رأيت في المنام كأن ملكاً نزل من السماء إلى الشام فاقتلع ريحانة ثم
صعد بها إلى السماء فقال له سفيان : إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعي
فحفظ ذلك اليوم فجاء نعيه أنه مات فيه » .
- ٢٢٦- ويروى أن امرأة قالت لابن سيرين وهو يأكل : « رأيت كأن شجرة ياسمين
قلعت من الأرض ورفعت إلى السماء وكأن الثريا سقطت من السماء في
دارك قال : فرغ ابن سيرين يده من الطعام وقال : أعظم الله أجرى في نفسى
وإن كثرت البقاء فإلى سبع فكان كذلك » .
- ٢٢٧- ويروى عن عمرو بن عمر بن صفوان عن بعض مشيخته قال : « رأيت في
النوم كأنى جئت إلى هذه المقبرة التى بمكة فرأيت على عامتها سرادقاً ورأيت
منها قبراً عليه سرادق وفسطاط وسدرة فجئت حتى دخلت فإذا مسلم بن
خالد الزنجي فسلمت عليه وقلت : يا أبا خالد ما بال هذه القبور عليها
سرادق وقبرك عليه سرادق وفسطاط وفيه سدرة ؟ فقال : إني كنت كثير
الصيام . فقلت : يا أبا خالد أين قبر ابن جريج دلنى عليه فقد كنت أجالسه
وأنا أحب أن أسلم عليه . قال فقال هكذا بيده همات وأدار إصبعه السبابة
وقال : وأين قبر ابن جريج رفعت صحيفته في عليين » .
- ويروى عن بعض الصالحين قال : « رأيت بعض جبراني في النوم فقلت له :
ما حالك ؟ فذكر شيئاً . قلت : فما حال عبد الله بن المبارك ؟ قال : ذاك
مشهور في الجنة » .

٢٢٨- ورؤى حماد بن سلمة فى النوم « فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قال

لى : طال ما كددت نفسك فى الدنيا فالىوم أطيل راحتك وراحة المتعبين » .

٢٢٩- وعن أسلم بن زرعة العبادانى قال : « كان عندنا بالساحل رجل له فعل

بارع كان يعذب له الماء المالح قال : فقال لى يوماً : رأيت البارحة فيما يرى

النائم كأن رجلاً يقول لى : قد فرغنا من بناء دارك ولو رأيتها لقرت عيناك

وقد أمرنا من ينجزها والفراغ منها إلى سبعة أيام واسمها السرور وأبشر بخير

قال : فلما كان اليوم السابع بكر للوضوء فنزل للنهر وقد هدأ فزلق فغرق

فمات فأخرجناه فدفناه قال : فرأيت بعد ثلاثة وهو يكبر وعليه حلل خضر

فقال لى : يا أبا الرضى أنزلنى الكريم دار السرور وماذا أعد لى فيها فقلت :

صف هذا فقال : هيات يعجز الواصفون أن تنطق ألسنتهم بما فيها فيا ليت

عيالى يعلمون أنه قد هىء لهم منازل معى فيها كل ما اشتت أنفسم ولذت

أعينهم نعم وإخوانى وأنت معهم إن شاء الله قال : ثم انتهت » .

٢٣٠- وقال محمد بن التبان الفقيه - رحمه الله - : « رأيت ربيعاً العطار فى المنام

فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : فى الجنة . قلت : وكيف حالكم فيها ؟

فقال : تارة يزخر فى لنا الجنان وتارة تشرف علينا الحور العين وتارة تصطبك

لنا الحجب . قال : فقلت له : فمن أعلا منزلة أنت أم فلان وسمى له رجلاً

معروفاً عندهم ؟ قال : فتبسم وقال : جميعنا كلنا فى حديقة واحدة يعنى فى

جنة واحدة » .

٢٣١- ورأى بعض من يوثق بحديثه : « رجلاً كان يعرف بخير وعفاف بعد موته

وعليه عمامة خز فأنكرها عليه وكأنه قال له : أتلبسها ولباس الخز مكروه

فقال له : هو عندنا فى هذه الدار مباح » .

ورؤى غيره شاباً وكان فى الدنيا أشيب فقيل له : « نراك دون شيب ؟

فقال : لا يشيب أحد فى هذه الدار » .

وقال بعض الصالحين : كان لى ولد فاستشهد فرأيت فى النوم ليلة مات عمر

ابن عبد العزيز فقلت له : يا بنى أأست ميتاً ؟ قال : لا ولكنى حى أرزق

فقلت : وما جاء بك ؟ قال : نودى فى أهل السماء لا يبقى نبى ولا صديق

ولا شهيد إلا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فحضرت ثم جئت ثم
لأسلم عليكم وأراكم » والأخبار في هذا الباب لا تحصى .

(٨) ذكر منامات رؤيت لرجال تدل على ما هم فيه من سوء الحال

٢٣٢- روى عن العباس بن عبد المطلب قال : « كنت مؤاخياً لأبي لهب فلما مات
وأخبر الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمنى أمره فسألت الله حولاً أن يريني
في المنام قال : فرأيت يلهب ناراً فسألته عن حاله فقال : صرت إلى النار
والعذاب لا يخفف عني ولا يروح إلا ليلة الاثنين في كل الليالي والأيام
قلت : وكيف ذلك ؟ فقال : ولد في تلك الليلة محمد - ﷺ - فجاءتني
أميمة فبشرتني بولادة آمنة إياه ففرحت وأعتقت وليدةً فرحاً به فأنابني الله
بذلك أن يرفع عني العذاب في كل ليلة اثنين » أبو لهب كان عم رسول الله
- ﷺ - وكان كثير الإذاعة لرسول الله - ﷺ - بعدما جاءته النبوة
شديد العداوة له .

٢٣٣- وروى عن طارق بن عبد الله المخاري قال : « رأيت بسوق عكاظ رجلاً
جميل الوجه يقول : أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ووراءه رجل
أعور جميل يقول : أيها الناس لا تصدقوا فإنه كذاب وقد رمى كعبيه
وعرقوبيه بالحجارة حتى أدماه فقلت : من هذا الرجل الجميل الوجه فقالوا :
هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم أن الله أرسله قلت : ومن هذا
الآخر وراءه ؟ » قالوا عمه أبو لهب » (١٦٣)

(١٦٣) أرجو أنه صحيح - قال الميثمي في « المجمع » (٢٥/٦ ، ٢٦) أخرجه الطبراني وفيه أبو حناب الكلبي
وهو مدلس وقد وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح وأخرجه الحاكم في المستدرک (٦١١/٢) ،
٦١٢ وصححه ورافقه الذهبي بالرغم من أن في إسناده أحمد بن عبد الجبار العطاردى وقد قال فيه
الذهبي ما قال في « الميزان » (١١٢/١ ، ١١٣) وأخرجه المهي في « السنن الكبرى » (٧٦/١) مختصراً
وكذا أخرجه شيخ الإسلام ابن حجر رحمه الله في « الإصانة » (٢٨٢/٢) في ترجمة طارق بن عبد الله
المخاريبي قال : روى الترمذى من حديثه أنه رأى النبي - ﷺ - قل المحرة بذي الجار وذكر له
قصته مع عمه أبي لهب .هـ. وأخرجه ابن حبان (١٨٣/٨ ، ١٨٤) وأورده الديلمي في « الردوس »

وسوء حال أبى لهب أصبح من أن يحتاج فيها إلى شاهد ولكن أردت أن لا أنخل هذا الباب من ذكره أو ذكر مثله ، وهذا التخفيف الذى ذكر إن كان فإنما هو فى البرزخ وأما فى الآخرة فلا تخفيف ولا تفتير ولا راحة ونعوذ بالله من عذابه » .

ويروى عن بعض الصالحين من أهل القبروان قال : « كان لى جار فذكر أنه ليس بمسلم فبات فرأيت فى النوم حجراً فلما يتدحرج حتى وصل إلى باب دار ذلك الرجل فدنوت منه فإذا بالحجر قد انفرج فخرج منه رجل هو ذلك الرجل فقلت له : ما هذا ؟ فقال : هكذا نحن نعذب وذكر سوء حاله . فقلت له : لعل الله أن يغفر لك فقال : وكيف يغفر لى وأنا قدمت على غير الإسلام » .

٢٣٤- ويروى عن هشام بن حسان قال : « مات ابن لى شاب فرأيت فى النوم وهو أشيب فقلت له : يا بنى ما هذا المشيب ؟ فقال : قدم فلان فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها أحد إلا شاب » .

ويروى « إن رجلاً رأى فى المنام شاحب اللون متغير الوجه وقد غلت يده إلى عنقه فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فأنشأ يقول :
تولى زمان لعبنا به وهذا الزمان بنا يلعب » .

ورؤيا عمر بن العزيز - رضى الله عنه - « فذكر القيامة والبعث وجمع الناس لفصل القضاء وكيف نودى بالخلفاء واحداً بعد واحد وحسابهم وكل واحد منهم على منزلته ثم نادى المنادى أين عمر بن عبد العزيز ؟ قال : فتصببت عرقاً ثم أخذت الملائكة بيدي فأوقفتنى بين يدي الله تعالى فسألنى عن الفتيل [والنقير] والقطمير وعن كل قضية قضيتها حتى ظننت أنى لست بناج ، ثم أنه تفضل على برحمة منه فغفر لى وأمر بى ذات اليمين إلى الجنة ، فمررت بجيفة ملقاة فقلت للملائكة : من هذا ؟ فقالوا : كلمه يكلمك فوكزته برجلى فرفع رأسه وفتح عينيه فإذا رجل

(٨١٦١) وأحمد (٤٩٢/٣) والطبرانى فى « الكبير » (٦١/٤/٥) (٣٧٦/٨/٢٠) والدارقطنى فى « سننه » (٤٤/٣ ، ٤٥) وغيرهم .

أفطس أثرم شديد الأدمة وحش المنظر فقال لى : من أنت ؟ فقلت : عمر بن عبد العزيز فقال : ما فعل الله بك ؟ فقلت : تفضل على برحمة فغفر لى وأمر بى ذات اليمين إلى الجنة ، قال : فما فعل أصحابك الخلفاء الذين معك ؟ فقلت : أما أربعة فغفر لهم وأمر بهم ذات اليمين وأمر بهم إلى الجنة وأما الباقيون فلا أدرى ما فعل بهم . قال : وأخذنى البكاء ثم قال : هناك ما صرت إليه . قلت : من تكون ؟ قال : أنا الحجاج بن يوسف قَدِمْتُ على رضى فوجدته شديد العقاب قتلنى بكل قتيل قتلته قَتْلَةً ، وها أنا موقوف بين يديه أنتظر ما ينتظر الموحدون « (١٥٨) والأخبار فى هذا الباب كثيرة أيضاً .

(٩) ذكر الأرواح أين يذهب بها وما جاء فى عذاب القبر

٢٣٥- ذكر أبو بكر البزار فى مسنده من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « إن المؤمن إذا حضر أئته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر ريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العحين ويقال : أيتها النفس المطمئنة أخرجى راضية مرضية عنك إلى روح الله وكرامته فإذا خرج روحه وضع على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وذهب به إلى عليين ، وإن الكافر إذا حضر أئته الملائكة بمسح فيه جمره فتتنزع روحه انتزاعاً شديداً ويقال : أيتها النفس الخبيثة أخرجى ساخطة مسخوطة عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمره ويطوى عليها المسح ويذهب به إلى سبعين » (١٦٥) .

(١٦٤) - قصة رؤيا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - هى فى ترجمته من « الخلية » (٣٠٠/٥) ، (٣٠١) وإسنادها مقطوع وفيه مدلس فالحديث ضعيف .

(١٦٥) - صحيح : أخرجه النسائى (٨/٤) سيوطى) والحاكم (٣٥٢/١ ، ٣٥٣) وصححه ووافقه الذهبى ، وابن حبان (٨/٥) والآخري فى « الشريعة » (ص ٣٩٢) من طرق عن قتادة عن قسامة بن زهير عن أبى هريرة . وهو فى « صحيح الجامع » برقم (٥٠٤) وفى « تذكرة القرطبى » (ص ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١) وعزاه للبزار وكذا عزاه إليه السيوطى فى « شرح الصدور » وإلى ابن مردويه

٢٣٦- وعن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « إن المؤمن إذا حضر أخته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : أخرجى راضية مرضية عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح مسك ، حتى أنه ليتناولها بعضهم يشمون ، حتى يأتون به باب السماء فيقولون : ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض ، فكلموا أتوا سماء قالوا لهم مثل ذلك ، حتى يأتون به أرواح المؤمنين فَلَهُمْ أَفْرَحُ بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبَةٍ إِذَا قَدِمَ فيقولون ما فعل فلان فيقولون دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم الدنيا فإذا أصبح أو استراح قال لهم : أما أناكم فإنه قد مات فيقولون : ذهب به إلى أمه الهاوية ، وأما الكافر فإن ملائكة العذاب تأتيه بمسح فيقولون : أخرجى ساخطة مسخوطة عليك إلى عذاب الله وسخطه ، فتخرج كأنتن ريح فينطلقون به إلى باب الأرض « وفي بعض طرق (١٦٦) هذا الحديث « فينطلقون به إلى باب الأرض فيقولون ما أنتن هذه الريح ، كلما أتوا على أرض قالوا ذلك ، حتى يأتوا به أرواح الكفار » ذكره قاسم بن أصبغ من حديث أبي هريرة أيضاً .

٢٣٧- وذكر مالك في الموطأ من حديث كعب بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله في جسده يوم يبعثه » (١٦٧) .

(١٦٦) الحديث في الذى قبله ونزید هنا أن له شاهدًا من حديث البراء بن عازب - رضى الله عنه - أخرجه أبو داود (٢١٣/٣) والحاكم (٣٧/١ ، ٣٨) وأحمد (٢٨٧/٤ ، ٢٨٨) والطيالسى برقم (٧٥٣) والآجری فی « الشريعة » (ص ٣٩٢) وابن رجب الحسلى فی أهوال القصور (ص ٢٦) وهو فی « صحيح الجامع » رقم (١٦٧٢) .

(١٦٧) صحيح * أخرج إمام الأئمة مالك رحمه الله في « الموطأ » (٢٤٠/١) عبد الباقي) ومن طريقه أخرجه السائى (١٠٨/٤) سيوطى) والترمذى (١٦٤١) وابن ماجه (٢٨١١) والطيالسى (٢٩١) وابن حبان في صحيحه (٨٣/٧) وأبو نعيم في « الحلية » وأحمد (٤٥٦/٣ - ٤٦٠) عن كعب بن مالك ومن غير حديثه - رضى الله عنه - أورده الديلمى في « الفردوس » (٩١٤) عن أنس سعيد الحدرى) وأخرجه البيهقى في « السلس الكرى » (١٦٣/٩) عن عبد الله - رضى الله عنه - وكذا أخرجه الآخري في « الشريعة » (ص ٣٩٢) وابن ماجه (٢٨٠٢) والحر في المشكاة (٦٣١٥) وفي أهوال القصور لاس رجب .

٢٣٨- وذكر مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندق أخا بني كعب وهو يجر قصبة في النار » (١٦٨) القصب : الأمعاء .

٢٣٩- وذكر مسلم أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت قال : قال أبو سعيد ولم أشهده عن النبي - ﷺ - ولكن حدثني زيد بن ثابت قال : « بينا النبي - ﷺ - في حائط لبنى النجار على بغلة ونحن معه إذ جالت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة قال : كذلك كان يقول الحويري فقال : من يعرف أصحاب هذه الأقبر فقال رجل : أنا قال : فمتى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا في الإشرار . فقال : إن هذه الأمة تتبلى في قبورها فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار قال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال » (١٦٩) .

٢٤٠- وعن أبي أيوب الأنصاري قال : « خرج رسول الله - ﷺ - بعدما غربت الشمس فسمع صوتاً فقال يهود تعذب في قبورها » (١٧٠) .

٢٤١- وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « دخل علي رسول الله - ﷺ - وعندي امرأة من اليهود وهي تقول : هل شعرت أنكم تفتنون في القبور

(١٦٨) - صحيح : أخرجه البخاري (٢٨٣/٨) ومسلم (٢٠٣/٦) وأحمد (٣٦٦/٢) وابن ماجة وابن حبان (٥٢/٨) والبيهقي (١٦٣/٦) وهو في « صحيح الجامع » ٣٤٦٣ ، ٣٤٦٤ (وابن جرير (٥٦/٧) « والدر المنثور » (٣٣٧/٢) .

(١٦٩) - صحيح - أخرجه مسلم (٢٠٢/١٧) - نووي (وأحمد في « المسند » (١٩٠/٥) وأبو داود (٤٧٥١) وابن حبان (٧٨٥ - موارد) .

(١٧٠) صحيح - متفق عليه عند الشيعين فهو عند البخاري (١٢٤/٢) ومسلم (٢٠٣/١٧) والسنائي (٢٠٢/٤) وابن حبان (٥٠/٢) وهو في المشكاة برقم (١٢٩) .

قالت : فارتاع رسول الله - ﷺ - وقال : إنما تفتن يهود . قالت عائشة : فلبثنا ليالى ثم قال رسول الله - ﷺ - : هل شعرت إنه أوحى إلى أنكم تفتنون في القبور . قالت عائشة : فسمعت رسول الله - ﷺ - بعد يستعيز من عذاب القبر « (١٧١) » .

٢٤٢- وعن عائشة أيضاً قالت : « دخلت [عجوزان] من عجائز يهود المدينة فقالتا : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم قالت : فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرَجَتَا ودخل على رسول الله - ﷺ - فقالت له : يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا على فرعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم فقال : صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم قالت : فما رأيته جهر في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر « (١٧٢) » في هذا الحديث زيادة كثيرة تجيء بعد إن شاء الله .

٢٤٣- وذكر أبو داود من حديث عثمان بن عفان - رضى الله عنه - قال : « كان النبي - ﷺ - إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل » (١٧٣) وقد تقدم .

٢٤٤- وذكر مسلم من حديث البراء بن عازب عن النبي - ﷺ - قال : « ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ [إبراهيم / ٢٧] قال : نزلت في عذاب القبر يقال له من ربك ؟ فيقول ربي الله ونبي محمد فذلك قوله عز

(١٧١) صحيح * أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » برقم (٨٧٣ ، ٨٧٤) وهو عند الشيوخ البحارى (٢٨٨/٢) في « الكسوف » ومسلم (٨٦/٥) في « المساحد » ، وأخرجه الطيالسى (١٤١١) وأحمد (١٧٤/٦) والبيهقى (٣٢٣/٣) وأبو داود (٤٧٥٦) و (٤٧٥٧) وغيرهم .

(١٧٢) في الذى قبله « المشكاة » (١٢٨) وهو صحيح .

(١٧٣) حسن * أخرجه أبو داود في « الحنائن » (٣٢٢١) والحاكم (٣٧٠/١) والبقوى في « شرح السنة » (٤١٨/٥) وأستغربه وقال لا يعرف إلا من حديث هشام بن يوسف ... إلخ كلامه رحمه الله راجعه وهو في « المشكاة » برقم (١٣٣) راجع « تلخيص الحبير » (١٣٥/٢) قال الحافظ رحمه الله بعد أن أورد الحديث بلفظ الباب وعزاه لأبى داود والحاكم والبراء عن عثمان قال : قال البزار لا يروى عن النسي - ﷺ - إلا من هذا الوجه .هـ. وقال النووى في الأذكار .. « حسن » .

وجل : ﴿ ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [إبراهيم / ٢٧] « (١٧٤) » .

٢٤٥- وعن أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنها - عن النبى - ﷺ - أنه قال : « قد أوحى إلى أنكم تفتنون فى القبور قريباً أو مثل فتنة المسيح الدجال - لا أدرى أى ذلك قالت أسماء - فيؤتى أحدكم فيقال له : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن - لا أدرى أى ذلك قالت أسماء - فيقول : هو محمد رسول الله - ﷺ - جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ثلاث مرات . فيقال له : ثم قد كنا نعلم أنك لتؤمن به نم صالحاً . وأما المنافق أو المرتاب - لا أدرى أى ذلك قالت أسماء - فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت » (١٧٥) .

٢٤٦- وذكر النسائى عن أنس أن النبى - ﷺ - قال : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ محمد - ﷺ - فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً خيراً منه قال رسول الله - ﷺ - : فبراهما جميعاً ، وأما الكافر أو المنافق فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى كنت أقول كما يقول الناس فيقال له : لا دريت ولا تليت ثم يضرب ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من يليه غير الثقلين » (١٧٦) ذكر البخارى قال : « ويضرب بمطرقة من حديد ضربة فيصيح » (١٧٧) وذكر باقى الحديث .

(١٧٤) صحيح - أخرجه الشيخان البخارى (٣٧٨/٨) ومسلم (٢٠٤/١٧) والنسائى (٤١٢/٥) وأبو داود (١٠٢ ، ١٠١/٤) والمشكاة (١٣١)

(١٧٥) صحيح * أخرجه البخارى (٢٣٢/٣) مختصراً و (١٨٢/١) ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ و (٤٥٣/٢) والإسماعيلى فى المستخرج كما فى الفتح (٢٣٦/٣) من طريق يونس عن الزهرى عن عروة عن أسماء بهذا اللفظ . وأخرجه النسائى (١٠٣/٤ ، ١٠٤) من عمر وحه عنها - رضى الله عنها -

(١٧٦) غير أنس من الذى قبله .

(١٧٧) راجع « البعث » لابن أبى داود ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ بشرح شيخنا أبى إسحق حفظه الله .

٢٤٧- وذكر الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا أقر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : ما كان يقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين ثم له فيه ثم يقال له : نعم فيقول : أرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقولان : نعم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري . فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك . فيقال للأرض التسمى عليه ، فتلتئم عليه فتخلف فيها أضلاعه ، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه ذلك » (١٧٨) .

٢٤٨- وذكر عبد بن حميد من حديث عائشة - رضى الله عنها - قالت : « جاءت يهودية فاستطعمت على بابى فقالت : أطعمونى أعاذكم الله من فتنة عذاب القبر ومن فتنة الدجال فلم أزل أحبسها حتى جاء النبى - ﷺ - فقالت : يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية ؟ قال : وما تقول ؟ قلت : تقول : أعاذكم الله من فتنة عذاب القبر ومن فتنة الدجال . قالت عائشة : فقام رسول الله - ﷺ - فرفع يديه مدأ يستعيز بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر قالت : ثم قال : أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبى إلا وقد حذره أمته وسأحذر كموه تحذيراً لم يحذره نبى أمته إنه أعور وإن الله ليس بأعور ، بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل مؤمن وأما فتنة القبر ففيه تفتنون وعنى تسألون ، فإذا كان الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا مشغوف فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول : فى الإسلام ، فيقال : ما هذا الرجل الذى كان فيكم ؟

(١٧٨) * حسن * أخرجه الترمذى (٣٧٤/٣) برقم (١٠٧١) وقال . حسن غريب . وقال العلامة محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله . لم يخرجه من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذى . أخرجه أيضاً ابن حبان فى « صحيحه » (٤٨/٥) وفى روايته (٧١٨ موارد) والبيهقى فى شرح السنة (٤١٦/٥) وأبو داود (٤٧٥٣) من حديث البراء والحاكم (٣٧/١) راجع « شرح الصدور » (ص ٨٠) - وصحيح الجامع حيث قال شيخنا حسن .

فيقول : محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فأما به وصدقناه . قال : فيقال له : هل رأيت الله ؟ فيقول ما ينبغي لأحد أن يرى الله . فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ، فيقال له : انظر إلى ما وراك الله ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له : هذا مقعدك منها ، ويقال له : على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله ، وإذا كان الرجل السوء أجلس في قبره فرعاً مشغوقاً فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول لا أدري فيقال له : ما هذا الرجل الذي كان فيكم ؟ فيقول : سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت كما قالوا ، فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له انظر إلى ما صرفه الله عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له هذا مقعدك منها ، على الشك كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله عز وجل . ثم يعذب » (١٧٩) .

٢٤٩- وقال عبد بن حميد أيضاً عن ابن أبي ذئب قال محمد بن عمرو فحدثني سعيد ابن يسار عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - : « إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قال اخرجي أيتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال له ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال فلان فيقال مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله تبارك وتعالى ، وإذا كان الرجل السوء قال اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيقال من هذا ؟ فيقال : فلان . فيقال لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنه لا تفتح لك

(١٧٩) هو في ١٦٥ ونزید هنا أنه أخرجه أبو داود (٤٦٥٦) من حديث أبي عبيدة بن الجراح و٧٧٥٧ من حديث الزهري عن سالم عن أبيه به والحاكم (٣٨/١ ، ٤٠) .

أبواب السماء فترسل من السماء ثم يصيران إلى القبر فيجلس الرجل الصالح فيقال له فإرد ما في حديث عائشة سواء ويجلس الرجل السوء فيقال له فإرد ما في حديث عائشة سواء وقد تقدم « (١٨٠) » .

٢٥٠- قال عبد : وأخبرني عمرو بن عون أخبرنا أبو عوانه عن الأعمش عن المنهال ابن عمرو عن زاذان أبي عمر عن البراء بن عازب قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ - في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ - وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير قال : فجعل النبي ﷺ - يرفع بصره ينظر إلى السماء وينكت في الأرض ويحدث نفسه ثم قال : أعوذ بالله من عذاب القبر مراراً ثم قال : إن الرجل إذا كان في قبل من الآخرة وإنقطاع من الدنيا أتاه ملك الموت فجلس عند رأسه فإن كان مسلماً قال : أخرجني أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوان قال : فتخرج نفسه تسيل كما تسيل قطرة السقاء ، وتنزل ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون منه مد البصر ، فإذا أخذها قاموا إليه فلم يتركوها في يده طرفة عين ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ [الأنعام / ٦١] قال : فتخرج منه مثل أطيب ريح وجدت على وجه الأرض . قال : فيصعدون به فلا يمرون على جند من الملائكة فيما بين السماء والأرض إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فقالوا : هذا فلان بأحسن أسمائه فإن انتها به إلى السماء قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فقالوا : هذا فلان بأحسن أسمائه فيفتح له أبواب السماء ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة قال : فيقال : اكتبوا كتابه في عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم وأرجعوه إلى الأرض إن منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال : فيرجع روحه في جسده قال : ويبعث الله إليه ملكين شديدي الانتهاز فيجلسانه وينتهرانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟

(١٨٠) صحيح - أخرجه الإمام أحمد في « المسند » (٢٧٧/٢) وابن ماجه (٤٢٦٢) والآجزي في « الشريعة » وأورده السيوطي في « الجامع الصغير » فهو في قسم الصحيح منه برقم ١٩٦٤ .

فيقول : رسول الله - ﷺ - فيقولان : وما يدريك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله تعالى فأمنت به وصدقت فذلك قول الله عز وجل : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [إبراهيم / ٢٧] وينادى منادٍ من السماء أن قد صدق فألبسوه من الجنة وأفرشوا له من الجنة وأروه منزله من الجنة قال : فيلبس من الجنة ويفرش له من الجنة ويرى منزله من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ، قال : ويمثل له رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح قال : فيقول : أبشر بما أعد الله لك من الكرامة هذا يومك الذي كنت توعده قال : فيقول له : ومن أنت رحمك الله ؟ فوالله لو جهك الوجه جاء بالخير قال : فيقول : أنا عمك الصالح والله ما علمت إن كنت لحريصاً على طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً قال : فيقول : رب أقم الساعة لكي أرجع إلى أهلي ومالي » (١٨١) .

٢٥١- قال : وقال الأعمش : وحدثني أبو صالح حدثني بعض أصحاب النبي - ﷺ - أنه قال : « يقال له : نعم قال : فينام ألد نومة نامها نائم قط حتى توقظه الساعة ثم رجع إلى حديث البراء قال : وإن كان فاجراً إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول : اخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى غضب وسخط من الله قال : فيفرق روحه في جسده قال : فيستخرجها يقطع منها العروق كما يستخرج الصوف المبلول بالسفود قال : وتنزل ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر فإذا وقعت في يد ملك الموت قام إليه الملائكة فلم يتركوها في يده طرفه عين قال : ويخرج منه مثل أتن ريج وجدت على وجه الأرض فيصعدون به فلا يمرون على جند من الملائكة فيما بين السماء والأرض إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : هذا فلان بأسوأ أسمائه قال : فإذا انتهى به إلى السماء الدنيا أغلقت دونه فلم تفتح له وينادى منادى

(١٨١) صحيح . أخرجه الإمام أحمد (٢٨٧/٤) و٢٨٨ و٢٩٧ وأبو داود (٣٢١٢) والسنائي (٧٨/٤) وابن ماجه (١٥٤٩) والبخاري في « شرح السنة » (٤٠٨/٥) من طرق عن المهال بن عمرو عن زاذان عن البراء مرفوعاً به بزيادة ونقصان أحرف بعضهم على بعض . والحديث بطوله في « شرح الصدور » ص ٤٧ .

أن اكتبوا كتابه في سجين وأرجعوه إلى الأرض فأني وعدتهم أن منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال : فترمى به من السماء فذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ﴾ قال : فيعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان شديدا الانتهاز فيجلسانه وينتهرانه قال : فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : لا أدري . فيقولان له : ما هذا النبي الذي بعث فيكم ؟ قال : فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك لا أدري قال : فيقولان له لا دريت قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ قال : وينادي منادٍ من السماء أن قد كذب فألبسوه من النار وأفرشوا له من النار وأروه منزله من النار قال : فيكسى من النار ويفرش له من النار ويرى منها منزله قال : ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه قال : ويمثل له رجل قبيح المنظر قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوؤك أبشر بغضب من الله وسخط هذا يومك الذي كنت توعده هذا يومك الذي كنت تكذب به قال : فيقول له : ويلك ومن أنت فوالله لوجهك الوجه جاء بالشر قال : فيقول : أنا عملك الخبيث والله ما علمت إن كنت لبطيئاً عن طاعة الله حريصاً على معصية الله فجزاك الله عنى شر الجزاء فيقول : يا رب لا تقم الساعة مما يرى مما أعد الله له ﴿ (١٨٢) .

٢٥٢- وذكر أبو بكر البزار في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال : « شهدنا مع رسول الله - ﷺ - جنازة فقال رسول الله - ﷺ - : يا أيها الناس إن هذه الأمة تُسأل في قبورها فإذا الإنسان دفن وتفرق أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده فقال : ما تقول في هذا الرجل ؟ يعني محمداً - ﷺ - فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فيقول : صدقت . ثم يفتح له باب إلى النار فيقول : هذا كان منزلك لو كفرت بربك فأما إذ آمنت به فهذا منزلك فيفتح له باب [إلى الجنة فيقول هذا كان منزلك لو كفرت بربك فأما إذ آمنت به هذا منزلك] فيفتح له

(١٨٢) تقدم وتزيد هنا أن الحاكم قد أخرج نحوه - على هذا الطول - في المستدرک (١/٣٧) .

باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقول : أسكن ويفسح له في قبره ، وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له : ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً . فيقول له الملك : لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له باب إلى الجنة . فيقول : هذا منزلك لو آمنت بربك فأما إذ كفرت فإن الله قد أبدلك به هذا ويفتح له باب إلى النار ثم يغمسه قمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم إلا الثقلين فقال بعض القوم : يا رسول الله ما من أحد يقوم عليه ملك في يده مطرقة إلا يهيل عند ذلك ؟ فقال رسول الله ﷺ - ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ (١٨٣) .

٢٥٣- وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ - يقول : « يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تينياً تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تينياً منها نفخ في الأرض ما أنبت خضراً » (١٨٤) .

٢٥٤- وذكر البخاري عن ابن عباس قال : مر رسول الله ﷺ - على قبرين فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما هذا فكان لا يستنزه من بوله وأما هذا فكان يمشي بالنميمة ، ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين فغرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ثم قال : لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » (١٨٥) .

(١٨٣) صحيح * أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٢٦/٢) وابن حبان (١٨٢٦) والحاكم (٣٧٠/٢) وعبد الله بن أحمد في السنة (١٣٥٤) وابن حبان (٧٨٥) والآثر في الشريعة (٣٦٦) من طرق عن أبي سعيد به .

(١٨٤) ضعيف * أخرجه الدارمي أبو محمد رحمه الله (٣٣١/٢) وأحمد (٣٨/٣) وابن حبان (٧٨٢ ، ٧٨٣ - موارد) من وجوه عن دراج أبي السمح يقول سمعت أنا الهيثم يقول سمعت أنا سعيد يقول فذكره مرفوعاً .

(١٨٥) صحيح * أخرجه أحمد (٢٩/٥) والبخاري (٣١٦/١) فتح ومسلم (٢٠٠/٣) نووي وأبو داود (٦/١) والترمذي (١٠٢/١) شاكر والنسائي (٢٨/١) سيوطي والدارمي (١٨٨/١) وأحمد (٣٦٦/٥) كلهم من طريق الأعمش عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً به وأخرجه إمام الأئمة ابن خزيمة في صحيحه (٣٢/١ ، ٣٣) وابن حبان في « صحيحه » (٥٢/٥) والنعوي في « شرح السنة » (٣٧٠/١ - ٣٧١) والهيقي في « السس الكبرى » (١٠٤/١ ، ٤١٢/٢) .

٢٥٥- وذكر النسائي عن ابن عمر عن رسول الله - ﷺ - قال : « هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألف من الملائكة لقد ضُمَّ ضمة ثم فرج عنه » (١٨٦) .

وهذا الذي تحرك له العرش هو سعد بن معاذ الأنصاري رُمى بسهم في غزوة الخندق ثم مات منه بعد ذلك ويعنى بالضممة ضمة القبر .

٢٥٦- ومن حديث شعبة بن الحجاج بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ » (١٨٧) .

٢٥٧- وذكر مسلم من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن أحدكم إذا مات عُرض على مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة » (١٨٨) ويروى : « عرض عليه مقعده » .

وهذا ضرب من العذاب كبير ، وعندنا المثال في الدنيا بمن يعرض عليه السيف للقتل أو غيره من آلات العذاب أو بمن يهدد به من غير أن يرى

(١٨٦) * صحيح * أخرجه النسائي (١٠٠/٤ ، ١٠١) وهو في « صحيح الجامع » برقم (١٦٩٥) وابن حبان في « صحيحه » (٨٩/٩) والديلمي في « الفردوس » (٦٩٧٢) وأبو الفداء ابن كثير في « البداية » من غير وجه (١٢٨/٤) والأحاديث في فضل سعد ومناقبه كثيرة غير أنا التزمنا لفظ المصنف والله تعالى أعلم .

(١٨٧) * صحيح - أخرجه الإمام أحمد رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وهو في صحيح الجامع (٢١٧٦) وأورده ابن رجب في أحوال القبور له (١٨٦) والخبر ذكره الهيثمي رحمه الله في « المجمع » (٤٩/٣) وعزاه لأحمد عن نافع عن عائشة وعن نافع عن إنسان عن عائشة ، قال وكلا الطريقين رجالهما رجال الصحيح . أخرجه ابن كثير في البداية (١٢٨/٤) برواية المسند (٥٥/٦) ، (٩٨) وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٧٣/٣ ، ١٧٤) وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢٠٦/٣) وكذا الطبراني في الكبير (٤٠٦/١٠) .

(١٨٨) صحيح - أخرجه الإمام أحمد (٥٠/٢) وأخرجه الحارثي في « الرقاق » (٣٦٢/١١) فتح (٣٦٢/١١) ومسلم في « صفة الجنة » (٢٠٠/١٧) والترمذي (٣٧٥/٣) عبد الباقي وابن ماجه (٤٢٧٠) والديلمي في « الفردوس » برقم (١١١٤١) وهو في صحيح الجامع (٨٠٤) وأورده ابن رجب الحنبلي في « أحوال القبور » (١٣٠ - ١٣١) وعزاه للصحيحين .

الآلة ، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه وبكرمه ورحمته .
قد صحت الأحاديث عن النبي - ﷺ - في عذاب القبر على الجملة فلا
مطعن فيها ولا معارض لها ، وإنما اختلف الناس هل تعذب الروح قبل أن يرد
إلى الجسد أو بعد دفنه أو بعد ما ترد إليه لأن الرواية في رد الروح إلى الجسد
في القبر لم تصح صحة عذاب القبر من غير ذكر رد الروح وحديث رد
الروح إلى الجسد في القبر ذكره أبو داود أيضا .

وكيف ما كان ، فالعذاب محسوس ، والألم موجود ، والأمر شديد ، وقد
ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلاً بالنائم فإن روحه تتنعم أو تتعذب
والجسد لا يحس بشيء من ذلك ، فتفكر أيها الإنسان في نفسك ، وتخيل
حالك عند حلول رمسك ، وهل يكون أول سعدك أو يكون أول نحسك ،
وقد جاء في الخبر « إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه
فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » (١٨٩) ، وفي الخبر
أيضاً : « إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » (١٩٠) .
وقد تقدم الحديثان وأنت أعلم بحالك وما قدمت من أعمالك فتخيل بين
عينيك وثوب منكر ونكير عليك وفي إسميهما ما يدللك على صفتيهما وقولهما
وفعلهما ، وقد بدا لك بعض ما يعذبان به ذلك الممتحن وما يسومان به
ذلك البائس المرتن .

واعلم أن عذاب القبر ليس مختصاً بالكافرين ولا موقوفاً على المنافقين ، بل
تشاركهم فيه طائفة من المؤمنين ، وكل على حاله من عمله وما استوجبه
بخطيئته ، وزله وإن كانت تلك النصوص المتقدمة في عذاب القبر إنما جاءت
في الكافر والمنافق ، ومن أين لك بالأمان من تلك الصفة المذمومة والأعمال

(١٨٩) قوله : وقد جاء في الخبر أن القبر أول منازل الآخرة ... إلخ
قلت : هذا حديث أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عند أحمد والترمذي وابن ماجة
والحاكم وغيرهم .

(١٩٠) قوله : وفي الخبر أيضاً أن القبر روضة من رياض الجنة .. إلخ
فذلك رواه أيضاً الترمذي والطبراني عن أبي سعيد والطبراني عن أبي هريرة مرفوعاً بسند ضعيف ، راجع
« كشف الخفاء » (١٣٦/٢) .

المشثومة وإنما الأعمال بالخواتيم ، وما نُحْتَم لك به فهو الواجب عليك اللازم ، والطوق في عنقك المقيم الدائم ، وعذاب المؤمن لا يكون كعذاب الكافر والحمد لله . قد يكون عذاب المؤمن في ضمة القبر أو ضيقه أو صعوبة منظره أو بما يصيبه من الروعات عند مشاهدة تلك الزلات ، وبالحسرات على ما سلف له من الجهالات ، وبالندامات على ما مضى به من التبعات ، أو بما شاء الله تعالى ، فيكون من ذلك ما شاء الله أن يكون ويدوم ذلك ما شاء الله أن يدوم ، فإن أمنت ذلك العذاب الأكبر فما الذى أمنتك من هذا الذى هو بالإضافة إليه عذاب أصغر ، فتفكر مادام ينفعك التفكير ، وتخيل مادمت ترجو ثمرة هذا التخيل إذا طرحت في حفرة من الأرض قصيرة الطول ضيقة العرض ، فاشتدت بها وحشتك واستبانت غربتك ، فانضمت عليك ضمة كسرت أنفك ، وشدخت رأسك ، ورضت عظامك ، وسرت ورائك وأمامك ، وتحتك وفوقك ، وملأت ظلمة أرضك ، وأفقك ، من قلب قد تُكس ، وبدن قد رمس ، ونفس قد قصر وحُبس ، وأردت أن تفر فلم تترك ، وأردت أن تستغيث فلم تملك ، ولا تدرى ما يدوم ولا متى تترك أن تقعد أو تقوم ، أتراك كنت مفتوناً من هذا المقام ، بما كنت جمعت من حطام ، بل جمعه جميع الأنام من حلال وحرام ، بل بما لا يحصر من أضعاف ذلك ولا يُحَدُّ ، ولا يجمع ولا يعد ، ولعلك قد كنت في الدنيا لا ترضى بمنزلك المتسع ، ولا بشملك المجتمع ، ولا تقنع برزق ربك المندفق ، عليك المندفع ، فانظر رحمك الله لنفسك وادفع عنك جوانب هذه الحفرة [وخفف] عنك من هذه الضمة ، وأنس من هذه الوحشة ، واعمل ما وجدت سبيلاً للعمل مادمت في فسحة ومهل ، ومهد المضجع ووطىء لذلك المصرع ، وأرغب وتوسل واضرع وتذل ؛ ولعل الإله المعبود الذى جوده الجود ، وكرمه لا محصور ولا معدود ، وفيض نعمه لا مقطوع ولا محدود ، سيرسل منه قطرة تغمر العرش والدره فيصيبك منه بنصيب ويملك منه بذنوب ، وتعمك منه بشؤوب ، فقد انقطع الرجاء إلا منه ، وسدت الأبواب إلا عنه ، جل وعلا وتبارك وتعالى .

حدثني الفقيه أبو الحكم بن بروجان وكان من أهل العلم والعمل رحمه الله :
 إنهم دفنوا ميتا بقريتهم من شرف أشبيلية فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية
 يتحدثون ودابة ترعى قريباً منهم ، وإذا بالدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر
 فجعلت أذنها عليها كأنها تسمع ثم ولت فارة ثم عادت إلى القبر فجعلت أذنها
 كأنها تسمع ثم ولت كذلك فعلت ذلك مرة بعد أخرى قال أبو الحكم رحمه
 الله : تذكرت عذاب القبر وقول النبي - ﷺ - : « إنهم ليعذبون عذاباً
 تسمعه البهائم » (١٩١) والله عز وجل أعلم بما كان من أمر ذلك الميت ، ذكر
 هذه الحكاية لما قرأ القارئ هذا الحديث في عذاب القبر ونحن إذ ذاك نسمع
 عليه كتاب مسلم بن الحجاج - رضى الله عنه - .

ويروى أن بعض النباشين نبش ذات ليلة قبراً فلما كشف عن الميت فإذا بنار
 تحرق الميت ، فأهوت إليه منها شرارة فهرب وتاب إلى الله عز وجل .
 ٢٥٨- وروى عن أبي بكر بن أبي الدنيا عن بعض أصحابه أنه قال لنباش بعد
 توبته : « ما سبب توبتك ورجوعك إلى الله عز وجل ؟ قال : نبشت إنساناً
 فوجدته قد سمر بمسامير في جميع جسده ومسمار كبير في رأسه وآخر في
 رجله » .

وقيل لآخر : « ما كان سبب توبتك ورجوعك إلى الله ؟ قال : رأيت
 جمجمة إنسان قد صب فيها الرصاص » .

روى في الحديث : « من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو هم
 يفرون به منه صب في أذنه الآنك يوم القيامة » ولعل هذا كان ممن يفعل
 ذلك ، والله أعلم بما كان عليه .

(١٩١) قوله : وقول النبي - ﷺ - : « إنهم ليعذبون عذاباً تسمعه البهائم .. إلخ
 مضى تصحيحه في (١٦٤) وأنه أخرجه الشيخان والسنائي وابن حبان وغيرهم والله أعلم .

(١٢) ذكر يوم القيامة وأسمائه

يضحك المرء والبكا أمانة ويدوم البقاء والموت رامة .
وتمشي الحديث في كل لغو ويخلى حديث يوم القيامة .
ولأمر بكاه كل لبيب ونفى في الظلام عنه منامه .
صاح حدث حديثه واختصره فمحال بأن تطيق تمامه .
عجز الواصفون عنه وقالوا لم يجيء من بحاره بكظامه .
فلتحدثه جملة وشتيتاً ودع الآن شرحه ونظامه .

واعلم رحمك الله أن هذا اليوم ليس عظمه مما يوصف ولا هوله مما يكيف على مقدار مما يُعلم في الدنيا ويعرف ، بل لا يعلم عظمه ولا مقداره ولا هوله إلا الله تبارك وتعالى ، وما ظنك بيوم يُعبر الله تبارك وتعالى عن بعض ما يكون فيه « بشيء عظيم » قال عز وجل : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ (*) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴿ [الحج / ١ ، ٢] وماذا عسى أن يقول القائل فيه وماذا عسى أن يصفه الواصف به . الأمر أعظم ، والخطب أكبر ، والهول أشنع .

كما قال القائل :

وما عسى أن أقول أو أقوم به الأمر أعظم مما قيل أو وصفا .

وقال أيضاً :

والأمر مهما نظرت فيه ألفيته الأعظم الألقاء .

يوم القيامة وما أدراك ما يوم القيامة ثم ما أدراك ما يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم يجد كل عامل عمله أمامه :

يوم المدممة	يوم الزلزلة	يوم الصاعقة	يوم الواقعة
يوم الراجفة	يوم الرادفة	يوم الغاشية	يوم الداهية

يوم الآزفة	يوم الحاقة	يوم الطامة	يوم الصاخة
يوم التلاق	يوم الفراق	يوم المساق	يوم الإشفاق
يوم القصاص	يوم ولات حين مناص	يوم التناد	يوم الأشهاد
يوم الميعاد	يوم المرصاد	يوم المساءلة	
يوم الحساب	يوم المآب	يوم العذاب	يوم الفرار لو وُجد الفرار
	يوم القرار	لما في الجنة	ولما في النار
يوم القضاء	يوم	يوم البكا	يوم البلاء
يوم تمور السماء	موراً وتسمر	الجبال سراً	يوم الحشر
يوم النشر	يوم الجمع	يوم البعث	يوم العرض
يوم الوزن	يوم الحق	يوم الحكم	يوم
يوم الخزي	يوم عقيم	يوم عظيم	يوم عسير
يوم قمطير	يوم النشور	يوم المصير	يوم الدين
يوم اليقين	يوم النفخة	يوم الصيحة	يوم الزحف
يوم الزجرة	يوم السكره	يوم الفزع	يوم الجزع
يوم الفلق	يوم الفرق	يوم العرق	يوم الميقات
يوم يخرج الأموات	وتظهر الخبآت	يوم الانشقاق	يوم الانكدار
يوم الانتشار	يوم الانفطار	يوم الافتقار	يوم الوقوف
يوم الخروج	يوم الانصداع	يوم الانقطاع	يوم معلوم
يوم موعود	يوم مشهود	يوم تبلى السرائر	يوم تخرج الضمائر

يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئاً يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً يوم يدعى فيه إلى النار يوم ينجى فيه من النار (١٩٢) .

(١٩٢) أسماء يوم القيامة راجع لذلك « الإحياء » (٣٥/٦) « باب صفة يوم القيامة ودواهيه وأسمائه » . قال الحافظ أبو الفداء ابن كثير رحمه الله في كتابه « نهاية البداية والنهاية » في « الفتن والملاحم » (٢٠٠/١) . قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي في كتابه « العاقبة » : « يوم القيامة ، وما أدراك ما يوم القيامة ، ثم شرع يعدد أسمائها كما ها هنا . قلت . وكتاب العاقبة هو هذا الذي بين يديك والذي من الله علينا بتحقيقه

يوم تقلب فيه الوجوه في النار ، يوم البروز إلى الله . يوم الصدور إلى الله . يوم لا تنفع المَعذرة ، يوم لا يرتجى إلا المغفرة ، وأهل أسمائه وأبشع ألقابه يوم الخلود وما أدراك ما يوم الخلود يوم لا انقطاع لعذابه ، ولا آخر لعقابه ، ولا يكشف فيه عن كافر ما به ونعوذ بالله ثم نعوذ بالله من بلائه وسوء قضائه بكرمه ورحمته . واعلم أن العرب قد تسمى الشيء بأسماء كثيرة وتجعل له ألقاباً عديدة تعظيماً لشأنه ، وإكباراً لأمره ، وقد سمي الله - تبارك وتعالى - يوم القيامة بأسماء كثيرة ، ولعله من هذا ، وهو - تبارك وتعالى - أعلم .

(١١) ذكر النفخ في الصور : النفخة الأولى والثانية

قد تقدم لك الكلام في ذكر الموت وغصته وكربه وشدته وعذاب القبر وفتنته وضيقه وظلمته ومنكر ونكير ورؤيتهما وسماع كلامهما على فظاظتهما وغلظتهما وبشاعة منظرهما وتكلف جوابهما والتوق من مقامعهما بالإقرار بالربوبية والشهادة بالرسالة لمن ثبتته الله تعالى بالقول الثابت وأمدّه بنور الإيمان وألهمه حجته وإن في ذكر هذا لتنبيهاً من الغفلة وتنشيطاً من الكسل وحلا من عقاب البطالة وصرفاً عن اللذات وردعاً عن نيل الشهوات بل فيه ما يذهل النفوس ويميت القلوب أن تنال من الدنيا حظها الذي يكون به حياتها ويكون به قوامها فضلاً أن تنال منها غير ذلك فكيف بما وراء هذا من جمع العباد ليوم التناد ويوم يقوم الأشهاد وحشر الأمم لذلك الهول الأعظم .

واعلم أن الإنسان لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من إحدى الدارين وصحبته من أحد الفريقين ، وأنه لا تزال نفسه معذبة أو منعمة إلى يوم الجزاء والاجتماع لفصل القضاء ، وبعد ذلك لا يتجرد النعيم والعذاب على وجه آخر وصفة أخرى مما سيأتي ذكره بعد هذا إن شاء الله عز وجل .

واعلم أن الله تعالى خلق للجنة أهلاً وخلق للنار أهلاً وهم مع الساعات راحلون ومع الأنفاس ظاعنون ، إلى دار البلى ومعسكر الموتى ومستقر الأرواح ، وكل مطلع على مكانه الذي يصير إليه ومشرف على منزله الذي ينزل به ، وبذلك

وتقدمه إليك ، وبالطبع كان اس كثير رحمه الله يحيل على المخطوط ، الذي أصبح بحول الله تعالى ، ثم بجهود أهل العلم المخلصين لوجه الله كتاباً مطبوعاً أسأل الله تعالى أن يجعل عملي وعمل كل من عمل فيه حالصاً لوحه الكريم وأن يتقبله بقول حسن إنه سبحانه وتعالى أكرم مشغول وأبر مأمول

يكون نعيمهم وعذابهم ، وبغير ذلك مما شاء الله عز وجل ، فلا يزالون هكذا يرحلون وينتقلون ويظعنون إلى أن يفرغ العدد السعيد والفريق المنعم ويبقى من العدد الشقي والفريق المقصي ، بقية لا يحصيها إلا خالقها تعالى لكنهم قليلون بالإضافة إلى ما رحل منهم ، يكون ارتحال هذه البقية إلى الدار الآخرة بمدة واحدة وخروجهم من الدنيا في دفعة واحدة ، وهم الذين تبعثهم الصيحة وتقوم عليهم الساعة .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربّي لا يجلبها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ﴾ [الأعراف / ١٨٧] .

ويروى عن الشعبي قال : « لقي جبريل عيسى عليهما السلام فقال له عيسى : متى الساعة ؟ فانتفض جبريل في أجنحته وقال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ﴾ ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة ﴾ وأما تقريب وقتها فكل آت قريب قال الله تعالى : ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير ﴾ [النحل / ٧٧] وقال عز وجل : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ﴾ [الأنبياء / ١-٣] وقال تبارك وتعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا كل آية معرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ، ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر ﴾ [القمر / ١-٥] وقال عز من قائل : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ [النحل / ١] .

يروى أن النبي - ﷺ - « لما نزل عليه [أتى أمر الله] وثب قائماً فلما نزل [فلا تستعجلوه] جلس » (١٩٣) قال بعض العلماء : إنما وثب عليه السلام خوفاً من أن تكون الساعة قد قامت .

(١٩٣) قوله . ويروى أن النبي - ﷺ - « لما نزل عليه ﴾ أتى أمر الله ﴿ ... إني أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس ، وعبد الله بن أحمد في « روائد الزهد » وابن أبي حاتم وابن جرير عن أبي بكر ابن حفص قال : لما نزلت ﴿ أتى أمر الله ﴾ قاموا فنزلت ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ وأخرج ابن مردويه عن طريق الصحاح عن

٢٥٩- وقال عليه السلام : « بعثت أنا والساعة كهاتين وفرق بين إصبعيه السبابة والوسطى » (١٩٤) . ذكره مسلم بن الحجاج في كتابه .

٢٦٠- وذكر مسلم بن الحجاج أيضاً في كتابه عن النواس بن سمعان الكلبي عن النبي - ﷺ - « وذكر خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم ، وقتله الدجال ، ثم خروج يأجوج ومأجوج عليه ، ثم هلاكهم ، ثم ذكر ما يكون بعد ذلك من البركات والخيرات قال : « فيبناهم كذلك إذ بعث الله رجلاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعلمهم تقوم الساعة » (١٩٥) .

واعلم أن كل ميت مات فقد قامت عليه قيامته ، لكنها قيامة صغرى وقيامة كبرى ، فالصغرى هي ما تقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وفراق أهله وإنقطاع سعيه وحصوله على عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، والقيامة الكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة ، والدليل على أن كل ميت يموت فقد قامت قيامته قول النبي - ﷺ - « لقوم من الأعراب وقد سألوه متى الساعة ؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال : « إن يعيش هذا

= ابن عباس (أق أمر الله) حروح محمد - ﷺ - راجع الدر المنثور (١٠٩/٤ - ١١٠) وابن حرير (٥٢/١٤) .

(١٩٤) قوله (وقال عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين . الحديث صحيح - سق الكلام عليه وأنه أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجة عن أس وأحمد وابن ماجة عن سهل بن سعد والسيوطي في « حاميه » الصغير وقد كان من الأولى عزو الحديث إلى الشيخين وقد أخرجاه - كلاهما - وراجع « التفسير » (٦٩/٨) من صحيح البخاري بشرح الفتاح والرقاق وغيرها . وأخرجه مسلم في « الفتن » (٨٨/١٨ ، ٨٩ نووي) وأخرجه البعوي في « شرح السنة » (٩٨/١٥) وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٢٢٠/٨ ، ٢٢١) وكذا أبو داود الطيالسي رقم (١٩٨٠ ، ٢٠٨٩) وفي « مجمع الروائد » (٣١٤/١٠) قال الهيثمي « وعن بريدة قال . سمعت النبي - ﷺ - يقول . بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسقتني » رواه أحمد والبخاري إلا أنه قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين وضم أصبعيه السبابة والوسطى » ورجال أحمد رجال الصحيح « ١٠٨ راجع « المطالب العالية » (٣٥٢/٤) .

(١٩٥) « صحيح - أخرجه مسلم (٦٣/١٨ - ٧٠ نووي) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى ابن حابر الطائي عن عبد الرحمن بن يعمر عن أبيه حمير بن يعمر عن النواس بن سمعان مرفوعاً به .

لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم» (١٩٦) ذكره مسلم بن الحجاج في كتابه .

والقيامة التي تعم الأرض بمدة إنما تأتيم بغتة وتأخذهم على غفلة كما تقدم ، لكنها تقوم في يوم جمعة في غير شهر معروف ، ولا سنة معروفة ، والملك الذي وكل بهذه النفخة وجعل على يده هذه الصعقة قد استعد لها وتبها لأمضائها .

٢٦١- وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده بإسناده إلى عبد الله بن مسعود قال : « لما كان ليلة أسرى برسول الله - ﷺ - لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذكروا الساعة متى هي فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم فسألوا موسى فلم يكن عنده منها علم فردوا الحديث إلى عيسى فقال : عهد الله إلى فيما دون وجبتها فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله ويعنى بوجبتها وقعها قال : فذكر من خروج الدجال : فأهبط فأقتله فخرج الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حرب ينسلون لا يمرون بماء إلا شربوه ولا بشيء إلا أفسدوه فيجأرون إلى ما دعوا الله فيرسل من السماء ماء فيحل أجسامهم فيلقمهم في البحر ثم تنشق الجبال وتمد الأرض مد الأديم ، وعهد الله إلي أنه إذا كان ذلك فإن الساعة من الناس كالحامل المتيم الذي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلاً أو نهاراً » .

قال العوام : فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل وقرأ : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق ﴾ (١٩٧) .

(١٩٦) * صحيح - أخرجه مسلم (٩٠/١٨) وكان الأولى تقديم البخاري رحمه الله الذي أخرج الحديث في صحيحه (٣٦١/١١ - فتح) وكذا أخرجه البغوي في « شرح السنة » (٩٩/١٥)

(١٩٧) * ضعيف - أخرجه الحاكم في « المستدرک » (٥٤٥/٤ ، ٥٤٦) من طريق يزيد بن هارون أنا العوام بن حوشب عن جبل بن سحيم عن مؤثر بن غفارة عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال فذكره نحو ما ها هنا قلت : فيه محمد بن مسلمة الواسطي صاحب يزيد بن هارون وشيخ شيخ الحاكم في هذا الخبر . له في اللسان ترجمة لا تسر فقد ضعفه اللالكائي وأورد له ابن الحوري حبراً في المصوغات وقال الخطيب في أحاديثه ما كبر بأسايد واضحة . وراجع ترجمته من التهذيب (٣٣٠/١٠) والتقريب حيث قال مقول .

٢٦٢- وذكر أبو داود من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - :
« خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب
عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهي مصبغة يوم الجمعة
من حين يصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس وفيها
ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله عز وجل شيئاً إلا أعطاه
إياه » (١٩٨) .

٢٦٣- وذكر النسائي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « كيف
أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وأصغى بسمعه [حَتَّى] جبهته ينتظر
متى يؤمر بالنفخ فينفخ قالوا : يا رسول الله وكيف نقول ؟ قال : قولوا :
حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » (١٩٩) .

٢٦٤- وذكر الترمذى عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ - :
« كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ
فينفخ فكان ذلك ثقل على أصحاب النبى - ﷺ - فقال لهم : قولوا :
حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » (٢٠٠) .

(١٩٨) صحيح . أخرجه الإمام مالك في « الموطأ » (١٠٨/١) والبخارى (٤١٥/٢) ومسلم (١٣٩/٦) ،
(١٤٠ ، ١٤٢) . والترمذى (٣٥٩/٢) شاكر) وقال . حس صحيح وأبو داود (٢٧٥ ، ٢٧٤/١) ،
والنسائي (٩٠/٣) وابن ماجة (١٠٨٤ ، ١٠٨٥) والبغوى في « شرح السنة » (٢٠٣/٤) ، ٢٠٤ ،
(٢٠٥) وابن حبان في « صحيحه » والحاكم في « المستدرک » (٢٧٨/١) ، (٢٧٩) والدارمى في سننه
(٣٦٩/١) وابن خزيمة في صحيحه (١١٥/٣) ، (١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩) وغيرهم والله تعالى
أعلم .

(١٩٩) - حسن بمجموع طرقه : أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٥٨/٤ ، ٥٥٩) والترمذى (٢٤٣١) ،
(٣٢٤٣) والطبرانى في الصغير (٢٤/١) وأحمد (٧/٣) والحميدى (٧٥٤) وابن المبارك في
« الزهد » (١٧٥٧) وأبو نعيم في الحلية (١٠٥/٥) و(١٣٠/٧) ، (٣١٢) والخطيب (٣٦٣/٣) والبغوى
في « شرح السنة » (١٠٢/١٥ ، ١٠٣) من طرق عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى به وقال
الترمذى حديث حسن . هـ.١ .

(٢٠٠) هو فى الذى قبله : وقد أوصحنأ أنه أخرجه الإمام أحمد (٧/٣) والترمذى (٢٤٣٠) وقال : « حسن »
والطبرانى (٢٤/١) وغيرهم ممن أوردناهم قل - من طرق عن عطية العوفى عن أبى سعيد رفعه به
والحديث له أسانيد صحيحة غير ها منها ما أخرجه الحاكم (٥٥٩/٤) وأبو يوسف فى « الحراج » (٧)
من طرق عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد مرفوعاً به والله تعالى أعلم .

٢٦٥- وذكر أبو الحسن بن صخر في فوائده من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « مازال صاحب الصور مذ وكل به مستعداً ينظر نحو العرش أن يؤمر فينفخ قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان » (٢٠١) .

٢٦٦- ومن مسند البزار عن أبي سعيد الخدري عن النبي - ﷺ - قال : « ذكر رسول الله - ﷺ - صاحب الصور فقال : عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل صلى الله عليهما » (٢٠٢) .

٢٦٧- وذكر الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « جاء أعرابي إلى النبي - ﷺ - فقال : ما الصور ؟ فقال : قرن ينفخ فيه » (٢٠٣) .

٢٦٨- وذكره أبو بشر الدولابي من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي - ﷺ - في قوله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور ﴾ فقال : الصور كهيمة القرن (٢٠٤) .

قال بعض العلماء : والصور أيضاً جمع صورة .

٢٦٩- وذكر البخاري عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة ، دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله . وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته

(٢٠١) تقدم في غضون الكلام على الحديث رقم (١٩٢) .

(٢٠٢) حسن * أورده الهيثمي رحمه الله في « المجمع » (٣٣٤/١٠) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإساده حسن ا هـ .

(٢٠٣) حسن * أخرجه الترمذي (٢٤٣٠) من طريق ابن المبارك وأبو داود (٤٧٤٢) والدارمي (٣٢٥/٢) وأحمد (١٦٢/٢ ، ١٩٢) وابن حبان (٢٥٧٠ - موارد) قال الترمذي : « حديث حسن » .

(٢٠٤) تقدم في رقم (٢٠٣) وأما قوله (قال بعض العلماء والصور أيضاً جمع صورة) (ا) فقول عجيب حقاً فإنما نعلم أنه إذا أريد « جمع » صورة فإن الواو فيها تكون مفتوحة ، وقد تجمع على « تصاوير » ! وما أدري سر إقحام هذه العبارة هنا أصلاً (١٩)

وحتى يعرضه فيقول الذى يُعَرِّض عليه لا أرب لى فيه « وحتى يتناول الناس فى البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه » وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبایعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليب حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » (٢٠٥) .

٢٧٠- وذكر مسلم بن الحجاج من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ - : « تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافى يريد عوافى السباع والطير ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعان بغنهما فيجدانها وحشاً حتى إذا بلغا ثنية الوداع تحراً على وجوههما » (٢٠٦) سمعت فى تفسيره أن هذين الراعيين إنما يخرجان على وجوههما من صبيحة يوم القيامة ، فعند هذه الصبيحة تحمد الأصوات وتسكن الحركات وتخلى من أهلها الأرضون والسماوات إلى يوم الخروج والميقات والجزاء بالحسنات والسيئات ، إلا أن الله تعالى ذكر عند هذه الصبيحة استثناء سيأتى ما قيل فيه بعد إن شاء الله ، ثم ينزل الله مطراً فتنبت به الأجسام ويحيى به الرفات من

(٢٠٥) صحيح : أخرجه البخارى (٢٣١/٤ سدى) ومن طريقه أخرجه البغوى بإسناده ولفظه معاً فى « شرح السنة » (٢٦/١٥ - ٢٧) وأخرجه مسلم (١٣/١٨ و ٤٥ نووى) مختصراً وهو فى « صحيح الجامع » (٧٢٨٨)

● قوله : إنصرف الرجل بلبن لقحته أى ناقته .

● قوله : يليب حوضه أى يصلحه ويهيئه .

والخير أخرجه بلفظ أحصر من هذا أحمد وأبو داود وابن ماجة

(٢٠٦) صحيح : قد اتفق على إخراج الشيخان لا مسلم وحده (١) فأخرجه البخارى (٨٩/٤ فتح) ومسلم (١٦٠/٩ نووى) ونحوه أخرجه الإمام مالك فى « الموطأ » (٨٨٨٢) عن أبى هريرة وأخرجه أحمد (٣٢/٥) من حديث معمر بن الأدرع الأسلمى وأخرجه البغوى فى « شرح السنة » وابن جرير فى « تهذيب الآثار » وابن المبارك فى الرهد .

● وقوله : العوافى : طلاب الرق ، وقال رجل عافٍ وقوم عماء كذا فسرهما الإمام البغوى رحمه الله .

العظام وتستعد لقبول الأرواح عند النفخة الثانية قال الله تبارك وتعالى :
﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ .

٢٧١- وذكر مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ - : « يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدرى أيوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً » الشك من الراوى » قال : فيبعث الله عيسى بن مريم - ﷺ - كأنه عروة بن مسعود الثقفى ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه ، قال : سمعتها من رسول الله - ﷺ - ، قال : فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول لهم : ألا تستحيون (٢٠٧) فيقولون : فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دارٌ رزقهم حسن عيشهم ، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً ، قال : وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال : فيصنعق ويصنعق الناس ، ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطراً كأنه الظل أو الطل (الشك من الراوى) فنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . ثم يقال : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفزهم إنهم مسئولون . ثم يقال : أخرجوا بعث النار فيقال : من كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال : فذلك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق » (٢٠٨) .

(٢٠٧) بالأصل : « تستحيون » خطأ تصحفت على الناسخ والله أعلم ، وصوابها « ألا تستحيون » .

(٢٠٨) صحيح أخرجه مسلم (٧٥/١٨ - ٧٧ - نووى)

• وقوله : (في كبد الجبل) أى وسطه وكبد كل شيء وسطه * (وقوله) (خفة الطير وأحلام السباع) فالعلماء معاه . يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير ، وفي العدوان وظلم بعضهم بعضاً في أخلاق السباع العادية * (أصغى ليتا ورفع ليتا) الليت بكسر اللام وآخره مشاة فوق وهى صفحة العنق وهى جانبه وأصغى أمال ، - قوله (الطل أو الظل) قال العلماء : الأصل (الطل) بالمهملة وهو الموافق للحديث الآخر أنه كمى الرجال - قوله : (فذلك

يروى أن هذا المطر الذى تنبت منه الأجسام هو كمنى الرجال ، وقد أخبر تعالى إن إنشاء الأجسام مثل إخراج النبات من الأرض قال سبحانه : ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾ [فاطر ٩ /] أى كما ينبت نبات الأرض بالماء كذلك تنبت الأجساد بهذا الماء ، فبينا روحك فى البرزخ مع الأرواح ، وكل على عمله من فساد أو صلاح ، إذ أمر الله عز وجل بها أن تجتمع فتقبل أرواح المؤمنين تتلأأ نوراً وأرواح الكافرين تسود ظلمة ، فيقبضها جميعاً فيجعلها فى الصور ثم ينفخ لإسرافيل فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض .

٢٧٢- يروى عن رسول الله - ﷺ - قال : « يقول الله تعالى : وعزتي وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجسام فتدخل الخياشيم ثم تمشى مشى السم فى اللديغ » (٢٠٩) .

٢٧٣- وذكر مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ما بين النصفين أربعون قالوا : يا أبا هريرة أربعون عاماً ؟ قال : أبيت قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أبيت قالوا : أربعون يوماً ؟ قال : أبيت . ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال : وليس شئ من الإنسان إلا ويبلو إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب وفيه يركب الخلق يوم القيامة » (٢١٠) .

٢٧٤- وذكر أبو بكر بن أبى داود فى كتاب البعث بإسناده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى - ﷺ - قال : « يأكل التراب كل شئ من الإنسان إلا عجب

يوم يكشف عن ساق) قال العلماء معناه ومعنى ما فى القرآن الكريم يوم يكشف عن ساق : « يوم يكشف عن شدة وهول عظيم .١ هـ من شرح الإمام النووى على صحيح الإمام مسلم رحمهما الله .

(٢٠٩) هذا جزء من حديث طويل أخرجه المصنف فى « النعت والنشور » (ص ٣١٨) وسيأتى ضمن حديث لعبط بن عامر رقم ٢١٢ إن شاء الله

(٢١٠) صحيح - متفق عليه أخرجه البخارى (٦٨٩/٨) ومسلم (٩١/١٨) والغوى فى شرح السنة (١٠٤/١٥) وابن حبان (٢٥٧٤) .

الذنب قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : مثل حبة خردل منه تنشئون » (٢١١) .

٢٧٥- وذكر أبو بكر بن أبي خيثمة بإسناده إلى لقيط بن عامر عن النبي - ﷺ - في حديث طويل قال فيه : « ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصيحة فلعمري إلهك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات والملائكة الذين مع ربك ، فأصبح ربك يطوف في الأرض وقد خلت عليه البلاد ، فأرسل ربك السماء من عند العرش فلعمري إلهك ما يدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت الأرض عنه حتى يخلقه من قبل رأسه وذكر الحديث » (٢١٢) قوله : « فأصبح ربك يطوف في الأرض وخلت عليه البلاد » : إنما هو تفهيم وتقريب إلى أن جميع من في الأرض يموت وأن الأرض تبقى خالية ليس يبقى إلا الله وحده كما قال تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن / ٢٦ ، ٢٧] . وقوله : « والملائكة الذين مع ربك » فإنه جاء في بعض التفاسير في قوله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ [الزمر / ٦٨] هو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت

(٢١١) - ضعيف - أخرجه الحاكم (٦٠٩/٤) وصححه ووافقه الذهبي وأخرجه أحمد (٢٨/٣) وأبو يعلى (١٣٨٢) وابن حبان (٢٥٧٣) من طرق عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد . وهذا إسناد ضعيف ابن معين وأبو داود وغيرهما ولكن للحديث شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه مالك (٤٨/٢٣٩/١) ومسلم (٢٩٥٥) والسنائي (١١١/٤ ، ١١٢) وأبو داود (٤٧٤٣) وأحمد (٣٢٢/٢) وابن حبان (٢٥٧٤) من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً « كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب » وأخرجه البخاري (٥٥١/٨ ، ٥٥٢) ومسلم وابن ماجة (٤٢٦٦) وغيرهم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة نحوه وللبخاري ومسلم فيه زيادة في أوله ليست عند ابن ماجة . والله تعالى أعلم

(٢١٢) حسن * وهو عبد الهيثمي في « المجمع » (٣٤٣ ، ٣٤١/١٠) بطوله وعراه لعبد الله الطبراني نحوه وأحد طريقتي عبد الله إسناده متصل ورحالها ثقات وإسناده الآخر وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم ابن لقيط أن لقيطاً . الحديث . وأخرج السهفي شيئاً قريباً من هذا في كتابه « البعث والشور » (ص ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧) لم نتحشم نقله لأن في سنده إنقطاعاً والله أعلم

ولا يبقى إلا الذى له البقاء والعزة والكبرياء والملك الذى لا يزول ولا يفنى
تبارك وتعالى فينادى جل جلاله : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ [غافر / ١٦] فلا
يجيبه مجيب ومن ذا يجيبه ولم يبق موجود إلا الواحد المعبود فيجيب نفسه
فيقول سبحانه : ﴿ لله الواحد القهار ﴾ [غافر / ١٦] ثم يمكث الناس في
البرزخ أربعين عاماً ثم يحيى الله عز وجل إسرافيل فيأمره أن ينفخ النفخة
الثانية فذلك قوله عز وجل : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾
[الزمر / ٦٨] قيام على أرجلهم ينظرون إلى ذلك الأمر العظيم والهول
الجسيم .

واعلم رحمك الله أنك إن كنت ممن لا يشاهد هذه الصعقة العامة فلا بد لك
من أن تشاهد صعقة نفسك التى تخصك ولا بد لك من إنشائك وتسويتك وردّ
رُوحك إلى جسدك وإخراجك من الأرض التى خلقت منها كما قال تعالى : ﴿ منها
خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ [طه / ٥٥] .

وقال عز من قائل : ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم
مبين * وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم * قل يحييها الذى
أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ [يس / ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩] .

وقال سبحانه : ﴿ وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل
الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [الروم / ٢٧] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ يوم نطوى السماء كطّي السّجل للكتب كما بدأنا
أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ [الأنبياء / ١٠٤] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾
[الواقعة / ٦٢] .

٢٧٦- وذكر النسائي عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : قال الله تبارك
وتعالى : « كذبنى ابن آدم ولم يكن له أن يكذبنى وشتمنى ابن آدم ولم
يكن ينبغى له أن يشتمنى أما تكذيبه إياى فقله أنى لا أعيده كما بدأته وليس

آخر الخلق [بأعز] على نعيم أوله ، وأما شتمه إياي فقلوه : اتخذ الله ولداً .
وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد (٢١٣) . وقد
أخرجه البخارى بمعناه والاعتبار الصحيح يشهد بصحة هذه النشأة الآخرة
والقدرة متسعة لها ولكل ما شاءه الحكيم القدير تبارك وتعالى كما قال
سبحانه : ﴿ وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان
ربك قديراً ﴾ [الفرقان / ٥٤] خلق سبحانه الماء من لا شيء وأخرجه من
غير شيء ، أخرجه من عدم إلى وجود وكونه بعد أن لم يكن شيئاً ، ثم خلق
منه هذا الإنسان فجعله آية عجباً وعبرة ظاهرة في شكله وتخطيطه
وحركاته وسكناته وما فيه من الحكمة وما أودعه من عجائب الصنعة مما
يطول وصفه ويتسع شرحه فتبارك الله أحسن الخالقين . وأنشدوا :

أيا ابن آدم والآلاء سابغة ومؤنة الجود لا تنفك عن ديم .
هل أنت ذاكر ما أوليت من حسن وشاكر كل ما خوّل من نعم .
براك بارىء هذا الخلق من عدم بحت ولولاه لم تخرج من العدم
أنشأك من حمأ ولا حراك به فجئت منتصباً تمشى على قدم .
مكمل الأدوات آية عجباً موفر الحظ من عقل ومن فهم .
ترى وتسمع كلاً قد حييت به فضلاً وتنطق بالبيان والحكم .
هداك بالعلم سبل الصالحين له وكنت من غمرات الجهل في ظلم .
ماذا عليك له من نعمة غمرت كل الجهات ولم تبرح ولم تدم .
غراء كالشمس قد ألفت أشعتها حتى تبصرها عليك كل عم .
فاشكر ولست مطيقاً شكرها أبداً ولو جهدت فتبدد ربك والتزم .
رزق وأمن وإيمان وعافية متى تقوم بشكر هذه النعم .

هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ، إن ربك هو الخلاق العليم ،
فمن آمن بهذا لم يضق صدره عن الإيمان بالنشأة الثانية وكان منتظراً لها مشتغلاً

(٢١٣) صحيح - أخرجه البخارى (٧٣٩/٨ فتح) ومن طريقه أخرجه العمري في « شرح السنة » (٨١/١)
بعين السند والمتن وأخرجه النسائي (١١٢/٤) وأحمد (٣١٧/٢ ، ٣٥٠) وهو في « المشكاة » رقم
٢٠ .

بالفكرة فيها وإنما لموضع الانتظار وموضع الاشتغال آناء الليل وآناء النهار لكن حب العاجل والاشتغال بالحاضر والنظر إلى هذا الخيال القائم صرف وجه القلب عن استعمال الحقيقة في هذا الأمر ، وطمس أعينه عن النظر إليها ، وسد مجارى فكره عن التصرف فيها ، فلو اشتغل ونظر الإنسان وتفكر لأذهله ذلك عن الأهل والمال وشغله عن قيل وقال ، وصرفه عن لذة الحال والمآل ، ولكنه إن لم ينظر الآن فسينظر في وقت لا ينفعه فيه النظر ولا ينقضى له به وطر ، وسيُقدّم فيعلم .

(١٠) باب في انبعاث الناس من قبورهم وصفة الأرض التي يحشرون عليها وكيف يحشرون

وذكر أول من يشق عنه القبر يوم القيامة وما جاء أنهم يبعثون على نياتهم وما كانوا عليه .

٢٧٧- كما ذكر مسلم بن الحجاج من حديث أم سلمة زوج النبي - ﷺ - قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « يعوذ عائذ بالبيت فيبعث الله بعثاً فإذا كانوا يبيدوا من الأرض [تُحْسِفَ] بهم . قلت : يا رسول الله فكيف بمن كان كارها ؟ قال : يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته » (٢١٤) .

٢٧٨- وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم يبعثون على أعمالهم » (٢١٥) .

٢٧٩- وعن جابر بن عبد الله قال : سمعت النبي - ﷺ - يقول : « يبعث كل عبد [على] ما مات عليه ، وأول من يشق عنه القبر يوم القيامة نبينا محمد - ﷺ - » (٢١٦) .

(٢١٤) صحيح - أخرجه أحمد (٢٥٩/٦) و (٣١٦/٦ ، ٣١٧) ولفظه أخرجه مسلم (٤/١٨ ، ٥) وأخرجه الحاكم في « المستدرک » (٤٢٩/٤) .

(٢١٥) صحيح - أخرجه البخاري في « الفتى » ومسلم في « الحنة » وكذا النجاشي (٤٠٠/١٤) والحديث في صحيح الجامع برقم (٣٠٦) معرو للشيخين .

(٢١٦) صحيح - أخرجه مسلم (٢١٨/١٧) و ٢١٠ ، وأحمد (٣٣١/٣) بمثل ما عبد مسلم وهو في المشكاة برقم (٤٣٤٥) معزو إلى مسلم ولفظه وكذا أورده ابن رجب الحنبلي في « أحوال القبور » (١٦) وورد . « المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه وكذا زاد الديلمي (٨٧٧٩) « المؤمن على إيمانه والكافر على كفره » وهو في صحيح الجامع برقم (٧٨٧٢) .

٢٨٠- كما ذكر مسلم من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - :
« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من يشق عنه القبر وأول شافع وأول
مشفع - ﷺ - » (٢١٧) .

٢٨١- وذكر البخارى عن أبى هريرة عن النبى - عليه السلام - قال : « إني من
أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش فلا أدري
أكذلك كان أم بعد النفخة » (٢١٨) .

٢٨٢- ويروى « فأكون أول من يفيق » وهو الأكثر (٢١٩) .

٢٨٣- وقال البخارى أيضاً فى بعض ألفاظ هذا الحديث : « فإذا أنا بموسى أخذ
بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور » (٢٢٠)
لم يكن عنده عليه السلام علم حتى يعلمه الله عز وجل فقد أخبر - ﷺ -
« أنه أول من ينشق عنه القبر » وهو حديث صحيح مشهور .

(٢١٧) صحيح - أخرجه مسلم بهذا اللفظ فى حديث أبى هريرة (٣٧/١٥) وأبو داود (٤٦٧٣) والبيهقى (٤/٩)
والترمذى (٣٦١٠) وابن ماجة (٤٣٠٨) والدارمى فى « المقدمة » (٢٦ - ٢٧ - ٢٨) راجع
« المجموع » (٢٥٧/٨ ، ٢٥٨) قال الهيثمى : وأورد الحديث عن عبد الله ابن سلام مرفوعاً نحوه ما عند
ابن ماجة وعزاه لأبى يعلى والطبرانى وقال : وفيه عمرو بن عثمان الكلابى وثقه ابن حبان على ضعفه وبقيه
رحاله ثقات .

(٢١٨) صحيح - أخرجه البخارى (٧٠/٥) فى « الخصومات » من صحيحه من وجهين عن أبى هريرة وأبى
سعيد وفى « الرقاق » وفى « التفسير » (س) « ٣٩ » وأخرجه مسلم (١٢٨/١٥ ، ١٢٩ ، ١٣٠)
بإسناد البخارى ولم يظهه سواء ، وأخرج الحديثين أيضاً أبو داود (٤٦٦٨) ، (٤٦٧١) وكذلك أخرجه
أحمد (٤٠/٣ ، ٤١) و (٢٦٤/٢) وابن حبان فى صحيحه (٤٥/٨) والبعوى فى « شرح السنة »
(٢٠٤/١٣) والديلمى فى الفردوس برقم (٧٣١٩) .

(٢١٩) قوله ويروى فأكون أول من يفيق وهو قول الأكثر هـ .
قلت : هذا صحيح وهو وإن كان صواباً إلا أن العرة عند أهل الحديث ليست باللفظ إلى قول الأكثر
(أ) ولكن بالنظر إلى ما صحح (أ) والله أعلم .

(٢٢٠) قوله . وقال البخارى إلخ ... صحيح
قلت : نعم هذه رواية أبى سعيد الخدرى - عنده - أخرجها فى « الخصومات » من صحيحه (٧٠/٥)
من طريق وهيب حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : فذكره
مرفوعاً .

اعلم رحمك الله أنه إن لم تشق سمعك النفخة الأولى في الصور لهلاك هذا المعمور ، فلا بد أن تشق سمعك النفخة الثانية لبعثرة القبور ، وقيام الخلائق ليوم النشور ، وتحصيل ما في الصدور . ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الإنسان ما لها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها . يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ [سورة : الزلزلة] . ﴿ إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . إذا رجت الأرض رجاً . وبست الجبال بساً . فكانت هباء منبثاً ﴾ [الواقعة / ١ - ٦] ﴿ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية . والمملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ [الحاقة / ١٣-١٨] . ﴿ إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت . وإذا الجبال سُيِّرَت . وإذا العشائر عُطِّلَت . وإذا الوحوش حشرت ﴾ [التكوين / ١-٥] .

فناهيك من صيحة يقوم لها الأموات ويحيا بها العظام الرفات ، وحسبك من هدة تنهد لها الجبال وتعود كالكتيب المهيل من الرمال ، كما قال عز من قائل : ﴿ يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً ﴾ [المزمل / ١٤] ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ [القارعة / ٤ ، ٥] ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾ [الرحمن / ٣٧] هذا وأحوال لا بد لك من مكابذتها وأحوال لا بد لك من مشاهدتها ، يخرج سهمك فيها بما خرج ويلج بك سعيك منها فيما يلج ، فإما بنزول في درك وإما بارتقاء في درج ، وقد صح هذا عندك فماذا أعددت له وثبت في نفسك فماذا تستقبله ؟ وماذا تقوله ؟ أو ماذا تفعله ؟ لطال ما دعاك الداعي فتصاممت ونصحك النصيح فتعاميت وذكرك المذكر فتناسيت ، فقد وقفت على العيان مما كان عرضه عليك بالأمس البرهان وجاءك به الرسول وخاطبك به القرآن ، فهل من رجعة أو سبيل اليوم إلى استماعك تلك الدعوة ؟ هيهات طمعت في غير مطمع وسمعت مالا يسمع ، إن كنت تريد أن تعود إلى الدنيا أو ترجع فتفكر الآن في نفسك وكونك في قبرك إذ سمعت انشقاق الأرض

من فوقك ووقع ذلك الصوت الهائل في سمعك ، صوت تنصدع له الأكباد لو أُذِن لها في الانصداع وتنقطع له القلوب لو أُذِن لها في الانقطاع قال تعالى : ﴿ واستمع يوم يناد . المناد من مكان قريب . يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴾ [ق / ٤١ ، ٤٢] .

٢٨٤- وفي الخبر أن هذا الاجتماع يكون بالشام .

٢٨٥- ذكر أبو بكر البزار في مسنده من حديث أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ - : « الشام أرض المحشر والمنشر » (٢٢١) .

٢٨٦- يروى أن المنادى ينادى على صخرة بيت المقدس : « أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء » . وهذا النداء خلاف الصيحة العظماء ، فتفكر وأطل ففكر في عظم تلك الصيحة وشدة تلك النفخة ، وتحيل قيام الناس وثورانهم من قبورهم دفعة واحدة وانبعاثهم بمرة واحدة ، وأنت بينهم وفي جملتهم منكسفاً وجهك متغيراً لونك مغبراً بدنك ، قد ملأ قلبك ذلك الفزع وقصم ظهرك ذلك المستمع وأنت حيران عطشان سكران ، شاخص البصر نحو النداء مستمعاً إلى ذلك الدعاء ولو وجدت مطاراً لطرت ومفراً لفررت ﴿ كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ينبا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ [القيامة / ١١ - ١٣] ﴿ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ [الرحمن / ٣٣ ، ٣٤] وأنشدوا :

نادِ القوم بيوم التنادِ وأعيدْ فهم حديثَ المعادِ .
فالحديث اليوم في غير هذا مُحدثٌ في الغدِ صدغَ الفؤادِ .
وتخلو القلبَ عن ذكرِ يومٍ ذكره أذهب طيبَ الرقادِ .
غبنٌ في الرأي للعقلِ بادٍ ومن الغبنِ خفيٌّ وبادٍ .
ولأمرٍ ما بكاه رجال في الدياجى كبكاء العهادِ .

(٢٢١) صحيح - وهو في « صحيح الجامع » برقم (٣٦٢٠) وعراه لأبي الحسن ابن شجاع الرعي من « فضائل الشام » عن أبي ذر .

أتى يوم ضاق عن حالته وصف وصاف بليغ وشاد .
 مشهد تبصر فيه وجوه ووجوه طليت بالحداد .
 يجعل الولدان شيباً ويرمى بالجبال الشم وسط الوهاد .
 وترى الناس سُكاري وما هم بسكاري غير سُكر التناد .
 فرغ الدار وما دارَ فيها من تليد كان أو من تِلاد .
 واقطع الأرض على ظهر طود نازلاً منه إلى بطن [واد] .
 طالباً كهف نجا لتنجو رائحاً نيل ذاكم وغاد .
 وأقرع النار بجنتي مروع جانب الأمن ولين المهاد .
 رام أمراً فنتته أمورٌ وعدته عن هواها عواد .
 نطوى كشحا على حرمت نشرث شعلتها في البلاد .
 وأفضى دمةً بالك حزين مُزجت دمعه بالجداد .
 وإذا ما ازداد ذكراً للذنب بات من كربته في ازدياد .
 وقليل كل هذا قليل لأمر بين أيدي العباد .
 وكروب عندما أنت فيه كالبحار السبع عند الثاد .
 فاجهد النفس وجاهد هواها فمراد الحق ترك المواد .

٢٨٧- ويروى عن الأوزاعي عن بلال بن سعد أنه قال : « إن للناس جولة يوم القيامة وهو قوله تعالى : ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ﴾ [القيامة / ١٠] وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ﴾ [سبأ / ٥١] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إلى أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ﴾ [غافر / ٣٢ ، ٣٣] وقيل في قوله تعالى : ﴿ يخافون يوماً تتقلب في القلوب والأبصار ﴾ [النور / ٣٧] أما تقلب القلوب فانتزاعها من أماكنها فتغص بها الحناجر فلا هي تخرج ولا هي ترجع إلى مواضعها قال عز وجل : ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين . ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ [غافر / ١٨ ، ١٩] .

وأما تقلب الأبصار فمن الكحل إلى الزرق ومن البصر إلى العمى قال تعالى : ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾ [طه / ١٠٢] قال عز وجل :

﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ﴾ [الإسراء / ٩٧] .
 فتفكر في بهتك وحررتك ، وأنكادك وذللك ، وافتقارك وقتلك ، يوم لا تجد إلا عملك الذي عملت ، وسعيك الذي سعت ، قال تعالى : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه ﴾ [آل عمران / ٣٠] .

وأنشد بعضهم من قصيدة :

واذكر رقادك في الثرى في قعر مظلمة بهم .
 قد نجيت قائماً بالخلي واستبدلت تلك الرسوم .
 واعتضت من حلل الغي وحلاة خلقان العديم .
 وثركت وحدك مفرداً لا أهل فيه ولا حميم .
 حزان تفرغ للبكاء لفان تأتس بالعموم .
 حتى يُنادى بالورى فتقوم أسرع ما تقوم .
 عريان مصطلي الحشا هيمان مجتمع الهموم .
 والناس قد رجعت بهم حرب مثالكم عقيم .
 في مأزق تهفو به لفحات نيران السموم .
 وبدت هناك سرائر قد كنت قبل كتوم .
 ورأيت في محصولها ما شئت من خسر وشوم .
 إن لم يجد بالعفو من يعفو عن الذنب العظيم .

واعلم أنه كلما عظم قدر رجل في الدنيا صغر هناك وكلما كثر جاهه في الدنيا قل هناك ، إلا من كان في الدنيا شعاره التقوى وطريقه المثلى ، وكل ما تراه أو تسمع به من ملك جبار أو عزيز قهار [عذب] الأجساد وأكثر الإمداد ودوخ البلاد وأذل العباد فهو في ذلك اليوم كالذرة في الرغام تطؤه الأقدام ويمحقه ذلك الزحام كما قال القائل :

ألم تسمع عن النبأ العظيم وعن خطب تُخِلَّتْ له جسيم .
 وزلزال يهْدُ الأرض هدّاً ويرمى في الحضيضة بالهوام .

وأهوال كأطوادٍ رواسٍ ثلاطمٍ في ضلوعٍ كاهشيم .
 فيمن رأسٍ يشيبُ ومن فؤادٍ يذوب ومن هموم في هموم .
 وسكران ولم يشرب حُمياً وهيما ولم يعلق في بيعم .
 ومن صفة قد أذهلها أساها فلم تدر الرضيع من الفطيم .
 ومؤتمة تولت عن بنها وألقت باليتيمة واليتيم .
 وحبل أسقطت ذعراً وخوفاً ليا لله لليوم العقيم .
 وما كسرى وقصر والنجاشي وتبع والقرون بنو النودم .
 بذاك اليوم إلا في مقام أذل من التراب لدى السليم .
 وما للمرء إلا سقاه لدار البؤس أو دار الهشيم .
 وأنت كما علمت ورب أمر يكون أداه أوقع بالعلم .
 فرغ عينيك تسبح في معين وقلبك ذره يقلب في جحيم .
 وشق جيوب صبرك شق ثكلى تعلق ابنها رجلا شهوم .
 وماذا الأمر ذلكم ولكن تشبه بالبحار يد الكريم .

٢٨٨- وذكر مسلم بن الحجاج من حديث ابن عباس قال : « قام فينا رسول الله ﷺ - بموعظة فقال : يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً » كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴿ أَلَا وَإِنْ أُولَ الْخَلَائِقِ [يُكْسَى] يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح : وكنت عليهم شهيداً ﴿ إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فيقال : إنهم لم يزالوا مدبرين على أعقابهم منذ فارقتهم ٤ (٢٢٢) .

٢٨٩- وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال : « إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم ثم ينقاض أهل السماء الدنيا على الأرض فأهل السماء الدنيا

(٢٢٢) صحيح - أخرجه البخاري (٣٨٦/٦) ومسلم (١٩٣/١٧ ، ١٩٤) والترمذي (٢٤٢٣) وقال حديث حسن صحيح والنسائي (١١٤/٤ - ١١٧) وابن حبان في « صحيحه » (٢١١/٩ - ٢١٢) والمزري في الترغيب (١٩٢/٤) .

وحدهم أكثر من جميع أهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف فيفزعون إليهم ويقولون : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : سبحانه ليس فينا ثم ينقض أهل السماء الثانية فينتشرون على وجه الأرض فأهل السماء الثانية وحدهم أكثر من أهل السماء الدنيا وأهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف فيفزعون إليهم فيقولون : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : ليس فينا وهو آتٍ ثم ينقض أهل السموات سماءً سماءً كلما انقضت سماء انتشر أهلها على وجه الأرض فيكونون أكثر من أهل السموات التي تحتهم وأهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف ويفزع إليهم أهل الأرض فيقولون : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : سبحانه ليس فينا وهو آتٍ ثم ينقض أهل السماء السابعة فينتشر أهلها على وجه الأرض فهم وحدهم أكثر من أهل السماوات ومن جميع أهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف وينزل الله تبارك وتعالى في ظلل من الغمام والملائكة .

فتفكر في هذا المشهد العظيم واليوم العقيم يوم يُجمع فيه هذا الخلق كلهم من الملائكة ومن بنى آدم من لدن آدم - ﷺ - إلى آخر الدنيا فتفكر في أى أرض تسعهم أو أى مكان يحملهم فكيف وينضاف إليهم جميع الوحوش النادرة والهوام الشاردة إلى غير ذلك من المخلوقات التي ضمها ذلك الموعد وحشرها ذلك المشهد فتفكر الآن فهم كيف يساقون وكيف يجمعون وكيف يحشرون من بين محمول قد مدت ظلال الرحمة عليه وجمعت الأمانى في يديه وبين ساع على قدميه وآخر مجرور على خديه ومصروع لهول ما بين يديه » (٢٢٣) .

٢٩٠- كما ورد الحديث عن النبي - ﷺ - قال : « إنكم محشورون إلى الله عز وجل رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم » ويروى « ويجرون على وجوههم حتى يقومون على أرض بيضاء قاع صفصف مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ولا ربوة يستتر بها ولا وهدة يختفى فيها بل هو صعيد واحد

(٢٢٣) هذا يروى موقوفاً على ابن عباس - رضى الله عنهما - فهو في « زوائد الرهد » برقم (٣٥٣ - ٣٧٥) وفي « المطالب العالية » (٤٦٢٩) وعراه للحارث وقال : موقوف لإسناده حسن أخرج نعيم بن حماد في « روائد الرهد » عن ابن المبارك برقم (٣٥٣) وأبو نعيم في « الحلية » (٦٢/٦) والطبري (١٠٢/٣٠) أ هـ (أعطى) .

ليس فيه شيء قائم ولا علم مرتفع» (٢٢٤).
قال تعالى : ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً . فيذرها قاعاً
صفصفاً . لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ [طه / ١٠٥ - ١٠٧] .

وقال - ﷺ - : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء
[كقرصة النقي] ليس فيها علمٌ [لأحد] » (٢٢٥) .

وقال - ﷺ - : « يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم
الداعي وينفدهم البصر يريد أرضاً مستوية لا جبل فيها ولا أكمة ولا ربوة ولا
وهدة أرض بيضاء نقية لم يسقط عليها دم ولا عمل عليها خطيئة ولا ارتكب
فيها محرم » (٢٦٦) .

قال تعالى : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد
القهار ﴾ [إبراهيم / ٤٨] .

٢٩١- وفي حديث ثوبان أن النبي - ﷺ - : « سئل أين يكون الناس يوم تبدل
الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال : هم في الظلمة دون الجسر والجسر
هو الصراط » (٢٢٧) .

(٢٢٤) صحيح : أخرجه الترمذي (٣١٤٣) وأحمد (٣/٥ ، ٥) والحاكم (٥٦٤/٤) من طرق عن بهز بن حكيم
عن أبيه عن جده مرفوعاً والنسائي (١١٦/٤ - ١١٧) والحاكم (٣٦٧/٢) و (٥٦٤/٤) من طريق
الوليد بن جميع قال حدثنا أبو الطفيل عن حذيفة بن أسيد عن أبي ذر أن الصادق المصدوق - ﷺ -
حدثني أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج .. الحديث انظر « علل الحديث » (٢١٦/٢ - ٢١٣٧) .

(٢٢٥) صحيح - متفق عليه من حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - أخرجه البخاري (٣٧٢/١١) فتح
ومسلم (١٣٤/١٧) والبيهقي في « شرح السنة » (١١٢/١٥) .

● قوله . كقرصة النقي : يعنى المنقى من القشر والنحالة .
● وقوله ليس فيها معلم لأحد : المعلم ما جعل علامة وعلماً للطرق والحدود يريد أن تلك الأرض
مستوية ليس فيها حذب يرد البصر ولا بناء يستر ما وراءه .. من « شرح السنة » للإمام البيهقي رحمه
الله والحديث أورده الديلمي في الفردوس (٨٧٨٤) عن سهل - رضي الله عنه - .

(٢٢٦) قوله . وقال رسول الله - ﷺ - : يجمع الله الأولين .. الحديث صحيح - وهو حديث أنس الطويل
في « الشفاعة » وكذا حديث أبي هريرة وغيرهم رضي الله عن جميع الأصحاب وقد أخرجه مسلم
(٨٥/٣) وغيره .

(٢٢٧) قوله - وفي الحديث ثوبان .. إلخ - صحيح وهذا - إما بعلمه فيما أذكر الساعة - عن مسروق عن

٢٩٢- وفي حديث عائشة عن النبي - ﷺ - : « أنهم على الصراط » (٢٢٨) ذكر

الحديثين مسلم بن الحجاج .

فتفكر في هذا المجتمع وهذا الهول الأشنع والخطب الأفطع الأبشع وفيمن يحضره ويشهده ويعاينه ، وتبصره ، وكيف يقومون على أقدامهم ويشخصون بأبصارهم وأنت معهم في ضيق مقام وطول قيام قد جُمِعوا جمع الدراهم في الصرة المشدودة والنبل في الكنانة المشحوبة ، وقد انشقت السماء فوقهم ودانت عليهم وسالت على رؤسهم فطاشت الأبواب وذهلت الأوهام وتحيرت العقول وتجلجلت الألسن فلم يدر قائل ما يقول ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا وضعفت الحركات فلا تسمع للأقدام إلا حبياً ، فيالك من هول تنهد منه الجبال فكيف الرجال ؟! ويالك من خطب تنشق منه السماء فكيف للأحشاء ؟!

فتفكر فيما يشق سمعك من ذلك وما يخلع قلبك من الروح الذي هنالك ، وكيف بك إذا رأيت الشمس قد كورت فذهب ضوءها والنجوم قد طمست فأحى نورها ، وزالت عن مواضعها وفقدت في مطالعها وانتثرت على من تحتها وعلى من كان سمتها واشتبك الناس بعضهم في بعض وتداخل الخلق بعضهم في بعض فصاروا كالفراش المبثوث وقامت الملائكة على أرجاء السماء وأحاطت بالخلائق من كل الأرجاء والناس عراة حفاة غرل كما خلُقوا ، فيالك من يوم تختلط فيه الرجال مع النساء وقد آمنوا من أن ينظر بعضهم إلى بعض أو يحس بعضهم ببعض !!

٢٩٣- ذكر مسلم بن الحجاج من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت :

سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً . قلت : يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟!

= عائشة - رضي الله عنها - قالت . سألت رسول الله - ﷺ - عن قوله عز وجل ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ﴾ فأنى يكون الناس يومئذ يا رسول الله ؟ فقال : « على الصراط » أحرجه مسلم (١٣٤/١٧ - بروي) وغيره . والله تعالى أعلم .

(٢٢٨) هو في الذي قلبه والله تعالى أعلم

قال : يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض » (٢٢٩) .

٢٩٤- وذكر النسائي من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله - ﷺ - : « تحشرون حفاة عراة غرلاً قالت له زوجته : أينظر - أو يرى - بعضنا عورة بعض ؟ فقال : يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يعنيه » (٢٣٠) .

فيالك من هول ما أعظمه ومن كرب ما أشده ومن خطب ما أبشعه ، وإياك أن تستبطيء هذا اليوم وأن تستبعده فما سيرك إليه يببطيء ولا هو منك ببعيد وإن طال المدى وامتدت العاية فكل آت قريب ، وكل ما يكون سيكون قال تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم ﴾ [يونس / ٤٥] وقال سبحانه : ﴿ كم لبثتم في الأرض عدد سنين . قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين ﴾ [المؤمنون / ١١٢ ، ١١٣] .

وقال تعالى : ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشراً ﴾ [طه / ١٠٢ ، ١٠٣] أى يقول ذلك بعضهم لبعض سراً . فيقول أعدلهم عندهم قولاً وأرجحهم عقلاً : إن لبثتم إلا يوماً . أى ما لبثتم في القبور إلا يوماً واحداً . قال تبارك وتعالى : ﴿ نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً ﴾ [طه / ١٠٤] .

٢٩٥- يروى عن مجاهد أنه قال : « للكفار هجعة قبل يوم القيامة يجدون فيها النوم فإذا بعثوا قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ فيقول لهم المؤمنون : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون . فيخرج الخلائق مذعورين خائفين وجلين وإذا المنادى ينادى : ﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ [الزخرف / ٦٨] فيطمع في هذا النداء المؤمنون والكافرون فينادى

(٢٢٩) صحيح : أخرجه البخارى (٣٧٧/١١ ، ٣٧٨ فتح) ومسلم (٢٨٥٨) والنسائي (١١٤/٤ ، ١١٥) وابن ماجه ٤٢٧٦ وأحمد (٥٣/٦) من طرق عن عبد الله بن أنى مليكة عن القاسم عن عائشة مرفوعاً .

(٢٣٠) صحيح - أخرجه البخارى (٣٨٦/٦ - ٣٨٧ و ٤٧٨ و ٢٨٦/٨ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٣٧٧/١١ فتح) ومسلم (٢٨٦٠) والنسائي (١١٤/٤ و ١١٧) والترمذى (٢٤٢٣) والدارمى (٢٣٣/٢ ، ٢٣٤) وأحمد (٢٢٣/١ - ٢٣٥ - ٢٥٣) والطيالسى (٢٦٣٨) من طرق عن المعيرة بن العماد عن سعيد بن جسر عن ابن عباس مختصراً ومطولاً .

المنادى : ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ [الزخرف / ٦٩] ذلك يوم يجعل الولدان شيبا ولا يرى فيه إلا حزينا كئيباً يوم تتشق السماء كأنها السحاب وتسير الجبال كأنها السراب .

واعلم أن الناس يحشرون يومئذ على ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم كما تقدم ، قال تعالى : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ [مريم / ٨٥ ، ٨٦] والوفد في اللغة : القوم المكرمون يفدون من بلدهم في جماعتهم إلى ملكهم فينزلهم ويكرمهم ، والورد : العطاش يساقون كما تساق الإبل وغيرها من الأنعام تسوقهم الملائكة بسياط النار إلى النار وقوم يمشون على وجوههم .

٢٩٦- ذكر الترمذى من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ - : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مشاة ، وصنفاً ركباناً وصنفاً على وجوههم ، قيل : يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ أما أنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك » (٢٣١) .

٢٩٧- وذكر مسلم بن الحجاج من حديث قتادة عن أنس بن مالك : « أن رجلاً قال : يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : أليس الذى أمشاه على رجله في الدنيا قادراً أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ؟ » (٢٣٢) . قال قتادة : بلى وعزة ربنا .

قال أبو حامد - وذكر هذا الفصل : وفي طبع آدمى إنكار كل ما لم يأنس به ولم يشاهده ، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها لأنكر المشى من غير رجل ، والمشى بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك ، فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لخالفها قياس الدنيا فإنك لو لم

(٢٣١) صحيح - أخرجه البخارى (٤٩٢/٨) ومن طريقه أخرجه النجاشى في « شرح السنة » (١٢٦/١٥) والترمذى (٣١٤٢) وابن حبان في صحيحه (٢١٢/٩) وعزاه المنذرى في الترغيب (١٩٣/٤ - ١٩٤) للشيخين .

(٢٣٢) صحيح وهو في باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة من كتاب صفة القيامة والجنة والنار أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٩/١٧) بووى .

تكن شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها فأحضر - رحمك الله - في قلبك صورتك وأنت قد وقفت عارياً مكشوفاً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً منتظراً لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء .

حديث لقيط بن عامر

٢٩٨- ذكر أبو بكر بن أبي خيثمة بإسناده إلى لقيط بن عامر العقيلي قال : « خرجت أنا وصاحب لي حتى قدما على رسول الله - ﷺ - المدينة لانسلاخ رجب فأتينا رسول الله - ﷺ - حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيباً فقال أيها الناس ألا إني أخبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعكم اليوم ألا فهل من امرئ بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله - ﷺ - ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا إني مسئول هل بلغت ألا اسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا ألا اجلسوا . فجلس الناس وقمت أنا وصاحبى حتى إذا فرغ لنا فؤاده رأسه وزعم أنى ابتغى ليسقطه فقال ضمن ربك بخمس من الغيب لا يعلمها إلا الله وأشار بيده قلت وما هن يا رسول الله ؟ قال علم المنية وقد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم المنى متى يكون فى الرحم قد علمه ولا تعلمونه ، وعلم ما فى غد قد علم ما أنت طاعم غداً ولا نعلمه ، وعلم يوم الغيث يشرف عليكم أزلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم قريب » قال لقيط : لم نعدم من رب يضحك خيراً - « قال : وعلم الساعة قلت : يا رسول الله علمنا إني سائلك عن حاجتى فلا تعجلنى قال : سل عما شئت قلت : يا رسول الله علمنا ما تعلم الناس وما تعلم قال : تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعت الصيحة فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من شئ إلا مات والملائكة الذين مع ربك ، فأصبح ربك يطوف فى الأرض وخلت عليه البلاد فأرسل ربك السماء بهصب من عند العرش ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت

إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من قبل رأسه حتى يستوى جالساً يقول ربك مهيم لما كان فيه يقول : يا رب أمتى أمس اليوم لعهدك بالحياة يحسبه حديثاً بأهله . فقلت : يا رسول الله وكيف تجمعنا بعدما تمزقتنا الرياح والبلل والسباع ؟ قال : أنبئكم بمثل ذلك الأرض أشرفت عليها وهي مدرة بالية فقلت : لا تحيا أبداً . ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عنها إلا أياماً . حتى أشرف عليها فإذا هي شربة واحدة ، فلعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأصواء ومن مصارعكم فتنتظرون إليه ساعة وينظر إليكم قال : قلت : فكيف يا رسول الله ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ؟ قال : أنبئكم بمثل ذلك في آى الله الشمس والقمر آية صغيرة ترونها ساعة واحدة وترونها منهما أو تروهما ويريانكم ولا تضامون في رؤيتهما . قلت : يا رسول الله فماذا يفعل بنا ربنا إذا ألقيناه ؟ قال : تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية ، فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم فلعمر إلهك ما تخطىء وجه واحد منكم منها قطرة ، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء وأما الكافر فتطحمه مثل الحميم الأسود الاثم ، ثم ينصرف نبيكم ويفرق على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول : حس معنا يقول ربك أو انه ألا فتطلعون على حوض الرسول لا يظماً والله ناهله فلعمر إلهك ما يبسط واحد منكم يده إلا رفع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى ، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً قال : قلت : يا رسول الله فيما نبصر ؟ قال : بمثل ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس في يوم اسفرته الأرض وواجهته الجبال قال : قلت : يا رسول الله فيما نحجزى من سيئاتنا وحسناتنا ؟ قال : الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يغفر الله . قلت : يا رسول الله إما الجنة وإما النار قال : لعمر إلهك إن النار لها سبعة أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً وإن للجنة ثمانية أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً قال : قلت : يا رسول الله فعلى ما نطلع من الجنة ؟ قال على أنهار من عسل مصفى وأنهار كآس ما بها صداع ولا ندامة

وأُنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وتفاكيه لعمر إلهك ما تعلمون
وخير من مثله معه وأزواج مطهرة . قلت : يا رسول الله إن لنا فيها أزواجاً
كم منهن مصلحات للصلحين تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذونكم غير أن
لا توالد وذكر باقى الحديث «(٢٣٣) .

(٢٣٣) حسن وقد تقدم الكلام عليه راجع «المجمع» (١٠/٣٤١ ، ٣٤٣)

(١٣) باب دنو الشمس من الناس يوم القيامة

٢٩٩- ذكر مسلم من حديث المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل » (٢٣٤) قال سليم بن عامر : فوالله ما أدري ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى يكحل به العين قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إجماماً وأشار رسول الله - ﷺ - بيده إلى فيه » (٢٣٥) .

٣٠٠- وعن أبى أمامة عن النبى - ﷺ - وفى هذا الحديث قال : « تدنى الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد فيها كذا وكذا تولى منها الهوام كما تغلى القدور على الأثافي » (٢٣٦) ذكره قاسم بن أصبغ (٢٣٧) .

٣٠١- وذكر مسلم من حديث ابن عمر عن النبى - ﷺ - : « يوم يقوم الناس

(٢٣٤) - صحيح - وسليم بن عامر هو راوى الحديث عن المقداد - رضى الله عنه - وهو الكلاعى الحبارى أبو يحيى الحمصى . روى عنه البخارى فى الأدب المفرد ومسلم والأربعة وقد وثقه الناس واحتملوا حديثه . والحديث أخرجه مسلم فى « صحيحه » والترمذى (٢٤٢١) وقال حسن صحيح وأحمد من هذا الوجه من طريق ابن المبارك وأخرجه الغوثى فى « شرح السنة » (١٢٨/١٥ - ١٢٩) .

(٢٣٦) (الأثافي) جمع « إثفية » : حجارة القدر .

(٢٣٧) قوله : عن أبى أمامة عن النبى - ﷺ - .. الحديث

حسن - أخرجه أحمد والطبرانى كما فى « المجمع » (٣٣٨/١٠) وقال الهيثمى رجال أحمد رجال الصحيح غير القاسم بن عبد الرحمن وقد وثقه غير واحد . هـ .

لرب العالمين « قال : يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه » (٢٣٨) .
 ٣٠٢- وذكر مسلم عن أبي هريرة في هذا الحديث أن رسول الله - ﷺ - قال :
 « إن العرق ليذهب يوم القيامة في الأرض سبعين باعاً - ويروى عاماً - وإنه
 ليبلغ إلى أفواه الناس أو إلى آذانهم » (٢٣٩) .
 ٣٠٣- وروى عن أنس أنه قال : « لم يلق ابن آدم شيئاً قط منذ خلقه الله أشد عليه
 من الموت ، ثم إن الموت لأهون عليه مما بعده إنهم ليلقون من هول ذلك
 اليوم وشدته حتى يلجمهم العرق حتى لو أرسلت فيه السفن لجرت » .
 ٣٠٤- وذكر أبو بكر البزار في مسنده عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله
 ﷺ - : « إن العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول يا رب [إرسالك
 بي] إلى النار أهون علي مما أجد وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب » (٢٤٠) .

ثم تفكر في ذلك الازدحام والانضمام والاتساق والالتصاق واجتماع الإنس
 والجان ومن يجمع من سائر أصناف الحيوان وانصافهم وتدافعهم واختلاطهم ، ولا
 فرار ولا انتصار ولا ملاذ ولا انتقاذ ، وقربت الشمس منهم قبل تكويرها وكانت
 كمقدار ميل وزيد في حرها وضوعف وهجها ، ولا ظل إلا ظل عرش ربك بما
 قدمته من كسبك ، وقد انضاف إلى حر الشمس حر الأنفاس لتزاحم الناس ،
 واحتراق القلوب لما غشيتها من الكروب ، واشتد الغرق وعظم القلق وسال من
 الأجسام العرق وانبعث من كل موضع من الجسد وانثق ، وكان الناس فيه على قدر
 أعمالهم ، كما تقدم .

(٢٣٨) - صحيح - أخرجه البخاري (٦٩٦/٨) ومسلم وأحمد (١١٢/٢) والديلمي في الفردوس برقم
 (٨٩٨٤)

(٢٣٩) - صحيح - أخرجه البخاري (٣٩٢/١١) ومسلم (١٩٦/١٧) والبيهقي (٤٨/١٥) وعراه المنذرى في
 الترغيب (١٩٤/٤) للشيخين .

(٢٤٠) صحيح - وهو عند الطبراني في « الكبير » كما في « الترغيب » (١٩٧/٤) وقال إسناده جيد وأبو يعلى
 ومن طريقه ابن حبان (٢١٦/٩) إلا أنهما قالوا إن الكافر... ورواه الزوار والحاكم (٥٧٧/٤) من حديث
 الفصل من عيسى وهو واه - عن ابن المنكدر عن جابر مرفوعاً به ووقع عند الحاكم « العار » بدل
 « العرق »

فتفكر في نفسك أيها المسكين وقد ضاق نفسك وزاد قلقك وسال عرقك
وجرى من جميع بدنك من قدقك إلى قدمك ، ووصل منك إلى حيث أوصلته
بعملك ، إما إلى كعبك أو صاعداً حتى أذنك ، فانظر إلى هذا الحال وتفكر في هذا
الوبال وهو هذا المآل ، واعلم أنه لو سال عرقك في الدنيا طول عمرك وأضعاف
عمرك في طاعة ربك وفي التعب في رضى سيدك على أن لا تغرق في ذلك اليوم لكان
ذلك يسيراً ولكنك به جديراً ولكانت سلامتك منه غنماً كثيراً وفوزاً كبيراً .
وأنشدوا :

قدّم لنفسك نزلاً وارفع لرأسك ظلاً .
في يوم تضحى البرايا في شمسها تتقلاً .
فمن جسم نضلاً ومن رأس تقلاً .
ولا ملاذ هناكم إلا سرائر تبلاً .
وكل ما كان مخفياً هناك للخلق يجلاً .
فمن دم في دموع تهل في الخدّ هلاً .
ومن جوى في ضلوع قد حل منها المحلاً .
فيا أخى والمنايا تثل عرشك ثلاً .
وهذه مفزعات تلفاك قولاً وفعللاً .
وإنه الأمر جدّ وليس يا صاح هزلاً .
فاعمل له في تراخ للعمر من قبل ألا .
وقد نصحتك فاقبل هدية نصحي وإلا .

(١٤) طول يوم القيامة :

اعلم - رحمك الله - أن يوم القيامة ليس طوله كما عهدت من طول الأيام ، بل
هو آلاف من الأعوام ينصرف فيه هذا الأنام على الوجوه والأقدام حتى ينفذ فيهم
ما كتب لهم وعليهم من الأحكام ، وليس يكون خلاصهم دفعة واحدة ولا فراغهم
في مرة واحدة ، بل يتخلصون ويفزعون شيئاً بعد شيء كما تقدم لكن طول ذلك
اليوم خمسين ألف سنة فيفرغون بفراغ اليوم ويفرغ اليوم بفراغهم ، وليس أيضاً هذا
اليوم مثل أيام الدنيا التي تكون على حكم دوران الفلك إذا ذهب الليل جاء النهار

وإذا ذهب النهار جاء الليل ، حكمة الله التي حيرت العقول وأكلت الأبصار وأخرست الألسن ، ليس هنالك ليل ولا نهار ، إنما هو وقت واحد وهو الذي يسمى يوماً إنما هو مقدار من ذلك الوقت يطوله الله عز وجل ما شاء ويقصر إن شاء ويسمى ما شاء بما شاء .

٣٠٥- ذكر مسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ف يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالإبل ؟ قال : ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقرًا وفرسًا كانت لا يقصد منها فصيلاً واحداً تطوى بأجفانها وتعضه بأفواهها كلما مرّ عليه أولاها رُدَّ عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ف يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل : يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يقفد منها شيئاً ليس فيها عفصاء ولا حلجاء ولا عصباء تنطحه بقرونها وتطوؤه بأضلاعها كلما مرّ عليها أولاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ف يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » (٢٤١) كذا روى « وإنما هو كلما مر عليه أخرها رد عليه » (٢٤٢) .

(٢٤١) صحيح - أخرجه مسلم من طريق حمص يعني ابن ميسرة الصنعاني عن زيد بن أسلم أن أنا صالح دكوان أخرجه أنه سمع أنا هريرة يقول فذكره مرفوعاً (٦٤/٧ موى)

(٢٤٢) قوله : كذا روى ، وإنما هو (كلما مرّ عليه أخرها رُدَّ عليه أولاها) قلت . كلا الروايتين مشتملتان في مسلم وهذا التعقيب الذي عطف به المصنف رحمه الله وغفر لنا وله هو إحدى روايات مسلم في نفس الباب (٧٤/٧) والترمذي (١/٣) عند الباقي وأبو داود (١٢٤/٢) والنسائي (١٠/٥ ، ١١) من حديث أبي در - رضى الله عنه - واس حبان في « صحيحه » وأخرج أيضاً حديث أبي هريرة (١٣/١٢) وابن حزم في « المحلى » (٨/٦) ساكر والغوى في « شرح السنة » (٤٧٦/٥ - ٤٨٢)

٣٠٦- قال الحسن البصري - رحمه الله - : « ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً واحتترقت أجوافهم جوعاً انصرفت بهم إلى النار فسقوا منعين آنية فذاق حرها واشتد نضجها » .

واعلم أن هذا اليوم يتلون ألوانا وتستحيل حال الناس فيه أحوالاً فيبعثون فيه من قبورهم ويساقون فيه إلى محشرهم ومكان القضاء فيهم ويقفون ماشاء الله أن يقفوا شاخصة أبصارهم إلى السماء مبهوتين سكارى حيارى من عظيم ما أصابهم وهول ما نزل بهم ثم يموج بعضهم في بعض ويدخل بعضهم في بعض ويمشون من نبي إلى نبي يطلبون الشفاعة في الاستعجال والانفصال والتخلص من تلك الأهوال والأنكال ، وليس كل الناس يكلم الأنبياء وليس كل الناس يمشى إليهم ، ومن الناس من يكون بمنزلة الرغام تطؤه الأقدام في ذلك الزحام وضيق ذلك المقام ، ويأتي في هذا اليوم وقت منه يتكلم فيه المشركون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين ، ويأتي منه علمهم وقت آخر لا يتكلمون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ، وفيه تكون المحاسبة والمناقشة وفيه يتعلق الناس بعضهم من بعض ويطلب بعضهم بعضاً ويخاصم بعضهم بعضاً فمن الناس من يطول مقامه إلى آخر اليوم ومنهم من يكون انفصاله في ذلك اليوم في مقدار يوم من أيام الدنيا أو في ساعة من ساعاته أو في أقل من ذلك أو فيما شاء الله من ذلك ويكون رائحاً في ظل كسبه وعرش ربه ، ومنهم من يؤمر به إلى الجنة ولا عذاب ، كما أن منهم من يؤمر به إلى النار في أول الأمر من غير وقوف ولا انتظار ، أو بعد يسير من ذلك النهار .

وبالجملة فليس يتم ذلك اليوم إلا وقد نزل كل إنسان بداره واستقر في قراره من جنته أو ناره .

قال القاضي عياض رحمه الله . في قوله « كلما مرّ عليه أولاهها ردّ عليه أحراها » المثبتة عند مسلم قالوا هو تعبير وتصحيح . وصوابه ما جاء بعده في الحديث الآخر من رواية سهل عن أبيه وما جاء في حديث المعمر بن سويد عن أبي در (كلما مرّ عليه أحراها ردّ عليه أولاهها) وهذا يتطعم الكلام (١ هـ من شرح الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم رحمهما الله

فتفكر أيها الإنسان في طول ذلك اليوم وفي طول ذلك القيام ، فتسمع ذلك الحال الأخطر والفرع الأكبر والهول الذى لا يكيف ولا يقدر ، واختبر لنفسك كم تريد أن تقف فيه وكيف تريد أن تكون فيه مادام النظر والاختيار بيدك مع توفيق ربك عز وجل ومعونته إياك .

وأنشد بعضهم :

يا من من الساعة لا تدعو بين يديك الفرع الأكبر .
ولما أنت كمصبورة حُمّ رداها وهى لا تشعر .
والمرء منصوب له حتفه لو أنه من غمه يبصر .
وهذه النفس لها حاجة والعمر عن تحصيلها يقصر .
وكل ما ترجو عن مطلب كانت به أم أجدى وأجدر .
وربما ألقى معاذ يوما لو أنها يا ويحها تعتبر .
ونأظُر الموت لها ناظرٌ لو أنها تنظر إذ فتنظر .
ورائد الموت له طلعة يبصرها الأكمه والمبصر .
وروعة الموت لها سكرة ومثلها من روعة تنكر .
وبين أطباق الثرى منزل ينزله الأعظم والأحقر .
يترك ذو الفخر به فخره وصاحب الكبر به يصغر .
قد ملأت أرجاءه روعة نكمرها المعروف والمنكر .
وبعد ما بعد وأعظم به من مشهد ما قدره يقدر .
يرجف منه ذا الورى رجفة ينهد منها الملاء الأكبر .
وليس هذا الوصف مستوفياً كل الذى من وصفه يذكر .
ولما ذا نظرة أرسلت من أبحر تتبعها أبحر .
وقد أتاكَ الثبت عنه بما أخبرك الصادق إذ يخبر .
فاعمل له ويك وإلا فلا عذر وما مثلك من يعذر .

واعلم أنه كلما طال قيامك في طاعة الله سبحانه وانتصابك له قصر قيامك في ذلك اليوم وقل تعبك فيه ، وكلما كثر تصرفك في طاعة الله سبحانه وإقبالك

وإدبارك في قضاء حاجة مسلم ومشيك معه ومشاركتك له يقل مشيك في ذلك اليوم
ويقل نصبك فيه ، وبقدر ما تبذل تُعطى ، كما تُدين تُدان .

ولعلك يا هذا تستطيل ركعتين تقرأ فيهما حزبين تقوم بهما لربك جل
جلاله ، ولعلك تعجز عن مشى ميل في قضاء حاجة مسلم وبين يديك هذا اليوم
الطويل المديد والكرب العظيم الشديد الذى لا يقصر إلا على من أطال التعب لله ولا
يسهل إلا على من تحمل الشدائد في ذات الله ، ولعلك إن صليتهما ليلة عجزت عنها
أخرى ولعلك إن مشيت يوماً في حاجة مسلم برمت من ذلك في يوم آخر
[وتعبت] منه وكسلت عنه ، وربما وقفت لسماع حديث فارغ يكون تقريره أكثر
من حزن وحزين ، وربما مشيت في فضول الميل والميلين وأكثر من ذلك ، ولم
تدبر في أمرك ونظرت فيما يُراد بك لسهل عليك من أمرك العسر وقرب عليك
فيه البعيد ، فاعمل رحمك الله في أيام قصار وعمر قصير لأيام طوال وعمر طويل .

(١٥) باب ذكر الحوض

قد سمعت - رحمك الله يعطش هذا اليوم والتهابه وما يصل إلى القلوب من أواره واحتراقه ، وأن الماء في ذلك اليوم أعز موجود وأعظم مفقود وأن لا منهل مورود إلا حوض صاحب المقام المحمود - عليه السلام - ، ولا مورد لأمته سواه ولا برد أكبادهم إلا به وأن الشربة منه تروى من الظمأ وتشفى من الصدى وتذهب بكل داء فلا يظمأ شاربها ولا يسقم بعدها أبداً ، وأنها ترد العقل العازب والشباب الذاهب وتؤوب معها من الزمن الصالح مالم يكن قبل تائب . وإنه لا يرُدُّ ذلك الحوض إلا من ورد في الدنيا حوض شرعته وتمسك بسنته وتوفى على ملته وإلا فيُجلى عنه فلا يدنو منه ولا يكاد ويضرب عنده ضرباً تنقطع له الجوانح والأكباد ، وأنا أذكر لك من أحاديث الحوض ما يسر الله عز وجل .

٣٠٧- ذكر مسلم من حديث ثوبان أن نبي الله - عليه السلام - قال : « إني [لَبُعُورٍ] حوضي أذود الناس عنه لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يَرَفُضَ عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى إلى عمان وسئل عن شرايه فقال أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ينغت^(٢٤٣) فيه ميزبان بمدانه من الجنة أَحَدٌ [هُمَا]

(٢٤٣) (تَلَّتْ) بعين معجمة بعد تاء مثناه فوق ، ومعنى ' يَغْتُ فيه ميزبان أى يدفقان فيه الماء دفقاً دائماً متتابعاً (ابن الأثير - نهاية) .

(٢٤٤) صحيح - أخرجه الإمام أحمد (٢٨٢/٥ ، ٢٨٣) ومسلم (٦٢/١٥ ، ٦٣) والترمذى (٢٤٤٤) والبيهقى (١٦٩/١٥) وابن حبان (١٢٥/٨) وابن أبي عاصم في « السنة » (٣٢٥/٢ ، ٣٢٧) والآخرى في « الشريعة » (ص ٣٥٢ ، ٣٥٣) والقاضى عياض في « الشفا » (٢٧٩/١) وهو في « صحيح الجامع » (٢٤٩٤) « والمشكاة » (٥٥٧٠) وقد استوفى طرقه الحافظ ابن كثير رحمه الله في « الفتن والملاحم » (٩١٢) .

• قوله (عقر الحوص) : موضع الشارة منه (نهاية - ١٧١/٣)

من ذهب والآخِر من ورق» (٢٤٤) .

٣٠٨- وعن أبي ذر قال : « قلت يا رسول الله ما آنية الحوض ؟ قال والذي نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها إلا في الليلة المظلمة [المصححة] آنية الجنة من شرب منها لم يظماً آخر ما عليه [يشخب] (٢٤٥) فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظماً عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى إيلة مأوه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل » (٢٤٦) .

٣٠٩- وقال من حديث أنس بن مالك قال رسول الله - ﷺ - : « ترى فيه أ بريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء » (٢٤٧) .

٣١٠- وذكر الترمذى عن أبي سلام الحبشى قال : حدثنى ثوبان عن النبي - ﷺ - قال : « حوضى من عدن إلى عمان البلقاء » (٢٤٨) مأوه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأكاويه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظماً بعدها أبداً أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوساً الدنس ثياباً الذين لا ينعكحون [المتنععات] ولا تفتح لهم أبواب السدود » فقال عمر بن عبد العزيز وقد سمع هذا الحديث « لكنى نكحت المتنععات وفتح لى السدد ونكحت فاطمة بنت عبد الملك لا جرم [لى] لا أغسل

• (أرود عنه) أى أدمع وأطرّد (نهاية - ١٧٢/٢)

• (يرفضّ) أى يسيل وهو يفتح الباء المثناة التحتيّة وإسكان الراء المهملة وفتح الفاء وتشديد الضاد (نهاية ٢٤٣/٢) .

(٢٤٥) (يشخب) - غير واضحة بالأصل والتصحيح من مسلم .

(٢٤٦) صحيح - أخرجه مسلم (٦١/١٥) وابن أبى عاصم فى « السنة » برقم (٧٢١) والترمذى (٢٤٤٥) وقال حسن صحيح والآخرى فى « الشريعة » ص ٣٥٥ من وجوه عمه .

(٢٤٧) صحيح - أخرجه مسلم (٦٥/١٥) و ابن حبان فى « صحيحه » (١٢٤/٨) والخرى فى « المشكاة » (٥٥٦٩) معزو لمسلم وفى « الترغيب » (٢٠٧/٤) وعزاه للبزار والطبرانى وقال : زواته ثقات إلا المسعودى .

(٢٤٨) - « البلقاء » - غير واضحة بالأصل والتصحيح من الترمذى .

رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ» (٢٤٩) .
 ٣١١- وذكر البزار من حديث أنس قال قال رسول الله - ﷺ - : « حوضى من كذا إلى كذا فيه الآنية عدد النجوم أطيب ريحاً من المسك وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن من شرب منه لم يظمأ أبداً ومن لم يشرب لم يروى أبداً » (٢٥٠) .

٣١٢- وذكر مسلم من حديث عائشة - رضى الله عنها - قالت : سمعت رسول الله - ﷺ - وهو يقول : « بين ظهراى أصحابى (٢٥١) إني على الخوض انتظر من يرد على منكم فوالله ليقطعن دونى رجال فلا تولى أى رب منى ومن أمتى فيقول : إنك لا تدري ما عملوا بعدك مازالوا يرجعون على أعقابهم » (٢٥٢) .

٣١٣- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله - ﷺ - : « حوضى مسرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن (٢٥٣) وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً » (٢٥٤) .

(٢٤٩) - « صحيح » - أخرجه الترمذى (٢٤٤٤) - كما أفاد المصنف - وهو أيضا فى « مسند عمر بن عبدالعزيز » للباغدى (٣٨/٢ - رقم ١٧-) وأورده المذرى فى « الترغيب » (٢٠٨/٤) ، وصط كلمتى « الشعث » و « الدنس » فقال : (الشعث) بضم الشين المعجمة ، جمع أشعث وهو البعيد العهد بدهن الرأس وتسريح شعره ، و (الدنس) : بضم الدال والنون : جمع دنس وهو الوسع .
 والحر فى « المشكاة » رقم (٥٥٩٢) وأخرجه الإمام أحمد (٢٧٥/٥) واس ماجه (١٤٣٨) والحاكم (١٨٤/٤) وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، والله تعالى أعلم

(٢٥٠) صحيح إن شاء الله . قال الميثمى فى « الجمع » (٣٦٤/١٠) رواه الرار والطراى فى « الأوسط » وفيه المسعودى وهو ثقة ولكنه اختلط ، وبقيه رحالهما رجال الصحيح .

(٢٥١) إنما هى : (أصحابه) وليست (أصحابى) كما هو مثبت هنا وتصحيح التصحيح من رواية مسلم والله تعالى أعلم .

(٢٥٢) صحيح . أخرجه مسلم (٥٥/١٥) بووى من طريق يحيى ابن سليم عن ابن حثيم عن عبد الله ابن أبى مليكة أنه سمع عائشة تقول . . . فذكره إلى قوله « على أعقابهم »

(٢٥٣) فى مسلم . « أبيض من الورق » وسيأتى ترحها إن شاء الله

(٢٥٤) صحيح أخرجه البخارى (٤٦٣/١١) ومسلم (٥٤/١٥ - ٥٥)

٣١٤- قال وقالت أسماء بنت أبي بكر قال رسول الله ﷺ - : « إني على الحوض أنظر من يرد على منكم وسيؤخذ أناس دوني فأقول يارب مني ومن أمتي . فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم » قال : فكان ابن أبي مليكة يقول : « اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو أن نفتن عن ديننا » (٢٥٥) .

٣١٥- وعن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ - يقول : « أيها الناس إن فرطكم على الحوض فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال فأقول فيم هذا ؟ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً » (٢٥٦) .

٣١٦- وقال النسائي في هذا الحديث : « يا أيها الناس بينا أنا على الحوض إذ مر بكم زفراً تذهب بكم الطرق فأناديكم ألا هلم إلى الطريق ينادى مناد من ورائي : إنهم بدلوا بعدك فأقول : ألا سحقاً سحقاً » (٢٥٧) .

٣١٧- وذكر مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ - أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون

قال الإمام النووي (ماؤه أبيص من الورق) هكذا في جميع السح
 • الورق . بكسر الراء وهو الفضة ، والحويون يقولون إن فعل التعجب الذي يقال فيه هو أعمل من كذا إنما يكون فيما كان ماضيه على ثلاثة أحرف ، فإذا زاد لم تتعجب من فاعله وإنما يتعجب من مصدره ، فلا يقال « ما أبيص ريذاً » ولا « ريد أبيص من عمرو » وإنما يقال « ما أشد بياضه » وهو أشد بياضاً من كذا فقد جاء في الشعر أشياء من هذا الذي أنكره معدوه شاداً لا يقاس عليه . وهذا الحديث يدل على صحته وهي لغة وإن كانت قليلة الاستعمال ومنها قول عمر - رضى الله عنه « ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع » اه كلامه رحمه الله . والحديث أخرجه المعوى في « شرح السنة » (١٦٨/١٥) .

(٢٥٥) قوله . وقالت أسماء بنت أبي بكر قال رسول الله ﷺ - ... الحديث صحيح . أخرجه مسلم (٥٥/١٥) وهو من تعاليق مسلم رحمه الله إنما أخرجه موصولاً البخارى (٤٦٦/١١) من طريق نافع بن عمر قال حدثني اس أبى مليكة . به راجع « العلل لأمس أبى حاتم » (٢١٩/٢) .

(٢٥٦) صحيح - أخرجه مسلم (٥٦/١٥) والبعوى (١٧١/١٥) وأصله في البخارى (٤٦٣/١١) - (٤٦٤) .

(٢٥٧) قوله . وقال النسائي في هذا الحديث .. إلخ
 لم أقف عليه في « الصعري » - على طول بحث - فاعله في « الكرى » والله تعالى أعلم .

وددت أننا قد رأينا إخواننا قالوا : أو لسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد قالوا : وكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ قال : رأيته لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهراني خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليزادن رجال عن حوضي كما يزداد البعير الضال أناديهم ألا هلم ألا هلم . فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك فأقول : سحراً سحراً » (٢٥٨) .

٣١٨- وذكر البخاري من حديث سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ - : « إني فرط لكم على الحوض من مَرٍّ يشرب ومن شرب لم يظماً أبداً لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ » (٢٥٩) .

٣١٩- زاد عن أبي سعيد الخدري قال : « فأقول إنهم مني فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحراً سحراً لمن غير بعدى » (٢٦٠) .

٣٢٠- وذكر من حديث أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم . فقلت : أين ؟ فقال : إلى النار والله . قلت : وما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك القهقري على أدبارهم . ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم فقلت : أين ؟ قال إلى الناري والله . قلت : وما شأنهم ؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلا مثل

(٢٥٨) صحيح أخرجه الإمام مالك في « الموطأ » (٢٨/١ - ٢٩) ومسلم (١٢٧/٣/١) وروى والنسائي (٩٤/١ - ٩٥) وأخرجه نعيمه ابن حبان في « صحيحه » (١٨١/٩ - ١٨٢) .

(٢٥٩) صحيح - أخرجه البخاري (٤٦٤/١١ - فتح) وقد تقدم

(٢٦٠) صنيع المصنف رحمه الله - من تقطيع الأحاديث هكذا - يُشعر من لا حرة له أن كل مقطع منها هو حديث قائم بذاته (أ) وليس كذلك (ب) فإن هذا المقطع إنما هو استئناف - أو تنمة - لما أورده قبله من حديث سهل وهو صحيح فقد أخرجه البخاري من حديث سهل وعلفه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

متمل النعم» (٢٦١) قوله عليه السلام بينا أنا قائم (٢٦١) يريد على الحوض كما ورد في حديث آخر (٢٦٢) .

٣٢١- وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده من حديث عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إني ممسك بحجزكم عن النار وتغلبونني [تقاحمون] فيها تقاحم الفراش والجنادب وأوشك أن أرسل حجزكم وأفرط لكم عن أو على الحوض » الشك من الراوى - « وتردون على معاً وأشتاتاً فأعرفكم بأسمائكم وبسيماكم كما يعرف الرجل الغريبة من الإبل في إبله ويُذهَب بكم ذات الشمال وأناشد فيكم رب العالمين فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم كانوا يمشون بعدك القهقري فلا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادى : يا محمد يا محمد . فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغت . ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل بعيراً له رغاء ينادى : يا محمد يا محمد . فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغت . ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قشعاً من آدم ينادى : يا محمد يا محمد . فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغت » (٢٦٣) .

٣٢٢- وذكر أبو بكر البزار عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « أنا فرط بين أيديكم فإن لم تجدونى فإني على الحوض

(٢٦١) إمامي . « هَمَل » فتحتين - الإبل بلا راع وقال الخطابي « الهَمَل » : مالا يُرعى ولا يستعمل ويطلق على « الصوال » ا.هـ من شرح الحافظ رحمه الله تعالى

(٢٦١) مكرر صحيح أخرجه البخارى (٤٦٥/١١) فتح) .

(٢٦٢) قوله : (قوله عليه السلام . بينا أنا قائم ... الحديث

قلت . المثبت في « صحيح البخارى » الذى أحال عليه المصنف « قائم » سون من اليوم وليس « قائم » . بقاف من القيام كما أثنى المصنف (١) وإليك التفصيل . « قال الحافظ في المتح » (٤٧٤/١١) (بينا أنا قائم) كذا بالون للأكثر ، وللكشممضى . « قائم » بالقاف وهو أوجه ، والمراد به قيامه - ﷺ - على الحوض يوم القيامة ، وتوَحَّه الأولى بأنه رأى في المنام في الدنيا ما سقع في الآخرة » ا.هـ كلامه رحمه الله تعالى .

(٢٦٣) * حسن . أورده شيخ الإسلام في « المطالب العالية » (١٩١/٢) وقال العلامة الأعظمى قال البوصيرى رواه أبو يعلى بإسناد حسن وأصله في الصحيحين ا.هـ قال في « المجمع » روى أبو يعلى والبزار ورنال الحميع ثقات ا هـ

- وسياتى أقوام رجال ونساء ثم لا يذوقون منه شيئاً» (٢٦٤) .
- ٣٢٣- وذكر ابن السكن من حديث سويد بن جيلة قال : قال النبي - ﷺ - : « لتزدحم هذه الأمة على الحوض ازدحام واريذات الحمر » (٢٦٥) (٢٦٦) .
- ٣٢٤- وذكر مسلم من حديث أنس بن مالك قال : « بينا رسول الله - ﷺ - ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى لإغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : نزلت على آنفأ سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبر ﴾ ثم قال : تدرون ما الكوثر ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد نجوم السماء ، فيختلج العبد منهم فأقول : رب إنه من أمتي . فيقول : إنك لا تدري ما أحدث بعدك » (٢٦٧) .
- ٣٢٥- وفي طريق آخر عن أنس أيضاً : « نهر وعدنيه ربي في الجنة حوضي ويروى حوض » (٢٦٨) .
- ٣٢٦- وفي حديث لقيط وذكر البعث قال : « فستسلكون جسراً من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول « جسّ » ألا فتطلبعون على حوض الرسول لا يظماً

(٢٦٤) حسن - رواه الطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة - على ما قال الهيثمي في « المجمع » (٣٦٧/١٠) .

(٢٦٥) إنما هي : « الخمس » من العدد كما هو ثابت ، وما ها هنا فهو تحريف والحديث حسن .

(٢٦٦) الحديث ورد من رواية العرياض بن سارية أن النبي - ﷺ - قال : « لتزدحم هذه الأمة على الحوض . » الحديث قال الإمام الهيثمي في « المجمع » (٣٦٣/١٠) رواه الطبراني بإسنادين وأحدهما حسن .

قلت : وهو في « صحيح ابن حبان » (١٨١/٩) بلفظه

(٢٦٧) صحيح - أخرجه من وجوه عن المختار بن فلفل رحمه الله فأخرجه الإمام أحمد من طريقه عن أنس ، ومسلم (١١٢/٤ - ١١٣) وأبو داود (٢٣٧/٤) والسنائي (١٣٣/٢ - ١٣٤) وكذا الحافظ ابن كثير في « الفتى والملاحم » (٥/٢) وغيرهم .

(٢٦٨) قوله (وفي طريق أخرى عن أنس أيضاً) . « نهر وعدنيه ربي في الجنة » الحديث « هو عند أحمد (١٠٢/٣) بلفظ « أعطانيه ربي عز وجل (راجع ما قبله) .

والله ناهله فلعمر إلهك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى» (٢٦٩) رواه عن النبي - ﷺ - وذكر في هذا الحديث أن الحوض بعد الجسر وما تقدم من الأحاديث في الحوض الذي لم يجد له فيها موضع هو الصحيح المشهور .

٣٢٧- وذكر الترمذى من حديث الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإنى أرجو أن أكون أكثرهم واردة » (٢٧٠) وهذا يروى عن الحسن عن النبي - ﷺ - (٢٧١) .

٣٢٨- وذكر أبو بكر البزار من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن لى حوضاً ما بين بيت المقدس إلى الكعبة أبيض من اللبن فيه عدد الكواكب آنية وأنا فرطكم على الحوض ولكل نبي حوض وكل نبي يدعو أمته فمنهم من يرد عليه فقام من الناس ومنهم من يرد عليه ما هو دون ذلك ومنهم من يرد عليه العصابة ومنهم من يرد عليه الرجلان والرجل ومنهم من لا يرد عليه أحد فيقول اللهم قد بلغت اللهم قد بلغت ثلاثاً وذكر الحديث » (٢٧٢) .

(٢٦٩) خبر لقيط ، تقدم ، وهو في « المجموع » (١٠/٣٤١ ، ٣٤٢)

(٢٧٠) خبر الحسن عن سمرة قال . قال رسول الله - ﷺ - : « إن لكل نبي حوضاً ... الحديث أخرجه الترمذى (٢٤٤٣) من طريق محمد بن بكر الدمشقى حدثنا سعيد بن بشر عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله - ﷺ - فذكره
ضعيف

(٢٧١) قوله وهذا يروى عن الحسن عن النبي - ﷺ - أ هـ
قلت : هذا قول أبي عيسى رحمه الله قاله عقب إخراج الحديث فقال : « هذا حديث غريب وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي - ﷺ - مرسلًا ولم يذكر فيه سمرة وهو أصح » أ هـ
قلت : الحديث - كيف دار - فهو ضعيف (أ) ففيه سعيد بن بشر ، قال ابن أبي حاتم في « الخرح والتعديل » (٨/١/٢) روى عن الحسن . روى مالك بن إسماعيل عن سهل بن شعيب ، سمعت أبي يقول ذلك ويقول : هو مجهول لم يلق الحسن .

(٢٧٢) صحيح - وأصله في الصحيحين فهو في البخارى (١١/٤٦٣) ومسلم (١٥/٦١) وقال الحافظ رحمه الله ت

(١٦) باب ذكر الشفاعة الأولى التي تكون لفصل القضاء بين الناس

وهي المختصة بنبينا محمد - ﷺ - فلا تكون إلا له ولا يشركه فيها غيره .
٣٢٩- ذكر البخاري من حديث آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول : « إن
الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيا يقولون : يا فلان اشفع
يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي - ﷺ - فذلك يوم يبعثه الله
المقام المحمود » (٢٧٣) وقد رواه عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن
النبي - ﷺ - .

٣٣٠- وذكر من حديث أبي هريرة قال : « أتى النبي - ﷺ - فرفع إليه الذراع
وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة وهل
تدرون مم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي
وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون
ولا يحتملون فيقول الناس : ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع
لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم فيأتون آدم
فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر

تعالى في « الفتح » : (٤٧٠/١١ ، ٤٧١) في هذا الحديث كلاماً كثيراً طيباً راجعه غير مأثور وراجع
أيضاً كتاب العلامة الكتاني رحمه الله « نظم المتناثر في الحديث المتواتر » وراجع أيضاً كتاب « الشفا »
للقاضي عياض .

(٢٧٣) صحيح - أخرجه البخاري (٣٩٩/٨) من طريق أبي الأحوص عن آدم بن علي قال : سمعت ابن عمر
- رضي الله عنهما - يقول وذكره
بكتبة * - آدم بن علي راوى هذا الخبر ليس له في البخاري إلا هذا الحديث .

الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهانى عن الشجرة فعصيته ، نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم . فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان فى الحديث - نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى فيقولون : أنت رسول الله فضلك برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنى قد قتلت نفساً لم أوامر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى عليه السلام . فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمته اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنباً - نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي ، فيفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتح على أحد قبلى فيقول يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول أمتى يا رب أمتى يا رب أمتى يا رب فيقول : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى

ذلك من الأبواب . ثم قال : والذي نفسى بيده إنما بين المصراعين من
مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى « (٢٧٤) .

(٢٧٤) خبر أبى هريرة فى « الشفاعة »

- صحيح - أخرجه البخارى (٣٩٥/٨) ومسلم (٦٥/٣ - ٦٩ نووى) والترمذى (٢٤٣٤) وأحمد (٤٣٥/٢) والبعوى فى « شرح السنة » (١٥٢/٥ - ١٥٦) وابن حبان فى « صحيحه » (١٣٠/٨) اس
أبى عاصم فى السة رقم (٨١١) والقاضى عياض فى « الشفا » (١٩٤/١) ووصفه بالتواتر - وهو
كذلك - والسيوطى فى « الصعير » وصححه وأشار إلى تصحيحه وعراه لبعض من ذكرنا ومنهم ابن
ماحة - وما أظنه - إلا وهما - فالحديث فى سنن ابن ماجة (٤٣١٢) عن أس وليس عن أبى هريرة (!)
وعلقه العلامة صدر الدين على بن أبى العر فى « عقيدته » (ص ١٦٩ شاكر) فقال أحاديث الشفاعة
منها عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال ... فذكره
قلت : وللحديث طرق وروايات يشق حصرها فى هذه الحالة فله الحمد

(١٧) باب المساءلة والتقرير والمحاسبة والقصاص

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون ﴾ [الحجر / ٩٢ ، ٩٣] وقال سبحانه : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ [الكهف / ٤٩] .

وقال جل جلاله : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون * ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ﴾ [الزمر / ٦٩ ، ٧٠] .

٣٣١- وذكر قاسم بن أصبغ من حديث سعيد بن عبد الله عن أبي بردة الأسلمي قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن علمه ما عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه » (٢٧٥) ذكره الترمذى أيضاً .

٣٣٤- وذكر مسلم من حديث صفوان بن محرز قال : « قال رجل لابن عمر كيف سمعت رسول الله - ﷺ - يقول في النجوى قال سمعته يقول يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه تعالى حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول : هل

(٢٧٥) صحيح - وهو في « صحيح الجامع » معزو للترمذى (٧١٧٧) ، والحديث أخرجه الترمذى (وقال حسن صحيح والطبرانى في الكبير (١/٤٨/١) والصغير (٢٦٩/١) عن ابن مسعود وقال عقة قال سليمان . لا يروى عن عبد الله بن مسعود إلا بهذا الإسناد تفرد به حميد ، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٤٤٠/١٢) والدارمى (١٣١/١) وأبو يعين في « الخلية » (٢٣٢/١٠) وهو في « المشكاة » (٧٤٩٨) وفي المجموع (٣٤٦/١٠) عن أبي هريرة والله أعلم

تعرف ؟ فيقول : رب أعرف . قال : فإنى سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته . وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على الله ﴿٢٧٦﴾ .

٣٣٥- وذكر مسلم أيضاً من حديث ابن أبي مليكة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ - : « من حوسب يوم القيامة عذب فقلت : أليس قد قال تعالى : ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ فقال : ليس ذلك الحساب وإنما ذلك العرض . من نوقش الحساب يوم القيامة عذب ﴾ (٢٧٧) .

٣٣٦- وذكر أبو بكر البزار من حديث أنس عن النبي ﷺ - قال : « يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين : ديون فيه العمل الصالح ، وديوان فيه ذنوبه ، وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله تعالى لأصغر نعمة أحسبه قال في ديوان النعم خذ ثمنك من عمله الصالح فيستوعب عمله الصالح ثم لتجىء فتقول وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل فإذا أراد الله أن يرحم عبداً قال : يا عبدى قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك - وأحسبه قال - وأوجبت لك نعمي ﴾ (٢٧٨) .

٣٣٧- وذكر أبو بكر البزار من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ - قال : « يؤتى بالملك والمملوك والزوجة فيحاسب الملك والمملوك والزوجة حتى يقال للرجال شربت يوم كذا وكذا على لذة . ويقال للزوج : خطبت فلانة مع خطّاب فزوجتكها وتركتهم ﴾ (٢٧٩) .

(٢٧٦) صحيح - أخرجه الإمام البخارى في غير موضع من صحيحه الخليل منها (٣٠٠/٤) سدى) ومسلم (١٧/٨٦ - ٨٧) وابن ماجة (١٨٣) عبد الباقي) والإمام أحمد (٧٤/٢ ، ١٠٥) .

(٢٧٧) صحيح أخرجه من وحوه عن أبي مليكة عن عائشة - رضى الله عنها - فأخرجه البخارى (١٩٧/١) فتح) ومسلم (٢٠٨/٧) بووى) وأبو داود (١٨٤/٣) والترمذى (٢٤٢٦) وأحمد (٤٧/٦ ، ٩١ ، ٨١ ، ١٢٧ ، ٢٠٦) والبعوى (١٣١/١٥) وابن حبان فى صحيحه وهو فى « صحيح الجامع » (٦٠٩٥ ، ٦٠٩٦) وفى « الترغيب » (١٩٨/٤) وغيرهم .

(٢٧٨) ضعيف - قال الهيثمى فى « المجمع » (٣٦٠/١٠) رواه البرار وفيه صالح المرى وهو ضعيف .هـ. وعزاه المنذرى فى « الترغيب » (١٩٩/٤) للبزار وسكت عنه .

(٢٧٩) حسن إن شاء الله : راجع « سنن البيهقى » (٣٩/٨) وقال الهيثمى فى « المجمع » (٣٥٢/١٠) رواه

٣٣٨- وفي الخبر المشهور : أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أكلتا تمرأ بسرأ ورطبأ ثم أكلتا خبزأ ولحمأ أطعمهما رجل من الأنصار وأكلاه على جوع فقال لهما النبي - ﷺ - : « لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة » (٢٨٠) والحديث ذكره مسلم .

٣٣٩- وذكر الترمذى من حديث عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : « لما نزلت ﴿ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ [الزمر / ٣١] قال الزبير : يا رسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا ؟ قال : نعم . فقال : إن الأمر [إذا] (٢٨١) لشديد » (٢٨٢) .

٣٤٠- وذكر النسائى من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله عز وجل له كل حسنة كان أزلفها ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها ثم كان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها » (٢٨٣) .

الزار من رواية سعيد بن مسلمة الأموى عن ليث بن أبى سليم وكلاهما ضعيف وقد وثقا . وبقية رجاله رجال الصحيح ٨٠١

(٢٨٠) قوله فى الحديث المشهور أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أكلتا تمرأ .. الحديث صحيح

قلت . عين عرفت فدرت (١)

فذلك حديث أبى هريرة - رضي الله عن سائر الأصحاب - أخرجه مسلم فى « صحيحه » (٢١٠/١٣) ، (٢١٤) والغوى « شرح الستة » (٣١٠/١٤) وأخرجه أبو الشيخ رحمه الله فى « كتاب « أحلاق النبى - ﷺ - له (ص ٢٧٠ ، ٢٧١)

(٢٨١) * « إذا » غير مقروءة بالأصل ، والإكمال من جامع الترمذى .

(٢٨٢) حسن أخرجه الترمذى (٣٧٠/٥) وقال حسن صحيح . وراجع « جامع البياض » (٢/١١) لأبى جعفر ابن حرير الطبرى « والدر المنثور » حيث عزاه السيوطى رحمه الله إلى عبد بن حميد والنسائى وابن أبى حاتم والطبرائى وابن مردويه .

(٢٨٣) صحيح - أخرجه البخارى (٩٨/١) معلقاً عن مالك رحمه الله أخبرنى ريد بن أسلم عن عطاء بن يسار أبحره أن أبى سعيد الخدرى أخبره أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول . فذكره ننحو ما ها هنا قال الحافظ رحمه الله (قوله : قال مالك) هكذا ذكره معلقاً ولم يوصله فى موضع آخر من هذا الكتاب - وقد

٣٤١- وذكر مسلم من حديث أنى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : إن المفلس من أمتى يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » (٢٨٤) .

٣٤٢- وذكر البخارى من حديث أنى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يخلص المؤمنون من النار فيُجَبَسُونَ على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا » (٢٨٥) .

٣٤٣- وذكر مسلم من حديث أنى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة » (٢٨٥) [القرناء] .

وصله أبو ذر الهروى فى روايته للصحيح .. ا.هـ
قلت : وكذا وصله النسائى (١٠٥/٨ ، ١٠٦ سيوطى) والإمام أحمد فى « المسند » (٣١٠/١) والحديث فى « صحيح الجامع » (٣٣٣ - ٣٣٤) .

(٢٨٤) « صحيح » أخرجه البخارى رحمه الله مختصراً معلقاً (٥٦٦/١٠) فقال : « فى باب قول النبى - ﷺ - إنما الكرم قلب المؤمن وقد قال إنما المفلس الذى يفلس يوم القيامة ، وأخرجه مسلم رحمه الله موصولاً (١٣٥/١٧ ، ١٣٦) والإمام أحمد فى المسند (٣٠٣/٢) ، ٣٤٤ ، ٣٧١) وابن حبان فى صحيحه (٢٩٦/٦ ، ٢٩٦/٩) وأخرجه النهقى فى « السنن الكبرى » (٩٣/٦) وعزاه المندرى فى « الترغيب » (٢٠٢/٤) لمسلم .

(٢٨٥) صحيح - أخرجه البخارى (٣٩٥/١١) وأخرج بعضه مسلم رحمه الله (١٤٩/٢ - ١٥٠) من حديث أنى هريرة ، وأخرجه أحمد (٥٧/٣) مختصراً وأخرجه بتمامه (٧٤/٣) وأخرجه البغوى فى « شرح السنة » (١٩٦/١٥) والحديث فى « مشكاة المصابيح » (٥٥٨٩) معزو للبخارى بلفظه .

(٢٨٦) صحيح - وهو فى « صحيح الجامع » (٤٩٣٨) ووهم فى عزوه لأحمد إذ أن الذى أخرجه هو ابه عبد الله فى « روائد المسند » (٧٢/١) وكذا أخرجه الإمام أحمد (٣٦٣/٢ ، ٢٣٥/٢ - ٣٢٣)

- وذكر أبو بكر الشافعي من حديث أبي ذر قال : « رأى رسول الله ﷺ - شاتين تنتطحان فقال : يا أبا ذر وهل تدري فيم ينتطحان ؟ قلت : لا أدري . قال : لكن الله يدري ويقضى بينهما يوم القيامة » (٢٨٧) .
- ٣٤٤- وذكر البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ - قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتبرأ له منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه » (٢٨٨) .
- ٣٤٥- وذكر أبو بكر البزار عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ - : « الظلم ثلاث : فظلم لا يغفره الله ، وظلم يغفره ، وظلم لا يتركه ، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك قال الله العظيم : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يُدبر بعضهم من بعض » (٢٨٩) .
- ٣٤٦- وذكر مسلم من حديث أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ - : « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به

قال الهيثمي رحمه الله في « المجمع » الحديث رواه أحمد والبزار وعبد الله بن أحمد وفيه الحجاج بن نصر وقد وثق على ضعفه وبقيّة رجال البزار رجال الصحيح غير العوام بن مزاحم وهو ثقة هـ.١. وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (١٨٣/١) فضل الله الصمد (من طريق إسماعيل قال حدثنا العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ - قال . فذكره . ومن هذه الطريق أخرجه مسلم (١٣٦/١٦ نووي) ، والترمذي (٢٤٢٠) وقال : حسن صحيح وأورده المنذرى في « الترغيب » (٢٠١/٤) بلفظ مسلم وعزاه للترمذي .

(٢٨٧) ضعيف - أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » (١٦٢/٥) وأبو داود الطيالسي (٤٨٠) قال الهيثمي رحمه الله في المجمع (٣٥٥/١٠) فيه لث بن أبي سليم وهو مدلس .

(٢٨٨) صحيح - وهو في صحيح الجامع (٦٣٨٧) وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٥٠٦/٢) وأخرجه البخاري (١٠١/٥) فتح .

(٢٨٩) صحيح : وهو في صحيح الجامع (٣٨٥٦) وأخرجه الطيالسي أبو داود في مسنده (٢٨٢) قال الهيثمي . رواه البرار عن شيخه أحمد بن مالك القشيري ولم أعرفه وبقيّة رجاله قد وثقوا على ضعفهم هـ.١ (٣٥١/١٠) .

يوم القيامة فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا فيقول : نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة . فيقول : رب قد عملت أشياء لا أراها هنا فلقد رأيت رسول الله - ﷺ - ضحك حتى بدت نواجذه « (٢٩٠) » .

٣٤٧- وذكر الترمذى من حديث أنس عن النبي - ﷺ - قال : « يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الله له : أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت ؟ فيقول : يا رب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فأرجعني آتاك به فيقول له أرني ما قدمت . فيقول : يا رب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فأرجعني آتاك به فإذا عبد لم يقدم خيراً [فيمضى] به إلى النار » (٢٩١) .

فتفكر أيها المسكين في نفسك بينا أنت في مهلة من عمرك هذا اليوم الذى وصف لك وفي هذا الحال الذى حدثت عنه وقد جىء بجهنم كما يروى فى الصحيح تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تكون بمرأى من الخلق ومسمع يرون لهيها ويسمعون زفيرها إذ أخذ بضبعيك وقبض على عضدك وجىء بك تتخطى الرقاب وتتحرق الصفوف والخلائق ينظرون إليك حتى وقفت بين يدي الله تعالى فسئلت عن القليل والكثير والنقىم والقطمير ولا تجد أحداً يجابو عنك بلفظة ولا يعينك بكلمة ولا يرد عنك جواباً فى مسألة وأنت قد شاهدت من عظم الأمر وجلالة القدر وهيبة الحضرة ما أذهب بيانك بل ما أخرس لسانك وأذهل

(٢٩٠) صحيح - وهو فى صحيح الجامع (٢٤٨١) وأخرجه أحمد فى المسند (١٧٠/٥) ومسلم (٤٧/٣) نووى وأخرجه الترمذى (٢٥٩٦) والبيهقى (١٩٠/١٠) وابن حبان (٢٣٣/٩) والبعوى (١٩٢/١٥) والبيهقى فى « البعث والشور » (ص - ٨١) جميعاً كسواء ، وأخرجه البخارى (٤١٩/١١) ومسلم (٣٩/٢) .

(٢٩١) ضعيف : وهو فى « جامع الترمذى » وما بين « المعكفين » من روايته والخر أخرجه مسلم (٢٩٦٨) وأحمد (٤٩٢/٢) ، وإنما سقنا أولاً رواية الترمذى لما سبق بيانه من أسباب تدعى لتقديم رواية عمر الصحيحين عليهما - راجعها غير مأمور فى « منهج العمل » والله تعالى المستعان والخر أخرجه نعيم بن حماد فى « روائد الزهد » (٣٩٤) .

جنانك ونظرت يميناً وشمالاً وبين يديك فلم تر إلا النار وعملك الذي كنت تعمل وكلمك رب العزة جل جلاله بغير حجاب يحجبك ولا ترجمان يترجم لك - كما جاء في الخبر الصحيح - وسئلت عن كل شيء كان منك في حق نفسك وحق غيرك وقيل : مالك من أين اكتسبته ؟ ومن أين جمعته ؟ وفيه أنفقته ؟ فما ظنك بنفسك في ذلك اليوم ؟! وكيف تقول يكون فزحك وجزعك وكيف تكون حيرتك ودهشتك إذا قيل لك عاملت فلاناً يوم كذا وكذا في كذا وكذا وأخذت منه كذا وكذا وغبنته في كذا وكذا وتركت نصيحتة في هذه السلعة ولم تبين له هذا العيب أو غصبت فلاناً أو ظلمت فلاناً أو غششت فلاناً أو قتلت فلاناً أو فعلت كذا وفعلت كذا وقيل لك : أول بحجته مم يتبينه اثبت ببرهان أنفذ بسلطان . فأردت الكلام فلم تُبين وجئت بعذر فلم تستبين همهاً أتى لك بالكلام وفي الدنيا لم تنقحه وأتى لك بالعذر وفي الدنيا لم تصححه قال تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً . ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً * إنا أنذرناكم عذاباً قريباً * يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً ﴾ [النبأ / ٣٨ - ٤٠] .

وقال الحارث بن أسد المحاسبي في موعظة له : « أحذرك يا أخى ونفسى يوماً آل الله فيه على نفسه ألا يترك عبداً أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله كله دقيقه وجليله سره وعلايته فانظر بأى بدن تقف بين يديه وبأى لسان تحببه فأعد للسؤال جواباً وللجواب صواباً » .

وتفكر الآن وانظر بأى قدم تقف في ذلك المقام أو بأى أذن تسمع ذلك الكلام فما شئت من قلب يخلع وكبد تصدع ولسان يتلجلج وأحشاء تتموج ونفس تريد أن تخرج فلا تُترك أن تخرج فانظر ما أشأم تلك الأرباح التي ربحتها وأخسر تلك المعاملات التي عاملت بها انظر كيف ذهبت عنك مسرتها وبقيت حسراتها والشهوات التي في ظلم العباد أنفذتها كيف ذهب عنك الفرح بها وبقيت تبعثها وانظر الآن بكم تفتدى من ذلك الموقف وبكم تتخلص من ذلك السؤال أتقول لو كان لك نصف الدنيا كنت تعطيه في التخلص من ذلك المقام ؟ إى لعمر الله والدنيا وأضعافها مرات فكيف ولم يحصل لك في عمرك إلا درهيمات يسيرة أنفقتها في أيام

يسيرة ، وربما لم تنفقها ، ولعلك كنت أنت جامعها والمتعب فيها وكان المنفق لها سواك والملتذ بها غيرك إما زوج ابنتك أو زوجة ابنك ، أو غيرهما من ورائك ، وأنت إنما حصل لك منها ما أنفقته في الحال لا ما أعددته للمآل وتترك ذلك لمن لا يحمذك ولا يشكرك ولعله ينفقها في طاعة فترى مالك في ميزان غيرك تشقى أنت به وينعم به سواك ، وإن كنت قد أنفقتها في معصية ربك ومخالفة مولاك واتباع هواك وأطلقت فما شهوتك وأرسلت فيها لذتك ، ويلاك ثم ويلاك من أسير شد خناقه وأحكم وثاقه وثبتت على عنقه أرباقه وطولت بما جناه وأخذ بما كسبت يده ، وقيل له لا تلم فيما نضح من جسمك رضح فيداك أو كتا وفوك نفخ ولا يتبين من بينهم أنقذك وأصمأك فطرفك أشار إليك وساعدك رماك ، وإن أخذت ذلك بالغضب والظلم والأنواع المحرمات والأمور المحظورات فقد علمت ما أعد الله للظالمين وما تواعدهم به في كتابه المبين .

واعلم أن في هذا اليوم يصدق الله تعالى قوله : ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين [فلنقصن] ﴾ (٢٩٢) عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴿ (٢٩٣) ﴾ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾ (٢٩٤) فيبدأوا بالأنبياء عليهم السلام فيقول [ماذا أجبت] ؟ قيل في تفسيره ما كانوا قد عملوا لكن دهشت عقولهم وعزمت أفهامهم ونسوا من شدة الهول وعظم الخطب وصعوبة الأمر فقالوا : ﴿ لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ﴾ ثم يقويهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام .
٣٤٨- ذكر البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ - **« يدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يارب . فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم . فيقول لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون :**

(٢٩٢) - « فَلَنَقُصَّنَّ » - غير مقروء بالأصل .

(٢٩٣) - الآيات - إلى قوله تعالى - « غائبين » - هي من سورة الأعراف (٦-٧) .

(٢٩٤) - قوله - تعالى شأنه - ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين » عما كانوا يعملون ﴾ هي الآيات أرقام (٩٢-٩٣) من سورة الحجر (١) وقد ننسأ إليها خطورة مثل هذا الصنيع - من سوق الآيات من سور محتلمات - هكذا في صعيد واحد (١) غير مفصول بينها بأية فواصل أو علامات للتمييز أو التنبيه على الانتقال من سورة إلى سورة ، فليتنامل هذا ثم ليحذر (١)

ما أتانا من نذير فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته . فتشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً . فذلك قوله : ﴿ وتلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ﴾ والوسط العدل (٢٩٥) .

٣٤٩- وروى ابن أبي نعيم (٢٩٦) عن حيان بن أبي جبلة قال : « أول من يدعى يوم القيامة إسرافيل فيقول الله جل ثناؤه : هل [بَلَّغْتَ] عهدي ؟ فيقول : نعم يارب قد بلغت جبريل . فيدعى جبريل فيقال : هل بلغك إسرافيل عهدي ؟ فيقول : نعم فيخلى عن إسرافيل . ويقول لجبريل : ما صنعت بعهدي ؟ فيقول بلغته الرسل . فتدعى الرسل فيقول : هل بلغكم جبريل عهدي ؟ فيقولون : نعم . فيخلى عن جبريل . ويقال للرسل : هل بلغتكم عهدي ؟ فيقولون : نعم . قد بلغناه الأمم . فتدعى الأمم فيقال لهم : هل بلغتكم الرسل عهدي ؟ فيقولون : نعم . فيقال لهم : أتشهدون أن الرسل بلغت الأمم ؟ فيقولون نعم . فتقول الأمم : يارب كيف يشهد علينا من لم يدركنا ؟ فيقول الله عز وجل : كيف تشهدون عليهم ولم تدركوهم ؟ فيقولون : ياربنا أرسلت إلينا رسولاً وأنزلت علينا كتاباً وقصصت علينا فيه أن قد بلغوا . قال : فذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ وتلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [البقرة / ١٤٣] والوسط : العدل (٢٩٧) .

(٢٩٥) * صحيح * أخرجه البخاري رحمه الله (١٧١/٨ - ١٧٢ - فتح) وأحمد (٣٣/٣) وابن ماجه (٤٢٨٤) والإسماعيلي في « المستخرج » ، وابن أبي حاتم بسند جيد عن أبي بن كعب في هذه الآية ﴿ لتكونوا شهداء ﴾ كما أفاد الحافظ رحمه الله في « الفتح » ، والخبر أخرجه البغوي في شرح السنة (١٣٩/١٥ - ١٤٠) وابن حبان في صحيحه (١٣٦/٨) وابن جرير (٦/٢) والسيوطي في « الدر المنثور » (١٤٤/١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، ومن ذكرنا آنفاً . (٢٩٦) قوله : (وروى ابن أبي نعيم . إلخ خطأ (١) صوابه : ابن أنعم كما سيظهر بعد إن شاء الله - والخبر ضعيف .

(٢٩٧) وقد أورده السيوطي في « الدر المنثور » (١٤٥/١) قال : أخرج ابن المبارك في « الزهد » وابن جرير عن حيان بن أبي جبلة بسنده إلى رسول الله - ﷺ - قال . . فذكر الحديث ، والخر عند ابن جرير (٦/٣) عن راشد بن سعد قال أخبرني ابن أنعم المعافري عن حبان بن جبلة فذكره بسنده الضعيف .

ثم يدعى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ثم ينادى كل إنسان باسمه واحداً واحداً ويسألون واحداً واحداً وتعرض أعمالهم على رب العزة جل جلاله قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها .

في بعض الخبر « أنه يتمنى رجال أن يبعث بهم إلى النار ولا تعرض قبائحهم على الله تعالى ولا تكشف مساوئهم على رؤوس الخلائق » فما ظنك بهذا المقام وبهذا السؤال وبهذا النكال والوبال ؟ ما ظنك بنفسك وقد جيء بجهنم على الوصف الذي تقدم وقد دنت من الخلائق وشهقت وزفرت وثار وقات وانتهضت خزائنها والموكلون بها والمعدون لتعذيب أهلها مسارعون إلى أخذ من أمروا بأخذه ساجدون له على بطنه وجر وجهه سامعون مطيعون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

فمثل حالك وكيف أنت وقد امتلأت القلوب خوفاً وجزعاً ورعباً وفرعاً ، وارتعدت الفرائص وبلغت القلوب الحناجر ، واصطفقت الأحشاء وتقطعت الأمعاء وطلبوا الفرار فلا فرار وطاروا لو يصادفون مطار ، وجثت الأمم على الركب وأيقن المذنبون بالهلاك والعطب وسوء المنقلب ، وينادى الأنبياء والصديقون والأولياء : نفسى نفسى ، كل نفس قد أفردت لسانها وتركت لما بها ، وظن كل إنسان أنه هو المأخوذ وأنه هو المقصود ، وذهلت العقول وطاشت الأبواب وتحيرت الأذهان ، وفر المؤمن من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه واشتغل بشأنه الذى يعنيه ، وسئل عن جميع أمره سره وجهه دقيقه وجليله كثيره وقليله ، وسئل عن أعضائه عضواً عضواً وجارحة جارحة ، وعن شكره عليها ، وهل أدى حق الله فيها ، وظهرت القبائح وكثرت الفضائح ، وبدت المخازى واشتهرت المساوىء ، وتركت الأهل والأقربون ولم ينفعك مال ولا بنون ، وأقبلت تجادل عن نفسك وتخاصم عنها وتطلب المعاذير لها ، إذ قد أسلمت وأبردت واشتغل عنك كل إنسان بنفسه وترك ما حل بك لما حل به .

وأنشدوا :

خليلى ما أقضى وما أنا قائل إذا جئت عن نفسى بنفسى أجادل .
وقد وضع الرحمن فى الحشر عدله وسبق جميع الناس واليوم باسل .

- وجيء بجرم النار خاضعة له وثلاث عروش عندها ومجادل .
- فياليت شعري ذلك اليوم هل أنا أغفر أم أُجزي بما أنا فاعل .
- فإن أك مجزياً فعدل وحجة وإن يك غفران ففضل ونائل .

واعلم أنه بقدر ما تُيسر على أخيك المسلم في الدنيا يُيسر عليك في ذلك اليوم ، وبحسب ما تلتمس له العذر في الدنيا يلتمس لك العذر في ذلك اليوم ، وهبك يا ابن آدم أنه قد غفر لك وستر عليك ألم تقم هذا المقام ؟! وشاهدت هذا المشهد ؟! وقرع سمعك هذا النداء ؟! وخلع قلبك هذا الروح ؟! أقام خوفك هذا بأمنك في الدنيا ؟! أقام حزنك هذا بفرحك في الدنيا ؟! أقام ذلك هذا بعزك في الدنيا ؟! أين يقع هذا منه أيقوم تعظيم الخلق لك في الدنيا باحتقار الله لك في ذلك اليوم ؟! أتقوم نعمتك في الدنيا ببؤسك في ذلك اليوم ؟! فكيف إن نوقشت الحساب ؟! ووجب عليك العذاب ؟! وضرب بينك وبين ربك بحجاب ؟! وسد بينك وبين رحمته بباب ؟! ليس كالأبواب ، هنالك لا دعاء يُسمع ولا شفاعة تشفع ولا عذاب عن البائس المرتين يرفع ، إلا أن تكون ممن سبقت له العناية بالإيمان عند الموت وتداركته الرحمة به قبل الموت ، فإن الشفاعة تستخلصك من ذلك الإيسار وتستخرجك من سوء ذلك القرار ، يكون منك قبل ذلك ما كان ويدور عليك قبل ذلك ما دار .

(١٨) باب ذكر أول ما يحكم فيه يوم القيامة وأول من يدعى للخصومة

٣٥٠- ذكر مسلم بن الحجاج من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ - « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء » (٢٩٨) .

وعن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - أنه قال : « أنا أول من يجثو يوم القيامة بين يدي الرحمن للخصومة » (٢٩٩) يريد قصته في مبارزته هو وصاحبه الثلاثة من كفار قريش « وقال أبو ذر (٣٠٠) وفهم نزلت [الحج / ١٩-٢٢] ﴿ هَذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمَا فِي رِجْمِهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا ﴾

(٢٩٨) - صحيح - أخرجه البخارى (١٨٧/١٢ - فتح) ومسلم (١٦٧/١١) وأخرجه أيضاً أحمد والنسائى وابن ماجة والبخارى وابن حبان والطيالسى والديلمى وغيرهم من حديث عبد الله - رضى الله عنه - : رأينا الاجتزاء منها برواية الشيخين

(٢٩٩) قوله « عن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - أنه قال أنا أول من يجثو يوم القيامة .. إلخ صحيح ، أخرجه البخارى (٤٤٣/٨) من طريق معتمر بن سليمان قال : سمعت أبا عبد الله بن عباد عن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - قال فذكره .

(٣٠٠) قوله : وقال أبو ذر وفهم . نزلت ﴿ هَذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمَا فِي رِجْمِهِمَا .. الآية ﴾ صحيح قلت : قائل هذه العبارة هو قيس بن عباد راوى الخبر عن علي عليه الرضوان . أما أبو ذر فصدر البخارى الباب بحديثه فقال . حدثنا حجاج ابن منهال حدثنا هشيم أخبرنا أبو هاشم عن أبي حمزة عن قيس بن عباد عن أبي ذر - رضى الله عنه - أنه كان يقسم فيها قسماً أن هذه الآية ﴿ هَذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمَا فِي رِجْمِهِمَا ﴾ نزل في حمزة وصاحبيه وعنته وصاحبيه .

عذابَ الحريقِ ﴿٣٠١﴾ وذلك أن علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب - رضي الله عنهم - بارزوا يوم بدر من كفار قريش ثلاثة شبيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة ، فبارز عليُّ الوليد فقتله وبارز حمزة شبيبة فقتله ، واختلفت بين عبيدة وبين عتبة ضربتان أثبت كل واحد منهما صاحبه ، ففكر حمزة وعليُّ علي عتبة فأثما عليه ، واحتملا عبيدة فمات من ضربته في طريق المدينة في رجوع النبي - ﷺ - من غزوته تلك ، ونزلت فهم هذه الآية والخبر بها مشهور صحيح .

(٣٠١) الآية من سورة « الحج » ، وقال أبو عبد الله - على الاستئناف - في حديث معتمر قال - يعني : قيس ابن عباد - قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشبيبة ابن ربيعة وعتبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة . والخبر عند ابن جرير (٩٩/١٩) عن أبي مجلز عن قيس بن وهب وأورده السيوطي في « الدر » (٣٤٨/٤ ، ٣٤٩) بنحوه وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبه وعبد بن حميد والشيخين والترمذي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في « الدلائل » عن أبي در

(١٩) باب الخصومة بين المسلمين ورد المظالم والانتصاف منها بالحسنات والسيئات

٣٥١- روى من حديث عبد الله بن أنيس - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « يحشر الله العباد أو قال الناس وأوماً بيده إلى الشام عراة حفاة غرلاً بهما . قال [قلنا] ما بهما ؟ قال : ليس معهم شيء . فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ويسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة . قلنا : كيف وإنما نأتى الله حفاة عراة غرلاً ؟ قال : بالحسنات والسيئات » (٣٠٢) قوله « غرلاً » يريد غير مختونين وأما مطالبة الكافر المؤمن إنما تكون لمن ظلم من أهل الذمة والعهد إذ يكون فيما لم يأذن الله عز وجل من غيرهم والله أعلم .

قد تقدم لك ذكر هول الموقف وخطره وغوره وأنت لا تدري إلى ما تصدر عنه ولا إلى أى مكان تسير فيه ، فتفكر فيه وأطل التفكير فقد وجدت مكان التفكير ذا سعة ، وميدان الخوف عريضاً ، ثم تفكر فيك بينا أنت واقف

(٣٠٢) صحيح - أخرجه البخارى (٢٩٠/٤ - سدى) معلقاً قال ويذكر عن جابر عن عبد الله من أنيس . صدر الحديث إلى قوله تعالى ﴿ أنا الملك أنا الديان ﴾ وقد أخرجه موصولاً في الأدب المفرد (٩٧٠) فضل الله الصمد كما عند أحمد (٤٩٥/٣) والحاكم في « المستدرک » (٤٣٧/٢ ، ٤٣٨) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وليس كما قالوا ، فإن البخارى لم يخرج لاس عقيل في صحيحه شيئاً أصلاً ولا متاعه . وأخرج له مسلم في « المتابعات » فقط وأورده المنذرى في « الترغيب » (٢٠٣/٤) وحسنه وإلى هذا تذهب النفس والله أعلم

في تلك الحال التي حُدثت عنها وتقدم لك ذكرها إذ وثب عليك خصماؤك وهجم عليك طالبوك وأحاطوا بك ومدوا أيديهم إليك ، فهذا يأخذ بيدك وهذا بشعرك وهذا بما أمكنه مما أذن الله تعالى أن يأخذه منك ، فواحد [يقول :] يارب هذا ضربني وثاني يقول : يارب هذا شتمني . وثالث يقول : يارب هذا اغتابني . هذا احتقرني هذا غصبني . هذا ظلمني حتى هذا قتلني . هذا عاملني فغشني ولم ينصحنى هذا رآني مظلوماً وقدر على نصرى فلم ينصرني . هذا علم أنى جائع وكان قديراً على أن يطعمني فلم يطعمني . وكيف كانت معاملتك مع الناس وكيف كانت معاشرتكم لهم ، فبينما أنت كذلك لا تدرى ما تقول ولا تدرى ما تعمل ولا أين تفر ولا كيف تتخلص وقد أبهتكم الأمر وأدهشكم الحال إذ سمعت نداء المنادى : ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ﴾ [غافر / ١٧] فلا تسأل عن انخلاع قلبك واضطرام صدرك وقلة أنصارك وعدم الدافعين عنك . فما شئت من ضلوع تحرق وأكباد تخرق وأحشاء تصطفق وهموم تنبعث عليك وتندفق .

وقد علمت أن الأداء عن نفسك هناك ليس بالدنيا وإنما هي حسناتك التي تعبت فيها في الدنيا ، إن كانت قد قبِلت منك تعطى عنك لخصمائك وتُدفع لطالبيك ، وإن لم تكن لك حسنات أخذ من سيئاتهم فحملت عليك وألقيت على كاهلك ، ولعلك قد جرأت مسلماً على معصية أو حملته على ارتكاب خطية أو كنت له سبباً في ترك سيئة واعتقاد بدعة فيجمع ذلك كله لك ويناط بك ويحمل على ظهرك قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم ﴾ [العنكبوت / ١٣] .

فانظر وتدبر كيف يكون حالك وقد أضيفت إلى سيئاتك سيئات أخرى وإلى أوزارك أوزار أخرى ، فاجتمعت عليك السيئات وأحاطت بك الخطيئات ، وانكسر ظهرك من ثقلها ولم تستطع النهوض بسببها ، واستغثت فلا مغيث واستعنت فلا معين ، وإلى الله عز وجل ترغب في المعونة فالتوفيق بيده والفضل فضله وإليه يرجع الأمر كله ، لا رب غيره ولا معبود سواه .

(٢٠) باب في الموازين والكتب

أُصْلِحْ بهذا الدار ميزانك وليكن العدل به شانكا .
فإن فيه ربحك المرتجى في تلکم الدار وخسرانكا .
وليس خسرانك مال ولا أهل فيضني السقم جثانكا .
لكنها نفسك فانظر لها واجمع على ذلك أعوانكا .
من عزمات صادات ومن صبر يشد اليوم إيمانكا .
ولئما أصبحت في مهلة فاجمع إلى فرضك إحسانكا .
واحم على قلبك نار الأسى واغسل بماء الدمع أجفانكا .
فربما أضحك طول البكا وبردت نارك فترانكا .

٣٥٢- ذكر الترمذی من حديث أنس بن مالك قال : « سألت النبي ﷺ - أن يشفع لي يوم القيامة فقال : أنا فاعل . قال : قلت يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال : اطلبني أول ما تطلبني على الصراط . قال : قلت فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال : فاطلبني عند الميزان . قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فاطلبني عند الخوض فإنني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن » (٣٠٣) قال حديث حسن غريب .

٣٥٣- وذكر الترمذی أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ - : « إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر

(٣٠٣) صحيح ذكر المصنف أنه عد الترمذی وهو كذلك في جامعه (٢٤٣٣) أحرجه من طريق بدل بن المخبر حدثنا حرب ابن ميمون الأنصاري أبو الخطاب حدثنا النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال .. فذكره وقال : « حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهو كما قال والله تعالى أعلم »

ثم يقول : أتتكر من هذا شيء ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم . فتخرج بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول : احضر وزنك . فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : إنك لا تُظلم . قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله عز وجل شيء » (٣٠٤) .

٣٥٤- وذكر أبو بكر البزار من حديث أنس بن مالك عن النبي - ﷺ - قال : « ملك موكل بالميزان فيؤتى بآدم فيوقف بين كفتي الميزان فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، وإن يخف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً » (٣٠٥) .

٣٥٥- وروى عن أبي موسى الأشعري عن النبي - ﷺ - قال : « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجداً ومعاريض ، وأما الثالثة فتطائر الكتب يمينا وشمالاً » (٣٠٦) ذكره أبو بكر البزار وقال الترمذي « جداً ومعاذير » رواه من حديث الحسن عن أبي هريرة .

(٣٠٤) صحيح - أخرجه أحمد (٢١٣/٢ - ٢٢٢) والترمذي (٢٦٣٩) وقال : إسناده حسن وأخرجه الحاكم في المستدرک (٦/١) والبيهقي في « الشعب » وهو في المشكاة (٥٥٥٩) وصحيح الجامع برقم (١٧٧٢) « والصحيحة » (١٣٥) - قلت : والحديث من أكبر الصحيح إن لم يكن أكبرها على أن مات على التوحيد لا يجلد في النار وهو أشد على الخواص ومن ظاهريهم من الفرق المارقة الذين يكفرون فاعل الكبيرة - من الحديد - وفيه من الفوائد ما ليس هنا مكان الإفاضة فيه نسأل الله تعالى أن ينفعنا به بفضلته آمين .

(٣٠٥) لم أهتم إليه - فليحرر - والله تعالى أعلم .

(٣٠٦) ضعيف - أخرجه الترمذي (٢٤٢٥) من طريق وكيع عن علي بن أبي حمزة عن الحسن عن أبي هريرة قال : فذكره مرفوعاً قال أبو عيسى - رحمه الله - عقيبه - : « ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة . قال : وقد رواه بعضهم عن علي الرافعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي - ﷺ - . قال : « ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى » هـ

٣٥٦- وذكر أبو جعفر العقيلي من حديث نعيم بن سالم عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ - قال : « الكتب كلها تحت العرش فإذا كان الموقف بعث الله رجلاً فتطيرها بالآيمان والشمال أول خط فيها [الإسراء / ١٤] ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ » (٣٠٧) .

٣٥٧- وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ - في قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ [الإسراء / ٧١] قال : « يدعى أحدهم فيعطى كتابه يمينه ويمد له في جسمه ستون ذراعاً ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلأأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون : اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتهم فيقول أبشروا لكل [رَجُلٍ] منكم مثل هذا . قال : وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم فيلبس تاجاً فيراه أصحابه فيقولون : نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا . قال : فيأتهم فيقولون : اللهم اخزه . فيقول : أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا » (٣٠٨) وقد تقدم تقرير المؤمن على ذنوبه وتعريفه بها .

(٣٠٧) ضعيف قال أبو عبد الله الذهبي - رحمه الله - في « الميزان » (٤٥٩/٤) في ترجمة يغم بن سالم : « أتى عن أنس بعجائب (١) ونقل قول ابن حبان من « المجروحين » (١٤٥/٣) كان يضع الحديث على أنس بن مالك وقال ابن يونس حدث عن أنس فكذب وقال الطحاوي حدثنا يونس د الأعلى قال قدم عليا يغم بن سالم مصر فحجته فسمعتة يقول : « تزوجت امرأة من الحن فلم أرحح إليه » .

(٣٠٨) ضعيف . وهو في « جامع الترمذي » كما ذكر المصنف (٣١٣٦) وذكر ابن خريز أبو جعفر رحمه الله جراً كبراً من « التنازع العريض حول تفسير هذه الآية - راحه وراحه أيضاً الدر (١٩٤/٤) حيث عراه للترمذي والبخاري وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه ابن مردويه . ه فهو عند الحاكم في « المستدرک » (٢٤٢/٢) بإسناد فيه عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي والد إسماعيل في هذا الإسناد (١) فالعجب من الذهبي الذي قال في « الميزان » (٥٨٤/٢) ما حدث عنه سوى ولده وقال في « التفریب » (٤٩٦/١) مجهول الحال . ه أن يصحح حديثه .
والحديث في قسم الضعيف من « الجامع الصغير » (٦٤٤١) وراح « الترعیب » (٢٠٧/٤) .

(٢١) باب ذكر ما يتكلم من الإنس أول وما جاء في شهادة جوارح ابن آدم عليه يوم القيامة

٣٥٨- ذكر أبو بكر بن أبي شيبة من حديث معاوية بن حيدة القشيري أن النبي ﷺ - قال : « تجميعون يوم القيامة وعلى أفواهكم الكلام فأول ما يتكلم من الإنسان فخذ وكفه » (٣٠٩) .

٣٥٩- وذكر مسلم من حديث أبي هريرة قال : « قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة ؟ قالوا : لا . قال : فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة ؟ قالوا : لا . قال : فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما . قال فيلقى العبد فيقول [أَيْ قُلْ] ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأزرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى . فيقول : أفظننت أنك ملاق ؟ فيقول : لا . فيقول : وإني أنساك كما نسيتني . ثم يلقى الثاني فيقول [أَيْ قُلْ] ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأزرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى أي رب . فيقول : أفظننت أنك ملاق ؟ قال فيقول : لا يارب فيقول : فإني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك . فيقول : يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقته ويشنى بخير ما استطاع

(٣٠٩) • صحيح • أخرجه أحمد (٣/٥) والحاكم (٤٣٩/٢-٤٤٠) وأبو بكر بن أبي داود في « البعث . . » (ص ٣٩ - برقم « ٢٥ ») والسنائي (٤/٥ - ٨٢، ٨٣) والطبري (٦٩/٢٤) وأحمد (٥/٥) وابن المبارك في « الرهد » (٩٨٧) وعبد الرزاق (١٣٠/١١ ، ١٣١) وابن عبد البر في « الاستيعاب » (٣٢٣/١) وقال الهيثمي في المجمع (٣٥١/١٠) : رواه أحمد ورجاله ثقات « هـ.١ » .

فيقال ها هنا إذا قال ثم يقال : الآن نبعث شاهداً عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد على فيختم على فيه ويقال : يا فخذ انطق ففخذ ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي [يَسْخَطُ الله] (٣١٠) عليه .

٣٦٠- وذكر مسلم من حديث أنس بن مالك قال : « كنا عند رسول الله ﷺ - فضحك فقال : هل تدرون مم أضحك قال قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : من مخاطبة العبد ربه يقول : يارب ألم تجرني من الظلم ؟ قال يقول : بلى قال فيقول : فإني لا أجزئ على نفسي إلا شاهداً مني . قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً . قال : فيختم على فيه ويقال لأركانه : انطقي . قال فتتطق بأعماله قال ثم يخل بينه وبين الكلام قال فيقول : بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل » (٣١١) .

٣٦١- وذكر أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني لأعلم آخر رجل من أمتي يجوز الصراط رجل يتلوى على الصراط كالغلام حين يضربه أبوه تزل يده مرة فتصيبها النار وتزل رجله مرة [أخرى] فتصيبها النار . قال فتقول له الملائكة : أرأيت أن بعثك الله من مقامك هذا فمشيت سوياً [أتخبرنا] بكل عمل عملته ؟ قال فيقول إى وعزته [لا] أكتمنكم من عملي شيئاً قال فيقولون له [قم] فامش سوياً [قال] فيقوم [فيمشى] حتى يجاوز الصراط فيقولون له أخبرنا بأعمالك التي عملت . فيقول في نفسه إن أخبرتهم بما عملت ردوني إلى مكاني قال فيقول لا وعزته ما أذنبت ذنباً قط قال فيقولون : إن عليك بينه

(٣١٠) * صحيح * أخرجه مسلم (١٠٣/١٨ ، ١٠٤) والترمذي (٢٤٢٨) ومسلم (٢٩٦٨) وأحمد (٤٩٨/٢) وعمرهم وقد تقدمت الإشارة إليه - و (قوله) « أئى قل » - هو ترحيم على خلاف القياس ، وقيل : هي لغة معى : فلا ، حكاه القاصي « ا.هـ من شرح الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم ، وما بين المعكفات استكملناه من رواية مسلم وكان الناس قد بيص له . والله تعالى أعلم .

(٣١١) * صحيح * أخرجه مسلم (١٠٤/١٨ ، ١٠٥) ، وقد تحرفت لفظه « أحيز » إلى « أجز » بجم وراء مهملة بينهما ناء موحدة ، والتصويب من رواية مسلم .

قال فيلتفت يمينا وشمالا هل يرى من الآدميين ممن كان يشهد في الدنيا فلا يرى أحدا فيقول : هاتوا [بُرْهَانُكُمْ] فيختم الله على فيه وتنطق يده ورجلاه وفتحاه بعمله فيقول : إى وعزتك لقد عملتها وإن عندى [لَعَطَائِمُ] الْمُؤَبَّاتِ [قال فيقول الله . اذهب [فقد] غفرتها لك « (٣١٢) .

(٣١٢) * حسن* وهو في « المطالب العالية » (٣٦٧/٤ ، ٣٦٨) وعراه لأبى بكر بن أبى شية وقال الأعظمى .
قال البوصمرى . رواه ابن أبى شية بإسناد حسن « ١ هـ

(٢٢) باب ذكر الصراط ودرجات الناس في المرور عليه

٣٦٢- ذكر أبو بكر بن أبي شيبة من حديث عائشة قالت : « قلت يا رسول الله أتذكرون أهاليكم يوم القيامة ؟ قال : أما عند ثلاث فلا ؛ عند الكتاب وعند الميزان وعند الصراط » (٣١٣) .

٣٦٣- وذكر مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة قالا : قال رسول الله - ﷺ - « يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى ترتلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة . فيقول لهم : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ؟ لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله . قال فيقول إبراهيم عليه السلام : لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً . فيأتون موسى عليه السلام فيقول : لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه . فيقول عيسى : لست بصاحب ذلك . قال : فيأتون محمداً - ﷺ - فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق . قال قلت : بأبي أنت وأمي أى شيء كمر البرق قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونييكم - ﷺ - قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة

(٣١٣) * حسن إن شاء الله * أخرجه أبو داود في « سته » (٢٤٠/٤ ، ٢٤١) وأحمد (١١٠/٦) من وحوه عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - .

مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار والذي نفس
أبى هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً» (٣١٤) .

٣٦٤- وعن أبى سعيد الخدري عن النبي - ﷺ - وذكر الصراط ومرور الناس
عليه - قال : فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالطير وكأجاويد
الخيول والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار
جهنم» (٣١٥) .

٣٦٥- وعن أبى هريرة عن النبي - ﷺ - وذكر حديث الشفاعة - قال :
« ويضرب الصراط بين ظهراي جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، ولا
يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم وفي جهنم
كلاليب مثل شوك السعدان . هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول
الله . قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله
تخطف الناس بأعمالهم فمنهم [المؤمن بقى] بعمله ومنهم المجازي حتى
ينجى » وذكر الحديث (٣١٦) .

قد سمعت - رحمك الله - بهذا الطريق الحرج والمسلك الشاق والقنطرة
المضطربة التي لا تثبت فيها الأقدام ولا تجوزها الأوهام إلا قدم ثبتت في التقوى ووهم
جاري في الملكوت الأعلى ، لعلك تظن أن هذا الطريق من طرق الدنيا الصعبة وسبلها
الوعرة بل هو أحد من السيف أدق من الشعرة ، فما ظنك بك وقد حملت عليه
وكلفت المرور به ومهواه جهنم تحتك وقد ملأ زفيرها أذنك ومنظرها الهائل قلبك
فرعبك ، وأردت المرور فلم تقدر والنهوض فلم تستطع ، واضطرب بك إضطراباً
والتهب ذاك السعير تحتك ولم تجد إلى النجاة سبيلاً ولا إلى الخلاص باباً ، ولا نهض

(٣١٤) * صحيح * - وهو في صحيح مسلم (٧٠/٣ ، ٧١ - نووي) .

(٣١٥) * صحيح * وهذه قطعة من حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه مسلم (٢٥/٣ - ٣٠ - نووي)
وعنه عن أبى سعيد

(٣١٦) حديث أبى هريرة في الشفاعة .. الحديث
- * صحيح * - أخرجه البخاري (٣٧١/٦ ، ١٩٥/١١ ، ١٩٦ - فتح) ومسلم (٢٥/١٧/٣)
وعال أصحاب الكتب رحمهم الله

بك إلا سعيك الذى سعيت ولا جرى بك إلا عملك الذى عملت ومركوبك الذى
فى الدنيا ركبت ، فلتختر الآن أى المراكب تركبها وأى الأبواب تدخلها وأى الطرق
تأخذ فيها وتسلكها ، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .
وأنشدوا :

أَجْنِبْ جِياداً من التقوى مضمرة للسبق يوم يفوز الناس بالسبق .
تمرُّ مرَّ الرياحِ الهوج عاصفةً أو لحةَ البرقِ إذ يجتاز بالأفقي .
واركض إلى الغاية القصوى وخل لها عنان صدق رمى فى القينة
الصدق .

فإن خلفك أعمالاً مشبطة ولست تنهض إلا ويك بالعشق .
كم حل عزمك من دنيا معرجة نقصدك اليوم عن مسلوكة الطرق .
وبان من بان لا حزن ولا فرق وحلفوك حليف الحزن والفرق .
يا غافلاً والمنايا منه فى ذكرٍ وضاحكا والردى عليه فى حُنى .
قطعت عمرك فى سهو وفى سينةٍ ومن ورائك ليلٌ دائمٌ الأرق .
ورُبُّ رأى تراه اليوم من سفهِ عقلًا تراه فى غاية الحذق .

٣٦٦- وذكر الترمذى من حديث المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله
ﷺ - : « شعار المؤمنين على الصراط : سلم سلم » (٣١٧) وذكره
الحارث بن أبى أسامة من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - .
وبات للدود فيه طعاماً وللهمام العطاش شفا .
وليته لم يكن رهينا بكل ما قدمها وأهفا .

ولعلك قد كنت فى الدنيا ممن يشكو بتبديل المنازل وإن كانت حسناً ويكثر
فيها [متعاً] وافتناناً ولا ترى لربك عز وجل عليك فيها تفضيلاً ولا امتناناً ، فانظر
الآن كم بين المنزلين وكم قدر ما بين الوحشتين إلا أن يدركك فيض الرحمة وتعشاك
روائح المنة فتتسع من القبر أقطاره وتمتد أنواره ويكثر مؤنسوه وزواره .

(٣١٧) * - ضعيف - أخرجه الترمذى فى جامعه (٢٥٤٩ - تحفة) وهو فى « صعيص الجامع » (٣٤٠٠)
وقال الإمام الهيثمى (٣٦٢/١٠) : « رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه من وثق على ضعفه ،
وعبدوس بن محمد لم أعرفه » ١ هـ .

وأنشدوا :

من كان يوحشه تبديل منزله وإن تبدل منه منزلاً حسناً .
ماذا يقول إذا أمسى بمخبرته فرداً وقد فارق الأهلين والسكنا ؟
أم ما يقول إذا ضمت جوانبها عليه واجتمعت من ها هنا وهنا ؟
هناك يعلم قدر الوحشتين وما يلقاه من فات باللذات تنها .
يا غفلتنا ورماح الموت شارعة والسيف ألقى برأسى نحوه .
ولم أعد مكاناً للنزول ولا أعددت زاداً ولكن عزة ومنا .
إن لم يجد من يوالى جوده ويعف من عفوه من طالبيه دنا .
فيا إلهي . الجود وأكفه سحاء تمطرنا الأفضال والمننا .
أيسر هنالك يا رحمن وحشتنا والطف لنا وترفق عند ذاك بنا .
نحن العصاة وأنت أنت ملجأنا وأنت مقصدنا وأنت مطلبنا .
فكن لنا عند باهاها وشدتها أولاً فمن ذا الذي بها يكون لنا .

وكان عثمان بن عفان إذا وقف على قبر [بكى] حتى يبل لحيته فقليل له :
تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكي من هذا ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ -
يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه
وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » وسمعت رسول الله ﷺ - يقول : « ما رأيت
منظراً قط إلا والقبر أفظع » (٣١٨) ذكره الترمذى .

٣٦٧- وذكر الترمذى أيضاً من حديث أبى سعيد الخدرى قال : « دخل رسول الله
ﷺ - مصلاة فرأى ناساً كأنهم يكتشرون قال : أما إنكم لو أكثرتم
ذكر هادم اللذات [الموت] لشغلكم عما أرى فأكثرُوا ذكر هادم اللذات
الموت فإنه لم [يأت] على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة وأنا
بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود فإذا دُفن العبد المؤمن قال له
القبر : مرحباً وأهلاً أما إن كنت أحب من يمشى على ظهرى إالىّ فاذا وليتكَ

(٣١٨) * صحيح إن شاء الله * وهو فى « جامع الترمذى » (٢٤١٠ - تحفة) و « مستدرک » الحاكم
(٣٢٩/٤ ، ٣٣١)

اليوم وصرت إلى فستري صيغى بك . قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة ، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر : لا مرحباً ولا أهلاً أما إن كنت لأبغض من ممشى على ظهري إلى فاذا وليتلك اليوم وصرت إلى فستري صيغى بك . قال [فَيَلْتَمِمْ] عليه حتى يلتقي عليه وتختلف أضلاعه . قال : قال رسول الله - ﷺ - بأصابعه فأدخل بعضها في بعض . قال : وَيَقْيِضُ له سبعون تيناً لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا [فينهشنه] [ويخدشنه] حتى يُفْضَى به الحساب ، قال قال رسول الله - ﷺ - : إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » (٣١٩) .

٣٦٨- وروى أبو الحجاج الثمالى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يقول القبر للميت إذا وضع فيه : ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي إذ كنت تمر بي فداداً قال فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟ قال فيقول القبر : إني إذا أعود عليه خضراً ويعود جسده نوراً وتصعد روحه إلى رب العالمين » (٣٢٠) ذكر هذا الحديث أبو أحمد الحاكم في كتاب الكنى وذكره أيضاً قاسم بن أصبغ ، قيل لأنى الحجاج ما الفداد ؟ قال : الذى يقدم رجلاً ويؤخر أخرى يعنى الذى يمشى مشية المتبخر .

وقال مجاهد : « أول ما يكلم ابن آدم حفرة تقول : أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الوحشة وبيت الظلمة وبيت الغربة هذا ما أعددت لك يا ابن آدم فماذا أعددت لى ؟ » .

(٣١٩) « ضعيف » وقد أخرجه الترمذى - كما أشار المصنف - (١٥٧/٧ - ١٦٠ - تحفة) ، وفى إسناده ثلاثة ضعفاء وأورده المنذرى فى « الترغيب » (١٢٩/٤) وقال . رواه الترمذى واللعط له ، والمهقى [ولم يُعَيَّن] - وقوله . « ويكتشرون » أى يصحكون وفى القاموس « كثر عن أسانه . أبهى ، يكون فى الضحك وعمره » .

(٣٢٠) « ضعيف » قال الإمام الهيثمى (٤٨/٣) . رواه أبو يعلى والطبرانى فى الكمر وفيه أبو بكر بن أبى مریم وفيه ضعف لاحتلاطه . ا.هـ

وقال أبو ذر : « ألا أخرجكم بيوم فقرى ؟ يوم أدخل قبرى » .
 وقال بعض الحكماء : أربعة أنجى لأربع الموت نحو الحياة ... (٣٢١) أسامة
 المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسى بيده ما طرفت عيني
 إلا ظننت أن شفى لا يلتقيان حتى يقبض روحى ولا طعمت لقمة إلا ظننت
 أنى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال : يا بنى آدم إن كنتم تعقلون
 فعدو أنفسكم من الموتى فوالذى نفسى بيده إن ما توعدون لآت وما أنتم
 بمعجزين » .

٣٦٩- وعن ابن عباس أنه قال : « كان رسول الله - ﷺ - يهريق الماء فيتميم
 بالتراب فأقول يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول ما تدري لعل لا
 أبلغه » (٣٢٢) ذكره الحارث بن أبى أسامة فى مسنده .
 ٣٧٠- ويروى عنه عليه السلام أنه قال : « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد
 ويهلك آخرها بالبخل والأمل » (٣٢٣) .
 ٣٧١- وخطب على - رضى الله عنه - فقال : « ألا وإن الدنيا قد أدبرت بوداع
 والآخرة قد أقبلت وأذنت باطلاع ألا وإن المضمار اليوم والسباق غداً ألا
 وإن السبقة الجنة والغاية النار ألا وإنكم فى أيام مهل من ورائه أجل يحته
 عجل فمن عمل فى أيام مهله قبل حضور أجله سره أمله وساءه
 عمله » (٣٢٤) .

(٣٢١) « سقط أذى إلى ما ترى من عدم وجود مدخل للكلام أو استهلال له فجاء متوراً هكذا (أ) فالله
 تعالى المستعان .

(٣٢٢) « ضعيف » قال الرين العراقى فى « تخرىج الإحياء » (١١١/٦) [رواه] اس المارك فى « الزهد » واس
 أبى الدنيا فى « قصر الأمل » والرار سند ضعيف « أ.هـ .

(٣٢٣) « حسن » وهو فى « الفردوس » (٦٨٥٣) و « فيض القدير » (٩٢٥٦) وفى « الترغيب » (٢٤١/٤)
 رواه اس أبى الدنيا والأصبهانى ، كلاهما من طريق اس لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وانظر
 « الإحياء » (٤٣٨/٤) - الاتحاف (٢٣٩/١٠) .

(٣٢٤) - خطبة الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - راجع لهما الجامع لخطبه « نهج
 البلاعة » .

٣٧٢- وقال علي - رضى الله عنه - : « ألا إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا وإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل ألا وإن أشد ما أخاف عليكم خصلتان طول الأمل واتباع الهوى أما طول الأمل فإنه ينسى الآخرة واتباع الهوى فإنه يصد عن سبيل الله » .

٣٧٣- وقال سلمان الفارسي - رضى الله عنه - : « ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى أما الأول : فمؤمل دنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط عليه رب العالمين أم راض عنه ، وأما الثلاث اللاتي أحزنتنى حتى أبكتنى : ففراق محمد ﷺ - وفراق الأحبة أصحابه والوقوف بين يدي الله عز وجل ولا أدرى أيؤمر بى إلى الجنة أم إلى النار » .

٣٧٤- وقال أبو زكريا التيمي : « بينا هشام بن عبد الملك فى المسجد الحرام إذ أتى بحجر مكتوب باللسان العجمي فطلب من يقرأه فأتى بوهب بن منبه رحمه الله فقرأه فإذا فيه : ابن آدم لو رأيت قرب ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وإنما يلقاك ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك ففارقك الولد والقريب ورفضك الوالد والشيب فلا أنت لندائك عابد ولا فى حسناك زائد ، فاعمل ليوم القيامة يوم الحسرة والندامة » .

٣٧٥- وقال الحسن « كان آدم عليه السلام قبل أن يخطيء الخطيئة أمله خلف ظهره والموت نصب عينيه فلما أصاب الخطيئة تحول أمله فصار بين عينيه وصار أجله خلف ظهره » .

٣٧٦- وقال الحسن « ما أطال عبد الأمل إلا نسى العمل » .

٣٧٧- ويروى عن أبى الدرداء « أنه قام على درج مسجد دمشق فقال : يا أهل دمشق ألا تسمعون من أخ لكم ناصح إن من قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويننون مشيداً ويأملون بعيداً فأصبح جمعهم بوراً وبنياهم قبوراً وأملهم غروراً هذه عادة ملأت البلاد أهلاً ومالاً وخيلاً ورجالاً فمن يشتري اليوم منى تركتهم بدرهمين !؟ » .

وقيل لبعض الزهاد بالبصرة « ألك حاجة ببغداد ؟ فقال : ما أحب أن أبسط أملى حتى تمضى إلى بغداد وتجيء » .
 وقال بعض الحكماء : « الأمل كالسراب غرّ مَنْ رآه وخاب من رجاه » .
 وخطب عمر بن عبد العزيز يوماً فقال : « ألا إن لكل سفر زاداً فتزودوا التقوى لسفركم من الدنيا إلى الآخرة وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم وأنه والله ما بسط أمل من لا يدرى لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وبين ذلك خطفات المنايا وهجمات المنون وإنما تَقَرُّ عينٌ من وثق بالنجاة من عذاب الله وإنما يفرح من أمن أهوال يوم القيامة وأما من لا يداوى جرحاً إلا أصابه جراح من ناحية أخرى كيف يفرح !؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر غياوتى إنكم قد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت أو الجبال لذابت أو الأرض لتشققت أما تعلمون النقع عندى فى هذا الحديث إلا الصوت الشديد واللققة رفع الصوت » .
 وأما حديث النبى - ﷺ - فى هذا الباب فى إباحة البكاء من غير نياحة ولا صارخ فصحيح مشهور .

٣٧٨- وذكر مسلم بن الحجاج عن أسامة بن زيد قال : « كنا عند النبى - ﷺ - فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتجبره أن صبيهاً لها أو ابناً لها فى الموت . فقال للرسول : ارجع إليها فأخبرها أن الله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب . فعاد الرسول فقال : قد أقسمت لتأتينها . قال فقام النبى - ﷺ - وقام معه سعد بن عباد ومعاذ ابن جبل وانطلقت معهم فرفع إليه الصبي ونفسه تققع كأنها فى [شنة] ففاضت عيناه فقال له سعد ما هذا يا رسول الله قال هذه [رحمة] جعلها الله فى قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » (٣٢٥) .

(٣٢٥) . صحيح . أخرجه البخارى (١٥١/٣ - فتح) ومسلم (٢٢٤/٦ - بووى) وأبو داود (١٩٣/٣) وأحمد (٢٠٤/٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧) والبيهقى (٦٥/٤ ، ٦٨ ، ٦٩) وغيرهم

٣٧٩- وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ولد لي الليلة غلام فسميته إبراهيم » فذكر الحديث - وفيه : « فدعا النبي - ﷺ - بالصبي فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول » قال أنس لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله - ﷺ - فقال : « تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى ربنا والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون » (٣٢٦) قوله يكيد بنفسه يعني يموت .

٣٨٠- وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : « اشتكى سعد بن عباد شكاوى له فأتى رسول الله - ﷺ - يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود فلما دخل عليه وجده في غشية فقال [أَقْدُ] قضى ؟ فقالوا : لا يا رسول الله . قال : [فَبَكَى] رسول الله - ﷺ - فلما رأى القوم بكاء رسول الله - ﷺ - بكوا فقال : ألا تسمعون أن الله عز وجل لا يعذب بدمع العين ولا يحزن القلب ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم » (٣٢٧) .

٣٨١- وذكر أبو عبد الرحمن النسائي من حديث أبي هريرة قال : « مات ميت من آل رسول الله - ﷺ - فاجتمع النساء يبكين عليه فقام عمر ينهالن [وَيَطْرُدُهُنَّ] فقال رسول الله - ﷺ - : دعهن يا عمر فإن العين دامة [وَالْقَلْبُ] مصاب والعهد قريب » (٣٢٨) .

وعن جابر بن عبد الله قال : « قتل أبي يوم أحد فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي وجعل الناس ينهوني ورسول الله - ﷺ - لا ينهاني وجعلت

(٣٢٦) * صحيح * أخرجه البخارى (١٧٣/٣ - فتح) .

(٣٢٧) هو * - صحيح * أخرجه البخارى (١٧٥/٣ - فتح) ومسلم (٢٢٦/٦) وما بين المعجمات من رواية مسلم

(٣٢٨) * ضعيف * أخرجه النسائي (١٩/٤ - سيوطي) وابن حبان (٦٣/٥) وفيه سلمه بن الأرقم ، قال الذهبي في « الميزان » (١٨٨/٢) « لا يعرف حديثه . » وذكر هذا الحديث وقال وهذا الرجل لم يذكره ابن أبي حاتم .هـ.

عمتي تبكيه فقال رسول الله - ﷺ - تبكيه أو لا تبكيه مازالت الملائكة تطله بأجنحتها حتى رفعتموه » وقد ذكر مسلم أيضاً هذا الحديث (٣٢٩) .

٣٨٢- ويروى عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « لما مات عثمان بن مظعون كشف النبي - ﷺ - الثوب عن وجهه وقبل بين عينيه وبكا بكاء طويلاً فلما رفع على السرير قال : طوى لك يا عثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها » (٣٣٠) وبكاء النبي - ﷺ - على عثمان بن مظعون مشهور ذكره أبو داود وغيره وذكره الحاكم في الكنى وقال فيه : « فبكى القوم لما بكى النبي - ﷺ - فقال النبي - ﷺ - : « إنما هذا من الشيطان استغفر الله اذهب أبا السائب فقد خرجت منها ولم [تلبس] (٣٣١) منها بشيء » .

وقوله عليه السلام : « إنما هذا من الشيطان » والله يعلم أن بكاء القوم كثر حتى صار إلى حد مكروه عنده - ﷺ - وقد يُكره الاستكثار من الشيء المباح حتى يقال لصاحبه فعلك هذا ما هو بصواب وهذا من الشيطان لأن الشيء المكروه يقال فيه هذا من الشيطان .

وقد ذكر عند النبي - ﷺ - رجل نام ليلة حتى أصبح فقال : « ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه » وإنما نام هذا عن صلاة الليل ونوم الليل كله مباح لكن لما أكثر هذا منه وضع حظه من صلاة الليل ضرب له المثل بوقوع البول المفسد الضار في أذنه كقول الراجز : « بال سهيل في الفضيخ ففسد » وليس لسهيل بول إنما هو نجم يطلع فيفسد الفضيخ بعده ، كذا فسر الخطابي قال : وإن أراد عليه السلام عفن البول فلا ينكر أن كانت له هذه الصفة ، وهذا الحديث ذكره مسلم والبخاري والنسائي وغيرهم في صلاة الليل .

وكذلك أيضاً المنظر الكريه يقال فيه هذا شيطان وكأنه وجه شيطان ، وكذا فسر قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا شَجَرَةُ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ ﴾

(٣٢٩) * صحيح * أخرجه البخاري (١١٤/٣ ، ١٦٣ - فتح) ومسلم والنسائي (١٢٠/٤) وغيرهم .

(٣٣٠) * صحيح * أخرجه الإمام مالك في « الموطأ » (٩١/٢ - ررقاني) .

(٣٣١) * تلبس (غير واضحة بالأصل - وهي تتلصص ومعناها لم تلبس من الدنيا شيء كثير ، وفيه مدح الزهد وذم الاستكثار .

الشياطين ﴿ [الصَّافَّات / ٦٤ ، ٦٥] قيل : شبهها برؤوس الشياطين لكرهية هذا الاسم عندهم ولأنهم ينسبون كل شيء مكروه إلى الشيطان .

وأما أن يكون البكاء كله من الشيطان فلا . فقد قال - ﷺ - : « إن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله . قالت : وهل ، إنما قال رسول الله - ﷺ - : إنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه وإن أهله ليبكون عليه الآن » (٣٣٢) .

٣٨٣- وعن عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة رحمها الله - وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول : إن الميت ليعذب ببكاء الحي - فقالت عائشة : « يغفر الله لأبي عبد الرحمن ، أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ ، إنما مرَّ رسول الله - ﷺ - على يهودية يبكي عليها [أهلها] فقال : إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها » (٣٣٣) قد صح حديث عمر وابن عمر - رضی الله عنهما - في تعذيب الميت ببكاء الحي من حديثهما ومن حديث المغيرة بن شعبة .

٣٨٤- ذكر مسلم بن الحجاج عن المغيرة بن شعبة قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « من » [نِيحَ] عليه فإنه يعذب بما نِيحَ عليه يوم القيامة » (٣٣٤) .

وعائشة - رضی الله عنها - إنما حدثت بما سمعت وأنكرت ما لم تسمع . وقال بعض العلماء أو أكثرهم : إنما يعذب الميت ببكاء الحي إذا كان البكاء من سنة الميت واختياره أو يكون قد وصى به . وقد روى ما يدل على أن الميت يصيبه عذاب ما يبكاء الحي وإن لم يكن من سنته ولا من [اختياره] ولا مما أوصى به .

٣٨٥- ذكر ابن أبي خيثمة من حديث قيلة بنت [مغرمة التيمية] وذكرت عند رسول الله - ﷺ - ولداً لها مات ثم بكى فقال رسول الله - ﷺ - : «

(٣٣٢) * صحيح * أخرجه مسلم في « صحيحه » (١٣٤/٦ - نووى) وهو في « الموطأ » (٢٣٤/١) - عبد الباقي) وغيرهم .

(٣٣٣) * صحيح * أخرجه مالك والشيخان وغيرهم ، وما بين المعكفات من « الموطأ » .
(٣٣٤) * صحيح * أخرجه الشيخان ، البخاري (١٦١/٣ - فتح) ومسلم (٢٣٥/٦ - نووى) وأحمد (٢٤٥/٤ - ٢٥٢ ، ٢٥٥) والبيهقي (٧٢/٤) وغيرهم .

أَيُغْلِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَصَاحِبَ صَوِيحْبَهُ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا [فَإِذَا حَالَ بَيْنَهُ] وَبَيْنَهُ
 مِنْهُ هُوَ أَوْلَى بِهِ مِنْهُ اسْتَرْجِعْ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ [أَنْسِنِي مَا أَمْضَيْتَ وَأَعِنِّي]
 عَلَى مَا أَبْقَيْتَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ أَنْ أَحَدَكُمْ لِيَكِي [فَيَسْتَعِذُّ إِلَيْهِ]
 صَوِيحْبُهُ فَيَاْعْبَادَ اللَّهِ لَا تَعَذَّبُوا إِخْوَانَكُمْ « (٣٣٥) » وَذَكَرَهُ [الطَّبْرَانِيُّ] أَيْضًا
 وَهُوَ حَدِيثٌ مَعْرُوفٌ وَإِسْنَادُهُ لَا بَأْسَ بِهِ وَمَسَاقٍ [ذَلِكَ] أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ
 اخْتِيَارِ ابْنِهَا لِأَنَّ ابْنَهَا صَاحِبٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَلَا كَانَ
 هَذَا الْبُكَاءُ الْمَعْرُوفُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الَّذِي كَانَ [يَنْهَى عَنْهُ] .

٣٨٦- وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ [بْنِ بَشِيرٍ] [قَالَ أُغْمِيَ] عَلَى عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنِ رَوَاحَةَ فَجَعَلَتْ أُمُّهُ [عَمْرَةَ] تَبْكِي : وَاجْبِلَاهُ وَاكْذَا وَاكْذَا [تُعَدُّدُ
 عَلَيْهِ] فَقَالَ حِينَ أَفَاقَ : مَا قُلْتَ شَيْئًا إِلَّا قِيلَ لِي أَنْتَ كَذَلِكَ ؟ قَالَ : فَلَمَّا
 مَاتَ لَمْ تَبْكُ عَلَيْهِ « (٣٣٦) » وَهَذَا أَيْضًا لَمْ يَكُنْ مِنْ سُنَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ وَلَا
 مِنْ اخْتِيَارِهِ وَلَا مِمَّا رَضِيَ بِهِ . [بَلْ] مَنْصِبُهُ فِي الدِّينِ أَجْلٌ وَأَرْفَعُ مِنْ أَنْ يَأْمُرَ
 بِهَذَا أَوْ يُوصَى بِهِ .

[وَتَعَذِّبُ الْمَيِّتَ] بِبُكَاءِ الْحَيِّ إِذَا قَالَتْ النَّائِحَةُ وَأَعْضَدَاهُ وَأَنَاصَرَاهُ وَكَاسَبَاهُ
 جُنْدَ الْمَيِّتِ وَقِيلَ لَهُ : أَنْتَ عَضْدُهَا ؟ أَنْتَ كَاسِبُهَا ؟ ذَكَرَهُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ
 عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِذْكَارِ .

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْبُكَاءَ عِنْدَ الْغَرْبِ يَكُونُ الْبُكَاءُ الْمَعْرُوفُ ، وَيَكُونُ النَّيَاحَةُ وَقَدْ
 يَكُونُ مَعَهَا الصِّيَاحُ وَضَرْبُ الْخُدُودِ وَشَقُّ الْجُيُوبِ وَلَا أَعْلَمُ خِلَافًا أَنَّ هَذَا
 كُلَّهُ حَرَامٌ وَقَدْ وَرَدَ الْوَعِيدُ عَلَى هَذَا كُلِّهِ .

(٣٣٥) - خَيْرُ قَلِيلَةٍ نَتَّ مَخْرَمَةَ التَّيْمِيَّةِ ..

« حَسَنٌ » حَسَنَةُ الْخَافِطِ فِي « الْمَنْحِ » عِنْدَ كَلَامِهِ عَلَى حَدِيثٍ . « إِنَّ الْمَيِّتَ يَعْذَبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ » مِنْ
 كِتَابِ « الْحَاثِرِ » ، وَذَكَرَهُ فِي « الْإِصَابَةِ » (١٧٢/٨ ، ١٧٣) وَذَكَرَ أَنَّ الطَّبْرَانِيَّ أَخْرَجَهُ مَطُولًا ،
 وَالْبُخَارِيُّ - طَرَفًا مِنْهُ - فِي « الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ » وَأَيْضًا أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَمَا بَيْنَ الْمَعْكُفَاتِ مِنْ
 « الْإِصَابَةِ »

(٣٣٦) « صَحِيحٌ » أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي « الْحَاثِرِ » مِنْ صَحِيحِهِ (١٦٥/٥٣) وَابْنُ أَبِي عَرَبٍ (٦٤/٤) مِنْ طَرِيقِ
 الْإِسْمَاعِيلِيِّ وَمَا بَيْنَ الْمَعْكُفَاتِ مِنْ رِوَايَةِ الصَّحِيحِ .

٣٨٧- ذكر مسلم بن الحجاج رحمه الله من حديث أبي بردة بن أبي موسى قال :
« وجع أبو موسى وجعاً فغشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فصاحت
امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً فلما أفاق قال : أنا برىء ممن
برىء منه رسول الله - ﷺ - فإن رسول الله - ﷺ - برىء من الصالحة
والخالقة والشاقة » (٣٣٧) .

٣٨٨- وفي لفظ آخر عن عبد الرحمن بن يزيد وأبي بردة قالا : « أغمى على أبي
موسى وأقبلت امرأته أم عبد الله تصيح يرثه قالا : ثم أفاق فقال : ألم تعلمي
وكان يحدثها أن رسول الله - ﷺ - قال : أنا برىء ممن حلق وسيق
وحرق » (٣٣٨) .

الصالحة هي التي ترفع صوتها بالعويل عند المصيبة والخالقة هي التي تحلق
شعرها والشاقة هي التي تشق ثوبها كل ذلك عند المصيبة .
٣٨٩- وذكر مسلم أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله
- ﷺ - : « ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب أو دعا بدعاء
الجاهلية » (٣٣٩) .

وعن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « [اثنان في] الناس [وهما
يُهم] كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت » (٣٤٠) .

(٣٣٧) * صحيح * أخرجه البخاري (١٦٥/٣ - فتح) ومسلم والمهقي (٦٢/٤) والسنائي (٢٠/٤ - سيوطي)
وغيرهم

(٣٣٨) * صحيح * وأشرنا إليه في الذي قبله ، وزيد هما أن ابن حبان أخرجه (٦١/٥) - • - والصالقة
والصالقة • هي رافعة صوتها عند المصيبة ، من قول ربا تبارك اسمه ﴿ سلقوكم بالنساء جدار ﴾
• - والخالقة : هي التي تحلق شعرها عند المصيبة والعياذ بالله تعالى
• - والشارقة • هي التي تخرق ثوبها حرصاً على الميت ، برأ إلى الله من كل ذلك

(٣٣٩) * صحيح * - أخرجه البخاري (١٦٦/٣ - فتح) ومسلم والمهقي (٦٣/٤) وابن الجارود في « المنتقى »
برقم (٢٥٧)

(٣٤٠) * صحيح * رواه ابن حبان في « صحيحه » (٦٤/٥) والمهقي في « السنن الكبرى » (٦٣/٤) -
وغيرهم . والله تعالى أعلم

٣٩٠- وعن [أبى] مالك الأشعرى أن النبى - ﷺ - قال : « أربع فى [أمتى] لا يتركونهن : الفخر فى الأحساب ، والطعن فى الأنساب ، [والاستسقاء بالنجوم] والنياحة . وقال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة [وعليها سربال] من قطران ودرع من جَرَبٍ » وأما البكاء من غير نياحة وقد قال عمر بن الخطاب : « دعهن يبكين على أبى سليمان ما لم [يَكُنْ نَقْعٌ أَوْ لَفْلَقَةٌ] » (٣٤٢) والنقع ارتفاع الصوت واللققة تتابع ذلك .
وقال أبو عبد [بيد] (٣٤٣) قال بعضهم يريد عمر بالنقع وضع التراب على الرأس .

قال أبو عبيد و [لا يكره] الموت لذات ، ولا لأنه هادم لذاته ، لكن يخاف أن يقطعه عن الاستعداد ليوم المعاد ، والاكتساب ليوم الحساب ، ويكره أن تطوى صحيفة عمله ، قبل بلوغ أمله وأن يبادر بأجله قبل بلوغ إصلاح خلله ، وتدارك زلله ، فهو يريد البقاء فى هذه الدار لقضاء هذه الأوطار ، والإقامة بهذه المحلة ، بسبب هذه العلة ، كما روى عن بعض الصالحين وقد بكى عند الموت فقبل له وما يبكى فقال والله ما أبكى لفراق هذه الدار ، حرصاً على غرس الأشجار ، وإجراء الأنهار ، لكن على ما يفوتنى من الادخار ، ليوم الافتقار ، والاكتساب ليوم المآب ، قال هذا أو معناه وقال القائل :

أهون بداركم وأهلها وأضرب بها الصفحات من مُحِبِّها .
الله يعلم أنى لست وامقها ولا أريد بقاء ساعة فيها .

(٣٤١) « صحيح » أخرجه مسلم (٢٣٥/٦ - نووى) واس حنا فى « صحيحه » (٥٧/٥ و ٥٨) والبيهقى (٦٣/٤) .

(٣٤٢) و « أبو عبيد » ذاك الجمل ، ما كان ليحمى على الناس حتى يتهوؤ فى كثرة اسمه رحمه الله وطيب ثراه (١)

(٣٤٣) « صحيح » وهو فى « البحارى » (١٦٠/٣) معلقا قال الحافظ - رحمه الله - . « هذا الأثر وصله المصنف فى التاريخ الأوسط » هـ. (١)
قلت . التاريخ الأوسط أعز من عتقاء معرب (١) على أن الحافظ قد ذكر إساد الأثر فى « الفتح » وهو صحيح كما أسلمنا والله الحمد .

لكن تمرغت في أدناسها حقباً وبت أنشرها حباً وأطويها .
وكم تحملت فيها غير مكترث من شائحات ذنوبٍ لست أحصها .
فقلت أبقى لعل أن أهدم ما بنيت منها وأدنسى أتقيها .
ومن ورأى عقاب لست أقطعها حتى أخفف أحمالي وألقها .
يا ويلتا وبحار العفو زاخرة إن لم تصبني يرش في تنننها .
وهذا إذا مات في الله دره من ميت ما أفضل حياته ، وأطيب مماته ، وأعظم
سعادته ، وأكرم وفادته ، وأتم سروره ، وأكمل حبه .

واعلم أن هذا لا يدخل تحت قوله عليه السلام : « من كره لقاء الله كره الله
لقاءه » (٣٤٤) لأن هذا لم يكره لقاء الله لذات اللقاء إنما كره أن يقدم على الله عز وجل
متدنساً بأوضاره ثقيل الظهر من أوزاره ملآن من عاره وشناره ، فإذا دان يتطيب
لللقاء ويستعد لفصل القضاء .

قال أبو سليمان الداراني قلت لأُم هارون العابدة : « أتجبن أن تموتى قالت :
لا قلت : ولم ؟ قالت : والله لو عصيت مخلوقاً لكرهت لقاءه ، فكيف بالخالق جل
جلاله ؟ » .

وقال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : « يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟
قال : لأنكم عمرتم دنياكم ، وخربتم أخراكم فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى
الخراب قال كيف القدوم على الله عز وجل ؟ قال : يا أمير المؤمنين أما المحسن
فكالفائب يأتي أهله فرحاً مسروراً ، وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتي مولاه خائفاً
محزوناً » .

وقال أبو بكر الكنانى : كان رجل يحاسب نفسه فحسب يوماً سيئه فوجدها
ستين سنة فحسب أيامها فوجدها أحداً وعشرين ألف يوماً وخمس مائة يوم فصرخ
صرخة خر مغشياً عليه فلما أفاق قال : يا ويلاه أنا آتى ربي بأحد وعشرين ألف ذنب
وخمس مائة ذنب ؟ يقول : هذا لو كان ذنب واحد لكل يوم فكيف بذنوب لا

(٣٤٤) قوله (قوله عليه السلام : من كره لقاء الله . الحديث هو صحيح ، وهو جزء من الحديث الآتى
بعده مباشرة .

تحصى !؟ ثم قال : آه علىّ عمرت دنيائى ، وحربت أخراى ، وعصيت مولائى ثم لا أشتى النقلة من العمران إلى الخراب ، بلا عمل ولا ثواب ، ثم أنشد :
 منازل دنيائك شيدتها وخربت دارك فى الآخرة .
 فأصبحت تكرهها للخراب وترغب فى دارك العامرة .
 ثم شهق شهقة عظيمة فحركوه فإذا هو ميت .

٣٩١- على أن هذا الحديث « من كره لقاء الله » قد جاء مفسراً ؛ قالت عائشة - رضى الله عنها - : قال رسول الله - ﷺ - : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فقلت : يا رسول الله أكرهية الموت ؟ فكلُّنا يكره الموت قال : ليس كذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه » (٣٤٥) ذكره مسلم بن الحجاج .

٣٩٢- وقال البخارى فى هذا الحديث : « ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا [حُضِرَ] بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه » (٣٤٦) .
 ورجل آخر وهو من القليل قليل قد عرف الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلى ، وشاهد ما شاهد هو من كمال الربوبية ، وجمال الحضرة الإلهية فملأت عينه وقلبه ، وأطاشت عقله ولبه وهو يحن إلى ذلك المشهد ، ويحوم على ذلك المورد ، ويستعجل إنجاز ذلك الموعد ، وقد علم أن الموت حجاب بينه

(٣٤٥) « صحيح » - أخرجه مسلم (٨/١٧ - بروى) ، والحديث أخرجه البخارى فى « صحيحه » وأحمد فى « مسنده » والترمذى والسنائى وابن ماجة فى سننهم وابن حبان فى « صحيحه » والنفوى فى « شرح السنة » والطيالسى . البخارى (٤٦٦/١٣) ومسلم (٢٦٨٥) وأحمد (٤١٨/٢ ، ٤٥١ ، ٣١٣ ، ٤٢٠) والإمام مالك فى « الموطأ » (٢٤٠/١) والسنائى (٩/٤ ، ١٠) وابن حبان (٣٥١/١) والنفوى فى « شرح السنة » (٢٦٢/٥) من طرق عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - .

(٣٤٦) « صحيح » وهو فى « البخارى » (٣٥٧/١١) من طريق همام حدثنا قتادة عن أس عن عباد بن الصامت عن السى - ﷺ - قال . فذكره

وبين محبوبه ، وستر مسدل بيه وبين مطلوبه ، وباب مغلق يمنعه من الوصول إلى مرغوبه ، فلو أصاب إلى هتك ذلك الحجاب هتكه ، ورفع ذلك الستر رفعه ، وكسر ذلك الباب حطمه وكسره ، فعذابه في الحياة ، وراحته في الممات .

٣٩٣- كما يروى أن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - لما نزل به الموت قال : « حبيب جاء على فاقة » وقد قيل : الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب . يروى عن علي بن الفتح أنه رأى الناس في يوم عيد يتقربون بقرايبنهم يعنى بضحاياهم فقال يارب وأنا أتقرب إليك بأحزاني ثم غشى عليه فلما أفاق قال : يا إلهي إلى كم ترددني في هذه الدنيا ؟ فمات من ساعته . ومقدمات هذا وأمثاله تدل على ما وراءها من الوصال والاتصال والأنس بذلك الجلال والجمال .

وآخر قد شاهد ما شاهد ذلك وربما زاد عليه لكنه فوض الأمر إلى خالقه وسلم الحكم لبارئه فلم يرض إلا ما رضى له ولم يرد إلا ما أريد به ولا اختار إلا ما حكم فيه إن أبقاه في هذه الدار أبقاه وإن أخذه إليه أخذه .

٣٩٤- قال أحمد بن أبي الخوارى قال أبو سليمان الداراني : « الناس رجلان رجل أحب الله فأحب الموت شوقاً إلى لقاء الله ، ورجل أحب البقاء لإقامة حق الله . قال : فوثب غلام لم يحتلم فقال : ورجل ثالث أو قال : ورجل آخر . فقال أبو سليمان : ومن هو ؟ فقال : من لم يختار هذا ولا هذا ؛ اختار ما اختار الله عز وجل له . فقال أبو سليمان : احتفظوا بالغلام فإنه صديق » .

واجتمع يوما وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط فقال الثوري : « كنت أكره موت الفجأة وودت اليوم أني مت فقال له يوسف بن أسباط : لم ؟ قال : لما أتخوف من الفتنة في الدين قال يوسف : لكني أحب الحياة وطول البقاء . قال له سفيان : لم ؟ قال : [لعل] أن أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا . فقيل لوهيب : أى شيء تقول أنت ؟ قال : أنا لا أختار شيئا ، أحب ذلك إلى أحبه إلى الله عز وجل . فقيل الثوري بين عينيه وقال : روحانية ورب الكعبة » .

وقال ابن جهضم : عن علي بن عثمان بن سهل قال : دخلت على عمرو بن عثمان وهو في علته التي توفي منها فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال : أجد سرى واقفا

مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام - يعنى مثل الماء فى الإناء أو القرار من الأرض يقول : لا يختار الحياة ولا الموت .

وقال القائل فى هذا المعنى :

كل ما يفعل الحبيب حبيب والذى شاءنى فشئ عجب .
إن سكوناً أراد لى فسكون أو وجيب أراد لى فوجيب .
وإذا ما أراد موتى فموتى أو حياى لكل ذاك أجيب .
كل ما كان من قضاء فيحلوا بفؤادى نزوله ويطيب .

وهذا إذا مات لا يُسأل عن حاله ولا يقال ما فعل به ، ومنهم من يتمنى الموت ويشتهيه ويسأله ربه تعالى ويرغب إليه فيه ، وقد علم أن وراءه يوماً ثقيلاً وحسباً طويلاً ومقاماً يقوم فيه ذليلاً ، لكن لما رأى نفسه [مستهدفاً] للمحن معرضاً للفتن مرتهاً بما هو مرتين ، وأبصر تفريطه فى الزاد ليوم المعاد وفى الاستعداد ليوم الأشهاد ، وخاف أن يقطع عن سبيل المؤمنين ويختلج عن طريق المسلمين ؛ تمنى الموت لينجو من هذا الخطر ويسلم من هذا القدر وأن يقدم على الله عز وجل بالإيمان كائناً منه بعد ذلك ما كان ، وهذا إن شاء الله إذا مات خرجت له البشرى بالأمان وأن يحتل فى جوار الرحمن حيث شاء من دار الكرامة والرضوان .

واعلم أن هذا لا يدخل تحت قوله عليه السلام : « لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به » فإنه عليه السلام إنما أراد الضر الدنياوى الذى ينزل بالإنسان من محن الدنيا فى النفس والأهل والمال وهذا إنما تمناه مخافة أن ينزل به الضر الأخراوى وأن يُقتطع بالمعاصى عن الله ، وأن يُصد بالفتن عن سبيل الله وبالجملة فالموت طريق نجاى يركبها المؤمنون ومورد سلامة يردده المسلمون ، لقوا فيه ما لقوا وسقوا فيه ما سقوا ، كل ذلك يهون لما يُقضى بهم إليه من السعادة الأبدية والحياة السرمدية ، نسأل الله جميل الخاتمة ، وحسن العاقبة ومردداً غير مُخزٍ ولا فاضح برحمته لا رب غيره .

والأحاديث التى وردت فى النهى عن تمنى الموت صحيحة مشهورة .

٣٩٥- ذكر مسلم بن الحجاج رحمه الله من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لابد متمنياً فليقل اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي » (٣٤٧) .

[وقد] بكاء - ﷺ - وأباح البكاء

٣٩٦- وذكر النسائي عن جابر بن عتيك أن رسول الله - ﷺ - : « جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب فصاح فلم يجبه ، فاسترجع رسول الله - ﷺ - وقال : قد غلبنا عليك يا أبا الربيع ، فصحن النسوة وبكين ، فجعل ابن عتيك يسكتهن ، فقال رسول الله - ﷺ - : دعهن فإذا وجب فلا تبكين باكية ، قالوا : وما الوجوب يا رسول الله ؟ قال : الموت » (٣٤٨) .

٣٩٧- وذكر مالك في الموطأ أيضاً ويروى : « دعهن ييكن مادام بينهن » (٣٤٩) وفي هذا الحديث إباحة البكاء والصياح عند حضور موت الميت ، والبكاء يكون بنياحة وغير نياحة ، ويكون بصوت وبغير صوت ، ويجوز أن تكون هذه الإباحة قبل النهي عن النياحة وعن رفع الصوت بالبكاء ويكون قوله عليه السلام : « فإذا وجب فلا تبكين باكية » (٣٥٠) على النذب أي إذا مات فسلطن لأمر الله وترضين بقضائه وتصبرن بحكمه .

(٣٤٧) * صحيح * أخرجه البخاري (١٢٧/١٠) وأبو داود (١٨٨/٣) والنسائي (٣/٤) والنفوي في « شرح السنة » (٢٥٧/٥) والبيهقي في « السنن » (٣٧٧/٣) وابن حبان في « صحيحه » (١٥٧/٢ ، ١٥٨ ، ٢٧٢/٤) وغيرهم .

(٣٤٨) * صحيح * أخرجه الإمام مالك في « الموطأ » (٢٣٢/١) من طريق عبد الله بن عبد الله بن حجر بن عتيك عن عتيك بن الحارث وهو جد عبد الله بن حجر أبو أمه أنه أخرجه أن حابر بن عتيك أخرجه أن رسول الله - ﷺ - أخرجه .. الحديث وأخرجه النسائي (١٣/٤) وأبو داود (١٨٨/٣) .

(٣٤٩) * صحيح * « الموطأ » (٢٣٢/١ - عدد الباقي)

(٣٥٠) * صحيح * وليس ها محل الحوض في الأحكام التكليمية وراح المرحع السابق والصحيحين وغيرها والله تعالى أعلم .

٣٩٨- وقد مر عليه السلام بامرأة تبكى عند قبر فقال لها : « اتقى الله واصبرى فقالت : إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتى (٣٥١) . ولم تعرفه ، فانصرف عنها - ﷺ - ولم يخبرها من هو ، ولو كان هذا الأمر على الوجوب لما انصرف عنها - ﷺ - وتركها على حالها ، ولكنه كان على الندب والأخذ بالأولى والأحسن ، ويكون تسكيت جابر هؤلاء النسوة عن البكاء والصياح توقيراً لمكان رسول الله - ﷺ - وتعظيماً له ، وقيل أيضاً يجوز أن يكون هذا بعد النهى ويكون جابر قد علم بالحديث في ذلك وأنهن تُهين عن البكاء فأخذ الحديث على عمومته وسكتن فأمره عليه السلام أن يدعهن على حالهن لأنه - والله أعلم - [حال] فيه على نساء الميت من الجزع والحزن مالا يقدرن معه على السكوت [فإن للبكاء] هجمة تغلب على قلوب الرجال في الأكثر فكيف على النساء ؟! [فتركهن] في ذلك الوقت رفقا بهن ورحمة لهن ، فإذا قضى ومات [فحيثذ فقوله - ﷺ -] « فلا تبكين باكية » يريد الصياح والنياحة وهو ... عند موته ويبكائه على قبر أمه - ﷺ - ويكون الحاضرون يفهمون مقصود النبي - ﷺ - بمقدمات عندهم في ذلك من النهى ومن الإباحة وقد قال عليه السلام : « إن الله لا يعذب بدمع العين ولا يحزن القلب ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم » وقد تقدم الحديث قبل هذا .

ولا تستنكر هذه الإباحة بعد النهى فقد بايع عليه السلام نسوة من الأنصار وأخذ علمهن (ألا يئحن) (١) فيها أحد علمهن فقالت امرأة : « إلا آل فلان فإنهن أسعدننى فى الجاهلية فلا بُدَّ لى من أن أسعدهم . فقال رسول الله - ﷺ - إلا آل فلان ، فذهبت ثم رجعت فبايعت » ولم تكن هذه المرأة أول من بايع من النسوة بل قد كان بايع غيرها قبلها وشرط علمهن ترك النياحة .

(٣٥١) * صحيح * أخرجه البخارى « باب الصبر عند الصدمة الأولى » ، ومسلم (٦/٢٧٧-٢٧٧) وروى وراى بعدها . فأخذها مثل الموت ، فأنت ناه فلم تحد عليه نواىن فقالت يا رسول الله لم أعركم (١) فقال إنما الصبر عند الصدمة الأولى أو قال . عند أول الصدمة .

٣٩٩- وروى أسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر « أن رسول الله - ﷺ - لما دخل من غزوة أحد سمع نساء الأنصار يبكين [على أزواجهن] فقال [لكن] حمزة [لا] بواكي له فبلغ ذلك [نساء] الأنصار فجئن فبكين عليه فقام رسول الله - ﷺ - لما سمع أصواتهن فقال : يا ويجهن لم يزلن يبكين بعد [منذ الليلة مُرهن] فليرجعن إلى منازلهن فلا يبكين على هالك بعد اليوم » (٣٥٢) أخرجه أبو بكر البزار في مسنده .

(٢٤) وأما نعى الميت والإعلام بموته إذا قصد به اجتماع الناس للصلاة لما يسأله من دعائهم له واستغفارهم ورغبتهم إلى الله تعالى وسؤالهم ولما ينالون أيضاً من ثواب الصلاة عليه فمنه مفروض وجائز ومندوب إليه وقد نعى النبي - ﷺ - - النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه وقال استغفروا لأخيكم وخرج بالناس إلى المصلى فصف بهم وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات (٣٥٣) وكان موت النجاشي ببلد بعيد من مدينة النبي - ﷺ - [وذكر موت] النجاشي مسلم بن الحجاج وغيره من حديث [جابر وعمران بن حصين] وقد نعى النبي عليه السلام للناس زيد بن حارثة [وجعفر بن أبي طالب و] عبد الله بن رواحة نعاهم قبل أن يجيء خبرهم (٣٥٤) .

والنفس تجر الشهوات و— نحو الندامات وعفو الله نحو الخطيئات . وكان جعفر بن محمد يأتي القبور ليلاً ويقول يا أهل القبور — — — ثم يقول حيل والله بينهم وبين الجواب — — — أكون مثلهم وأدخل في — — — ثم يستقبل القبلة ويصلي حتى طلوع الفجر .

(٣٥٢) - أعله الهيثمي بأن فيه من لم يعرفه (١)

أخرجه أحمد في « المسند » (٤٠/٢) ، (٨٤/٢) ، (٩٢/٢) ، واس مائة (١٥٩١ - عبد الباقي والبيهقي في « السس » (٧٠/٤) وفي « المجموع » (١٢٣/٦) قال الإمام البيهقي « ... رواه الطبراني وفيه يحيى بن مطيع الشيباني ولم أعرفه ، ونقية رجاله ثقات » ١ هـ .

(٣٥٣) صحيح - أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢٢٧/١) والبخاري (١٩٩/٣) ومسلم (٢٢/٧) - نووي والنسائي (٧٠/٤) .

(٣٥٤) * صحيح * وهو في البخاري (١١٦/٣) فتح وغير هذا الموضع من صحيح البخاري ، وأخرجه النسائي (٢٧/٤) وغيرهم .

يا نائما بالضرخ هُبا هاك نسيماً الصباح هُبا .
وكل من نام — قد تشفى وقام من نومه وهبا .
فم ترّ وجه الدمار وطلقا وصدره للآثام رُحبا .
والناس فكلّ إلى هواه حرك طرفاً وحل غضباً .
ثم فلعمر طال ذا هجوعاً وطال حزني له وأربا .
كم ذا أنادى ولا مجيب يجيب داعي الفؤاد .
ولو أنادى جماد صخر لرقّ لي لوعة ولبا .
فقال لي ينطق اعتباراً الألبا .
منعني أن أجيب أمر صيرّ سلّم الخطوب حربا .
أخرس منّي ما كان طلقاً وقاد منّي ما كان صعبا .
قطع لحمي ورَضّ عظمي وردّني للهوام نهبا .
وروعة للنشور عظمي غدت فؤادي خوفاً ورعبا .
فخل عني وعن جواني فبحر همي بعث عبا .
ولقبك إن كنت ذا بكاء بقتك ذنباً أنت فذنباً .
فيا إلهي ومن إليه مددت كفي رهبا ورعبا .
رحماك في يائس فقير قد طاف شرقاً وطاف غرباً .
فلم يجد حاجة تُقضى ولا أرى دعوة تُلبّا .
إلا ومن — حياها يسكب فوق الأنام سكبا .
إن لم ينل من رضاك خطباً ولم — من عطاك شربا .

واعلم رحمك الله أنه من أقام هذه الجبال [وأقعدها لو] هو تفكر في الميت
وما [يؤول] إليه ثم نظر فيما يقدم [عليه] بعد ذلك ، [من تغير] جسمه الغض
وبدنه اللين ، سيطرح في حفرة تقطع أوصاله [وتُبدل] أحواله ثم يتبين بعد ذلك
مآله ، [ويؤخذ بما فعله] أو قاله لم [يحزن] بميت بآله ولم يبك إلا لنفسه .
فانشدوا :

لمن — أبصرته _____
فيها كسفت بعد حسن وآمال وضعها .

لقن الأجسام فيها _____ .
 فيها قد نسوا روعة الحرب _____ .
 ورموا _____ الموت بهم بسيف _____ .
 فيها شدا _____ قبل ياساد الشرا .
 نظر الموت إلها قعدت تنفر الأنفس منها إذ ترا .
 الأقبر في تلك ا _____ جسمى أقوات الضنا
 أدمعها ما يذابه من _____ سلت .
 صاح يا صاح ونيران الجوع علقت منى بأثناء .
 لا تظن بكأى لهم ليس _____ هذا البكاء .
 لنفسى لا لهم بكأى لدموم فيهم أو عدا .
 الجمرة موهون القوى دائم الحسرة مقطوع العزا .
 يا رب الورى ما ترى فى غير _____ ترا .
 بدماؤها وطغى ثم طغى ثم طغا _____ .

ويروى عن الأصمعى قال : « حجت امرأة من الأعراب ومعه ابن لها
 فأصيب به فلما دفن قامت على قبره وهى موجهة فقالت : يا بنى والله لقد غنوتك
 رضيعاً وفقدتك سريعاً ، وكأن لم يكن بين الحالتين مدة ألتذ فيها بعيشك وأتمتع فيها
 بالنظر إلى وجهك ، ثم قالت : اللهم منك العدل ومن خَلَقك الجور ، اللهم وهبتنى
 قرّة عين فلم تتمتعنى به كثيراً بل سلبتنى وشيكاً ، ثم أمرتنى بالصبر ووعدتنى عليه
 الأجر فصَدَّقْتُ وعدك ورضيت قضاءك ، اللهم ارحم غربته واستر عورته يوم
 تُكشَف العورات وتظهر السواآت ، فيرحم الله من ترحم على من استودعته الردم
 ووسدته الثرى . فلما أرادت الخروج إلى أهلها وقفت على قبره وقالت : أى بُنى إنى
 قد تزودت لسفرى ، فياليت شعرى ما زادك لسفرك ويوم معادك ، اللهم إنى أسألك
 الرضى به برضائى عنه ، ثم قالت : أستودِعك من استودِعنيك جنيئاً فى الأحشاء .
 — عليك غصة التكلان ثم قالت : وأتكل الوالدات ما أقل أنسهن [وكثرة]
 وحشتن ثم صلت عند قبره ركعات وانصرفت » .

فهكذا كان قولهم وحالهم عند الجنائز ومشاهدة الأموات وفقد الأبناء ، وأما الآن وكما قال أبو حامد : « فلا تكاد ترى جماعة تحضر ميتاً إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون لا يتكلمون إلا في ميراثه وما ترك لورثته ، ولا يتفكر إخوانه إلا في الحيلة التي بها صار إليه ذلك المال الذي ترك ، ولا يتفكر أحد منهم إلا من شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حلت جنازته ، ولا سبب لهذه الغفلة إلا قساوة في القلوب لكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله واليوم الآخر والأهوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو أو نغفل ونشتغل بما لا [ينفع] نسأل الله اليقظة من هذه الرقدة برحمته لا رب سواه .

(٢٥) باب في الثناء الحسن على الميت والثناء السوء

٤٠٠- عن مسلم بن الحجاج من حديث أنس بن مالك قال : « مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - : وَجِبَتْ وَجِبْتَ وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُتِنِي عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتُ وَجِبَتْ وَجِبْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : مَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ » (٣٥٥) .

٤٠٢- وفي بعض طرق البخارى : « فقيل يا رسول الله قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت قال شهادة القوم المؤمنون شهداء الله في الأرض » (٣٥٦) .

٤٠٢- وفي بعض طرق البخارى أيضا : عن عمر رضى الله عنه قال النبى
 - ﷺ - : « من شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة قلنا : وثلاثة ؟ قال :
 وثلاثة قلنا : واثنان ؟ قال : واثنان . ثم لم نسأله عن الواحد » (٣٥٧) وهذا
 الحديث مخصوص والله أعلم والذى قبله يعطى العموم وأن من كثرت
 شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بالخير كانت له الجنة والله أعلم . وغير
 مُستَكْر إذا أحب الله عبداً أن يلقى على ألسنة المسلمين الثناء عليه وفي قلوبهم
 المحبة له . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم / ٩٦] .

(۳۵۵) * صحیح * وهو فی البخاری (۲۲۸/۳ - فتح) ومسلم (۱۸/۷ ، ۱۹ - نووی) كما عند البخاری سواء

(٣٥٦) * صحيح * وهو في البخاري (٢٥٢/٥) من طريق حماد بن زيد عن ثابت عن أنس مرفوعاً به .

(۳۵۷) * صحیح * وهو فی البحاری (۲۲۹/۳ - فتح)

٤٠٣- وقال عليه السلام : « إن الله عز وجل إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال له : إلى أحب فلاناً فأحبه . قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادى في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبه . قال : فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض » (٣٥٨) وذكر في البغضاء مثل ذلك وهذا حديث أخرجه مسلم بن الحجاج وغيره .

وقد شوهد رجال من المسلمين علماء وصالحون كثر الثناء عليهم ، وصُرِفَت القلوب إليهم في حياتهم وبعد مماتهم ، ومنهم من كثر المشيعون لجنازته وكثر الحاملون لها والمشتغلون به ، وربما كثر الله الخلق بما شاء من الجن المؤمنين أو غيرهم مما يشاء يكونون في صورة الناس .

٤٠٤- ذكر قاسم بن أصبغ قال أحمد بن زهير قال محمد بن يزيد الرفاعي قال : « مات عمر بن قيس الملائى بناحية فارس فاجتمع لجنازته من الخلق مالا يحصى فلما دفن نظروا فلم يروا أحداً » قال الرفاعي « سمعت هذا ممن لا أحصى كثرة » وكان سفيان الثوري يتبرك بالنظر إلى عمر بن قيس ابن مسلم هذا .

ولما مات أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - صلى عليه من المسلمين مالا يحصى فأمر المتوكل أن يُمسَح موضع الصلاة عليه من الأرض فوجد موقف ألفى ألف وثلاثمائة ألف أو نحوها ، ولما انتشر خبر موته أقبل الناس من البلاد يصلون عليه من الخلق مالا يحصى .

ويروى أنه أسلم في ذلك اليوم من أهل الذمة - اليهود والنصارى - نحو ثلاثين ألفاً لما رأوا من كثرة الخلق على جنازته ، ولما رأوا من العجب في ذلك اليوم .

- أمر الإله وحكمه والله يقضى بانقضاء المحكم .
- لو كان يقدر قدرها ومصيبة عظمت ولما تعظم .
- كلنا بمكانه وكأنا في حالنا لم نعلم .

(٣٥٨) * صحيح . البحارى (٣٠٣/٦) ، (٤٦١/١٠) ومسلم (١٨٣/١٦ ، ١٨٤- نووى) راجع « صحيح الجامع » .

أضاف إلى الفكرة في الموت الفكرة فيما بعد الموت وفي
ما يجازى به من أقواله وأفعاله وفي أى متجر فاته واهى
علق نفيس من العمر ضيعه هنالك تطيش الأبواب
الأسن وتنبد الدنيا يا— وتطرح بجميع ما فيها .

ابن السماك رحمه الله أن الموتى لم يبكوا من الموت
— حسرة الموت فاتتهم والله دار لم يتزودوا منها ودخلوا .
— فأية ساعة مرت على من مضى وأية ساعة بقيت علينا .
— فى هذا لجدير أن يترك الأوطان ويهجر الأوطان والخلان .

يروى(*) أن ملكاً من ملوك بنى إسرائيل كان ذا بنين فكان الولد منهم إذا بلغ
مبلغ الرجال ، وعقل ما يعقله الرجال لبس الشعر ولحق بالعباد برؤوس الجبال ،
وسلك بطون الأودية يعبد الله عز وجل فلم يزل كذلك حتى ولد له مولود فشب إلى
أن ولد له ولد فجمع رجاله وخاصته وكبراء دولته [وقال لهم : قد علمتم] ما كان
من أمر بنى وأنه ليس منهم واحد بقى معى ولا التفت إلى وأنه [لا يصلح حالكم
ولا يستقيم أمركم إلا بأن يليكم واحد من ولدى وأنى أخاف إن لم يكن ذلك أن
تهلكوا بهلاكى فخذوا ولدى هذا فربوه وقوموا بأمره فإذا شب وعقل فزينوا له الدنيا
وعظموا قدرها عنده ثم أمر فبنى له قصر فرسحاً فى فرسخ وجعلوا عنده من كل زينة
حسنة ، وأكثر له من الخواص ووكل به رجلاً من [خواص] أصحابه ووجوه
[دولته ، وأمرهم] إذا فهم وعقل أن لا يُخرج من ذلك القصر وأن لا يُذكر عنده
الموت [ولا يمر] ميت فى موضع يكون فيه مخافة أن [يعرف الموت] أو يرى ميتاً
[فيسأل عنه] فيفسر له [فتتكدر] عليه لذته وتكرر [الحكاية] ويسلك مسلك
[إخوته قبله] ويحذو على [حذوهم - فكانوا] لا يذكرون عنده موتاً ولا
يسمعونه حديث ميت ولا يطلعونه عليه ولا يذكر عنده إلا الدنيا وزخرفها والشغف
بها ، والإقبال عليها ، وتعظيم آباءه الملوك ، [وترغيبه] فى الاقتداء بهم ، والمشى على
طريقتهم ، [فلما شب] الغلام وعقل ما يعقله الناس فمشى ذات يوم فى القصر
وأخذ ينظر فى أرجائه وقد أحرق به خاصته ، والموكلون به ينظرون إليه . فقال
لهم : ما وراء هذا السور ؟ وما خلف هذا الحائط ؟ فقالوا له : لا شئ إلا ما ترى

[وأنكروا وجود العالم] والبلاد الكثيرة ، والجسم الغفير من الناس وكل ذلك . فقال : أحسب خلف هذا القصر وجوداً وعالمًا آخر أخرجوني حتى أنظر وأرى ، فأبوا حتى يشاوروا أباه فأتوا الملك وأخبروه بأنه يريد أن يخرج ويرى الناس وظنوا أنه يحكمهم . فقال : أخرجوه فإننا نريد ويأى الله إلا ما يريد فأول من وقع عليه بصره من الناس شيخ كبير قد هرم ولعابه يسيل على صدره وحاجباه على عينيه من الكبر فقال ما هذا قالوا هذا [شيخ كبير قال : وما شيخ [كبير ؟ قالوا كان شاباً فعمّر وعاش حتى أصابه الهرم .

[قال] : وما الهرم ؟ قالوا : الكبر ، وطول العمر يعيش إلى أن تقل [قوته ويعجزه الهرم] حتى لا يقدر أن يمسك لعبه في فيه مع علل أخر تعتريه . [قال] : ويصيبكم هذا أو هو شيء يصيب قوماً دون قوم ؟ قالوا : بل يصيب كل من طال عمره . قال ويصيني أنا مع ما أنا فيه [من الملذات] وبلوغ الشهوات ؟ قالوا ويصيبك أنت إن طالت بك حياة [فكل من عمّر] آخره هذا ثم رجع إلى قصره وقد تكدر عليه بعض نعيمه [وتنغص عليه] بعض ما كان فيه فعالجوه بكل لهو وكل باطل حتى استخرجوا [من قلبه ما] وقع فيه من أمر الهرم والكبر فأقام عاماً [ثم] أمرهم [أن يخرجوه] فأبوا عليه وخافوا من أبيه ثم إنه عزم [عليهم] فأخرجوه ، [فنظر إلى] الناس [فإذا هو برجل مبتلى بالجنون] أو غيره من الداء فقال : ما هذا وم [يأتي ؟ قالوا :] فساد في المزاج وتحريك في [العقل قال : أهذا وحده] أصابه أم كلكم خائف أن يصيبه هذا الداء ؟ [قالوا : بل كلنا] خائف من هذا الداء ومن غيره الداء . [قال : وأنا فيما أنا فيه من سلطاني] أخاف ؟ قالوا وأنت قد أخبرناك أنه ليس لأحد أمان قال فأصابه من الغم أكثر مما أصابه في المرة الأولى فرجع ورجعوا ولم يزالوا يشغلونه بضروب المحاب وأصناف الملاذ حتى أخرجوا من قلبه ما كان وقع فيه أو كادوا ، فأقام كذلك حولا ثم قال أخرجوني فأخرجوه فنظر فإذا برجل ميت يُحمَل قال ما هذا قالوا : ميت قال وما ميت ؟ قالوا : رجل مثلنا نزل به قضاء إلهي ، وحادث سماوى فأطفأ شرارته وأحمر حرارته ورده حجرا من الحجارة ، وجماداً من الجمادات . فقال : عليّ به حتى أراه فجاءوه به فكشف له عنه فقال : كلموه . فقالوا : إنه لا يتكلم . فقال : أجلسوه . فقالوا : إنه لا يجلس

فجعل ينظر إليه ويتفكر فيه ثم قال : وهذا وحده نُحْصِ بهذا الحادث أو أنتم كلكم ينزل بكم مثل ما نزل بهذا ؟ قالوا : كلنا فيه سواء وكلنا ينزل هذا الحادث . قال : وأنا ؟ قالوا وأنت قال ولا يدفع عني أنى ؟ قالوا : لا يدفع عنك ولا يدفع عن نفسه . فقال . إنَّ نعيماً يصير آخره إلى هذا الجدير أن يتكدر وإن قلباً يخطر به ذكر هذا الحقيق أن يتفطر . قال وما تصنعون به ؟ قالوا : نحفر له حفرة في الأرض ونرد عليه التراب إلى يوم النشور والعرض . قال : وما يوم النشور والعرض ؟ قالوا له : هو يوم يبعث الله فيه الأموات وتظهر فيه المخبات ويكون ويكون . قال : ولا بد منه ؟ قالوا لا بد منه . فقال : وهذه أشد ، فعمل الكلام في نفسه عمله ، وأخذ الكلام من قلبه مأخذه فتغير وجهه وضعف جسمه ، وشحب لونه ، وأقصر عما كان فيه من تلك الراحة وتلك البطالات . فأخبر أبوه بخبره ووصف له حديثه فقال أو قد فعلها ؟ قالوا : نعم فأداره أبوه بكل شيء فلم ينفع فيه شيء وهون عليه الأمر فلم يهن وسلاه فلم يسأل . فقال له أبوه : لا جرم والله لأدعنك تلحق بإخوتك فبعث إليه ثيابه من المسوح فلبسها وأخرج من جوف الليل ، فتعلق بالجبال ولحق بإخوته يتعبد معهم وكان يقول في مناجاته اللهم إني [إن] أسلك أمراً ليس التي قد سبقت به المقادير لوددت أنى كنت الطير في الهواء أو السمك في الماء أو لم أك شيئاً مذكورا مخافة الحساب .

ويروى أن أعرابيا كان يسير على جمل له فخر الجمل ميتا فنزل الأعرابي [يدفع] به ويتفكر ويقول مالك لا تقوم ؟ مالك لا تنبعث ؟ هذه أعضاؤك [كاملة] سالمة . ما شأنك ؟ ما الذى كان يحملك ؟ ما الذى كان [يحملك] ثم صرعت ؟ ما الذى عن الحركة منعك ؟ ثم تركه وانصرف متفكرا متعجبا من أمره . وأنشدوا :

ومجرر يوم ألقى عنى خطيئة منسابة من خلفه كالأرقم .
تتضاءل الأبطال ساعة ذكره وتبيت منه فى أمانة ضيغم .
شرس المفادة لا يزال رثيه فمتى يحس بنار حرب يقدم .
تقع الفريسة منه فى فوهاء بأن تطرح بهاضم الحجارة تحطم .
ظمان للدم لا يقوم بريه إلا المروق فى الجسوم من الدم .
جاءته من قبل المنون إشارة فهوى صريعا لليدين وللنم .

ورمى بمحكّم دِرْعِهِ وبرمحه وامتد خلف [هاتيك] الأعظم .
لا يستجيب لصارخ بأن يدعه أبداً ولا يُرَجَّى لخطب معظم .
ذهبت بَسَالَتُهُ ومر غرامه لما رأى حبل المنية قد تم .
يا ويحه من فارس ما باله ذهب مروءته ولما يكلم .
هذى يداه وهذه أعضاؤه ما منه من عضو عدا بمثلهم .
همّات ما خيل الردى محتاجة للمَشْرِفِيّ ولا السنان للهدم .

واعلم رحمك الله أن الميت وإن كان لا يتكلم فقد يُسَمِّعُه الله تعالى كلاماً منه ويريه عليه صورة حياته وبشارة له بصلاته عليه ودفنه إياه واشتغاله به .
٤٠٥ - وحديثي الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن يحيى القرشي قال لما مات أبي غسّله المقرئ أبو عمرو الحسن بن عطية فقال لي أبو عمرو : ولما كشفت الثوب عن وجهه لأغسله ضحك في وجهي ولا أشك في ذلك ولا أرتاب .
وإذا جاز الخبر الأول جاز هذا أيضاً ، فأبو القاسم وأبو الحسن صادقان عدلان من أهل المعرفة والذكاء .

وذكر وليد بن عثمان - وكان من الصالحين - قدم علينا أشبيلية رجل أسود فأقام في المسجد الذي كنت فيه ثم انتقل عنه لعلّة أصابته فأقام في فرن يرقد على الخطب ويُتصدّق عليه ، ثم إنه مات فنقلته إلى داري لأغسله فكشفت عنه الثوب لأغسله ، فبينما أنا أغسله إذ رأيت وجهه قد ابيض بياضاً شديداً وصار مثل القمر ليلة البدر حسناً وعم البياض وجهه وعنقه خاصة دون سائر جسده فراعني ما رأيت ، وأرعدتُ وأصابني دَهَشٌ عظيم فرددت الرداء على وجهه وخرجت فأندرت جماعة من أصحابي وجئت بهم معي وأعلمتهم قصته ، فلما كشفوا الرداء عن وجهه راعهم حسنه وجماله وابيضاضه وسائر جسده أسود كما كان ، وتسامع الناس به فما كدنا نبلغ قبره حتى الليل من كثرة الزحام على نعشه وكثرة من حضر جنازته رحمه الله . ذكر هذه القصة ابن عثمان في كتاب التهجد ، وذكرها غيره أيضاً .

٤٠٦- يروى عن عمر بن ذر أنه مات رجل من جيرانه وكان مسرفاً على نفسه ، فتحامى كثير من الناس جنازته فلم يحضروها ، وحضرها عمر فلما دفن وقف على قبره فقال : رحمك الله أبا فلان فلقد صُحِبْتَ عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود ، وإن قالوا مذنب فمَنْ مِنَّا غيرُ مذنب وذى خطايا .

(٢٦) باب ما يقال عند حضور الميت وما جاء في البكاء عليه

٤٠٧- ذكر مسلم بن الحجاج عن أم سلمة زوج النبي - ﷺ - قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون قالت فلما مات أبو سلمة أتيت رسول الله - ﷺ - فقلت يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات فقال : فقولي اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عُقبى حسنة . قالت : فقلت . فأعقبني الله من هو خير منه محمداً - ﷺ - » .

٤٠٨- وعنها قالت : « دخل رسول الله - ﷺ - على ألى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال إن الروح إذا قبض تبعه البصر . ففج ابن من أهله فقال : لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثم قال : اللهم اغفر لألى سلمة وارفع درجته في المهددين واخلفه في الغابرين واغفر لنا وله يا أرحم الراحمين وأفسح له في قبره ونور له فيه » أبو سلمة هذا كان زوج أم سلمة .

٤٠٩- وعن أم سلمة قالت : « لما مات أبو سلمة قلت : غريب وفي أرض غربة لأبكيه بكاء يتحدث عنه فكنت قد تهيأت للبكاء عليه فأقبلت امرأة من انصعيد تريد أن [تسعدني] فاستقبلها رسول الله - ﷺ - فقال : أتريدين أن تُدخلن الشيطان بيتنا أخرج الله منه ؟ قالت : فكففت عن البكاء فلم أبك » .

٤١٠- وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : « لما طعن عمر أغمى عليه فلما أفاق قال : إن رسول الله - ﷺ - قال : « إن الميت ليعذب ببكاء الحي » .

- وعن عمر أيضا في هذا الحديث قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن الميت يعذب ببكاء الحي عليه » .

٤١١- وعنه عن النبي - ﷺ - : « إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله » .

٤١٢- _____

٤١٣- وعن ابن عباس قال : « لما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة - يعني قول عمر عن النبي - ﷺ - في البكاء على الميت - فقالت : يرحم الله عمر والله ما حدث رسول الله - ﷺ - أن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد ، ولكن قال : « إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه » قال : وقالت عائشة : حسبكم القرآن ﴿ لا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ قال : وقال ابن عباس عند ذلك : والله أضحك وأبكى .

وعن عروة بن الزبير قال : ذكر ذلك لعائشة أن ابن عمر يرفع إلى النبي - ﷺ - أن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله . قالت : وهل ، إنما قال رسول الله - ﷺ - : « إنه يعذب بخطيئته أو بذنبه وإن أهله ليكون عليه » .

* من أنت من الملائكة قال ملك الموت فقال له هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ثم قبض روحه - ﷺ - .

وقال وهب بن منبه : كان ملك من الملوك أراد الخروج إلى أرض له فلبس أحسن ثيابه وركب أفره دوابه وخرج في خاصته وجنوده ورجاله ، فنفخ الشيطان فيه نفخة ملاءه كبيراً وعجبا فكان يمشي ولا يلتفت إلى أحد من الناس كبيراً وإعجاباً بنفسه فتصدى له رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ولا التفت إليه ، فأخذ بلجام دابته ، فقال له : ويلك لقد تعاطيت أمراً عظيماً ، كف يدك عن اللجام . فقال له : أنا ملك الموت . فتغير لون الملك ودهش واضطرب لسانه ، وقال له : سألتك بالله إلا ما تركتني حتى أرجع إلى أهلي وأودعهم وأقضى حاجتي منهم فقال لا والله ما رأيت أهلك أبداً وقبض روحه فخر كأنه خشبة ملقاة .

ثم لقي آخر في مثل حاله إلا أنه كان متوضعاً فتعرض له فسلم فرد عليه السلام ، فقال له : إن لي إليك حاجة وأريد أن أذكرها لك في أذنك ، قال : هات وأعطاه أذنه فقال له : أنا ملك الموت ، فقال له : مرحباً بمن طالت غيبته على فوالله ما كان غائب أحب إلّ أن ألقاه منك ، فقال له ملك الموت : اقض حاجتك التي خرجت إليها . قال : لا هذه الحاجة أهم حوائجي ومالي حاجة أهم على ولا أحب إلى من لقاء الله تعالى قال فاختر على أي حالة تريد أن أقبض روحك . قال : وتقدر على ذلك ؟ قال : بذلك أمرت . قال : فدعني حتى أتوضأ وأصلي وتقبض روحي وأنا ساجد ، قال : نعم . فتوضأ وصلى فقبض روحه في سجوده .

وقال بكر بن عبد الله : جمع رجل من بنى إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه : أروني أصناف أموال التي جمعت فأتي بشيء كثير فلما رآه بكأ تحسراً عليه ، فقال له ملك الموت : ما ييكيك فوالله ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك . فقال له : أمهلني حتى أفرقه . قال : همها انقطعت المهلة فهلا كان ذلك قبل حصور أجلك . فقبض روحه .

ويروى أن رجلاً جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفاً من أصناف المال إلا اتخذ ثم ابتنى قصرًا وجعل عليه حجاباً وحراساً ثم جمع أهله وعياله وصنع لهم طعاماً وقعد على سريرته ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون ، ثم قال : يا نفس تنعمي سنين فقد جمعت لك ما يكفيك فما فرغ من كلامه حتى أقبل ملك الموت في هيئة رجل عليه خيطان من الثياب فقرع الباب بشدة عظيمة ، فوثب عليه الغلمان فقالوا له : ويلك ما شأنك ؟ ومن أنت ؟ فقال : ادعوا لي مولاكم . قالوا : إلى مثلك يخرج مولانا ؟ قال : نعم . قال : فأخبروا مولاهم . فقال : هلا فعلتم به وفعلتم ؟ فقرع الباب نرعة أشد من الأولى ، فوثب إليه الحرس . فقال : أخبره أفي ملك الموت . فلما مضوا ألقى عليهم الرعب ، ووقع على مولاهم الذل والخشوع ، فقال : قولوا له يدخل وقولوا له قولاً لنا فدخل فقال له : اسنع بمالك ما أنت مباح فأني لست بخارج عنك حتى أخرج بنفسك ، فأمر بماله فجُمع فلما رآه قال : لعنك الله من مال فأنت شغلتي عن عبادة ربي ومنعتني من النظر لنفسى فأطلق الله عز وجل المال فقال : لِمَ تسبني ولِمَ جلست مجالس الملوك ؟ ولِمَ تكلمت المشتمات ؟ ولِمَ فعلت

وفعلت ؟ وكنت تنفقنى فى سبيل الشر فلا أمتنع منك ؟ ولو أنفقتنى فى سبيل الخير وطريق البر لنفعتك اليوم . ثم قبض ملك الموت روحه فسقط ميتا .

وقال يزيد الرقاشى بينما جبار من جبابرة بنى إسرائيل فى منزله قد خلا ببعض أهله إذ رأى شخصاً قد دخل عليه من باب بيته فوثب عليه مغضباً فقال له : ويلك من أنت ؟ ومن أدخلك دارى ؟ وما حملك على الهجوم على بيتى ؟ فقال له : أما الذى أدخلنى الدار فربُّها ، وأما أنا فأنا الذى لا يمنعنى الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة السلاطين . فسقط فى يَدَى الجبار وأرعدَ حتى سقط منكباً على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستجدياً متذللاً فقال له : فأنت إذاً ملك الموت . قال : أنا هو ، قال : فهل أنت مُمهلى حتى أُحدِثُ عهداً ؟ قال : هيئات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك ، فليس إلى إمهالك سبيل . قال : فإلى أين تذهب بى ؟ قال إلى عملك الصالح الذى قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط .

٤١٤- وذكر مسلم عن ثوبان مولى رسول الله - ﷺ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « من صلى عن جنازة فله قيراط فإن شهد دفنها فله قيراطان . » القيراط مثل أحد (٣٥٩) .

وأعلم رحمك الله أن فى الجنائز عبرة للمعتبرين وفكرة للمتفكرين وتنبيه للغافلين وإيقاظا للنائمين ، بينا الإنسان فى قيام وقعود ونزول وصعود ، وخذ هذا ودع هذا وابس هذا واهدم هذا ، وقد كان ما كان وأين ذهب فلان ومن أين جاء فلان ، إذ جاءه أمر إلهى وحادث سماوى وحكم ربانى فسكن حركته وأطفأ شعلته وأذهب نضرتة وتركه كالخشب الملقاة والحجر المرمى ، إن صييح به لم يسمع وإن دُعِى لم يُجِب وإن قُطِع أو حُرِّق لم يتكلم ، وإن ربك على ما يشاء قدير ، ولكن حب الدنيا وحجاب الهوى الذى غطى القلوب وأعمى البصائر يمنع من الفكرة فى الجنائز والاعتبار بها ، فصارت لا تزيد رؤيتها إلا قسوة ولا مشاهدتها إلا غفلة ، حتى كأن الميت إنما هو قائم يستيقظ بعد ساعة ويهب عن قريب ، أو كأن الذى يراها لا يكون

(٣٥٩) * صحيح * « صحيح الجامع » (٦٢٢٩) وهو فى مسلم (١٧/٧ - نوى) وابن ماجه (١٥٤٠) والطيالسى رقم (٩٨٥) وأحمد (٢٧٦/٥) وغيرهم .

مثلها ولا يدخل مدخلها ، وأن ذلك الميت به نزل الموت وحده وإياه قصد خاصة ، نعم يعلم الإنسان منا أنه سيموت كما مات هذا وتشيع جنازته كما شُيعت جنازة هذا ، وربما مات بحيث لا تشيع له جنازة ولا توارى له جثة ، ولكن لا يظن ذلك عن قريب ولا يحسب أنه منه غير بعيد ، قد فسح لنفسه في المدة ومدّها في المهلة وحكم أنه لا يموت إلا بعد سنين ، وإن قال ربما أموت اليوم أو غداً فقول ضعيف لا يتحرك منه بسببه ساكن ولا يظهر عليه منه أثر ، لأنه عند رؤية الجنازة كما كان قبل أن يراها ، وربما تحدث بمحدثه الذى كان يتحدث والميت يُدفن أو هو وراءه يشيعه إلى قبره ، وإن جاءه ضحكٌ ضحكٌ وإن حضره نادرٌ من لغو الكلام تكلم به وأودعه صحيفته وبعث به إلى ربه ، وقل ما ييكى على الجنازة إلا أهلها ، تألماً لفراقها لا لنفس الموت ؛ كبكاء الصبى والصبية اللذين لا يعقلان ولا يعلمان ، ولو كانوا يعلمون لكان بكاءهم على أنفسهم لا على ميتهم ، لأن ميتهم قد مات وهم ينتظرون الموت .

وأنشد بعضهم من كلمة له :

عاذل مهلاً لا تعذلىنى فإن لم تعينى فاتركينى .
لومى بما شئت من ملام ووبخينى وفندينى .
غير بكائى لا تذكريه ولا عويل ولا أنينى .
ولا ضلوعاً قفور ناداً تأكل منى عدا الوتين .
واسترحى لى برّاً رحيماً تشرع فى سببه المعين .
ولا تظنينى فإن حزنى وسقم جسمى وما يرين .
أثار ذاكم أن مات ميت قد كان دنيائى .
تركته فى القبور فرداً وجئت فى دمه الحزين .
لا والذى جوده يُرجى كل أوان وكل حين .
ما أنا بالك إلا لنفسى لا لقريب ولا خدين .
ومصرع للمنون ضبطه أثل فيه على الجبين .
أو خذ فيه من كل أفقٍ أخذ شديد القوى متين .
فمن أمامى ومن ورائى وعن شمالى وعن يمينى .
وفوق رأسى معاً وتحتى من حيث ما رُغْتُ يلتقين .

ولا احتيال ولا أجزاء لا برفيع ولا يدون .
نفخيني عاذلي وشأني فليس شأني من ذا الشئون .

واعلم أن الجنازة تمر بالإنسان ولا يدري ما لها ولا يتبين حقيقة مصيرها وإنما يُرَجَى لها بحسب ما ظهر منها من الطاعات ويُخَاف عليها بحسب ما بدا منها من المخالفات ، وإن لها لكلاماً لو سمعه الإنسان لانصدع له حجاب قلبه وشغله عن بنيه وأهله ، بل أذهله عن النظر في خاصة نفسه .

٤١٥- ذكر البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ - : « إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت : قدموني قدموني ، وإن كانت غير صالحة قالت : يا ويلها أين تذهبون بها . يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع (٣٦٠) [الإنسان لصعق] (٣٦١) .

وهما ميتان : فميت يستريح من تعب هذه الدار ويفضي إلى راحة ، وميت تستريح منه البلاد ويفضي إلى سوء المصير وبئس المهاد .
ذكر أبو قتادة قال : « مر رسول الله ﷺ - بجنازة فقال : « مستريح ومستراح منه » . فقالوا : يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه ؟ قال : العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب » ذكر هذا الحديث مسلم بن حجاج وغيره .

وربما يكون منا من يهتز عند رؤية الجنازة ويرتاع عند مشاهدتها ثم لا يلبث أن يعود إلى حالته إلا بمقدار ما تكون بين يديه أو ساعة تمر عليه .
يروى عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : جلست إلى جرير وهو يمل على كاتبه شعراً فاطلعت جنازة فأمسك وقال : شيبتنى والله هذه الجنازة وأنشأ يقول :
تُرْوَعُنا الجَنائِزُ مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات .

(٣٦٠) التكملة من رواية البخاري ، كان الناس يَبصُّ لها (١)

(٣٦١) « صحيح » أخرجه البخاري (١٨٤/٣) والسنن (٤١/٥) .

كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات .
وكأن هذا البائس الغافل لم يسمع برجل قد شيع جنازة ثم مات المشيع
بُجمعة أو أقل من جمعة وربما كان بعد يوم واحد أو أقل من يوم واحد ، أو
كأنه علم أن هذا الميت كان طويل الأمل ممتد الرجاء يطمع في العيش
ويحرص على البقاء ، حتى هجم عليه ملك الموت في الوقت الذى لم يكن
يظن به وقام معه مكان الذى لم يكن يحسبه فإننا لله وإنا إليه راجعون .
وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم بخلاف هذا ، كانوا إذا رأوا
الجنازة نظروا إليها نظر المعتبرين وتكلموا عندها بكلام الموقنين وكانوا
يقولون القول ويعملون بمقتضاه ، وسأذكر لك من كلامهم وأحكى لك من
أقوالهم ما أمكننى لعله يحرك منك ساكنا أو يوقظ منك نائما ، والله المستعان
وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله سبحانه .

٤١٦- يروى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه كان إذا رأى جنازة قال :
« امضى ونحن على أثرك » .

وكان مكحول الدمشقى إذا رأى جنازة قال : « اغد فإننا رائحون ، موعظة
بليغة وغفلة سريعة ، يذهب الأول ، والآخر لا عقل له » .
ومرت بالحسن البصرى جنازة فقال : يا لها موعظة ما أبلغها وأسرع
نسيانها ، يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة ، ثم قال : ميت غديد
من ميت .

ويروى ابن الحضير ما شهدت جنازة وحدثت نفسى بشيء سوى ما يُفعل
بالميت وما هو صائر إليه .

ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك فى جنازته فوقف على قبره وبكى
ثم قال : يا أخى لا تفر عينى بعدك حتى أعلم ما صرت إليه ولا والله لا أعلم
ذلك ما دمت حياً .

وقال الأعمش : كنا نشهد الجنازة فلا ندري من المعزين فيها لكثرة
الباكين ، وإنما كان بكائهم على أنفسهم لا على الميت .

وقال إبراهيم النخعى : إن كانوا يشهدون الجنازة فيرى فمهم ذلك أياما كان
يرى فمهم الفكرة فى الموت وفى حال الميت .

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه : أنه كان يلقي الرجل في الجنازة من خاصة إخوانه قد بُعد عهده به فما يزيده على التسليم حتى يظن الرجل أن في صدره عليه مَوْجِدَةٌ كل ذلك اشتغالا بالجنازة وتفكيراً فيها وفي مصيرها حتى [إذا] فرغ من الجنازة لقيه وساءله وكان منه أحسن ما عهد .

٤١٧- ورأى عبد الله بن مسعود صاحب السبي - عليه السلام - رجلاً يضحك في جنازة فقال : « تضحك وأنت في جنازة والله لا أكلمك أبداً » .
٤١٨- وفي الخبر : « إن الله يكره لكم ثلاثاً : العبث في الصلاة ، والرفث في الصوم ، والضحك عند المقابر » .

ولما مات ذر بن عمر بن ذر ووضع في قبره قال أبوه عمر : يا ذر لقد شغلنا الحزنُ لك عن الحزن عليك ، فليت شعري ماذا قلتَ وماذا قيل لك ؟ ثم قال : اللهم إن هذا ولدي ذراً متعتني به ما متعتني ووفيته أجله ولم تنقصه حقه ، اللهم وقد كُتبتَ ألزمته طاعتك وطاعتني وإني قد وهبت له ما فرط فيه من طاعتني فهب له ما فرط فيه من طاعتك ، اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتني فقد وهبت ذلك له فهب له عذابه ، ولا تعذبه به ، وأنت أجود الأجودين ، وأكرم الأكرمين » .
قال : فأبكى الناس . ثم قال عند انصرافه : « يا ذر ما علينا بعدك من خصاصة ، وما بنا مع الله تعالى إلى إنسان من حاجة ، يا ذر مضينا وتركناك ، ولو أقمنا عندك ما نفعنك » .

ألا ترى إلى هذا لم يشغله الحزن بولده وثمره كبده عن الحزن بما قال وبما قيل له ؟ ! لأنهم إنما كانوا يقدمون الأهم فالأهم ويبدؤون الأعظم فالأعظم .

ميت يموت من المسلمين ليصلي عليه لما في صلاته - ﷺ - من البركة والرحمة ، ولا فاتته سننه أيضاً في الصلاة على موتى المسلمين ، وفي صلاة المسلمين بعضهم على بعض ، ودعاء بعضهم لبعض .

٤١٩- وقد قال عليه السلام : « إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » ذكره أبو داود من حديث أبي هريرة (٣٦٢) .

٤٢٠- وقال عليه السلام : « من صلى على جنازة ولم يتبعها فله قيراط فإن تبعها فله قيراطان » قيل : وما القيراطان ؟ قال : أصغرهما مثل أحد » يريد مثل جبل أحد . ذكره مسلم (٣٦٣) وغيره من حديث أبي هريرة وغيره .

وأما إذا كان نعي الميت والإعلام بموته ليجتمع الناس عليه على معنى التعظيم له والمصيبة لفقده والتفاخر بما يجتمع له من الناس ويحضره من الأشراف فهذا لا يجوز وعلى هذا يخرج نهي النبي عليه السلام عن النعي .

٤٢١- وذكر الترمذي من حديث حذيفة بن اليمان قال : « إذا مت فلا تؤذِنوا بي أحدا فإنني أخاف أن يكون نعيًا ، وإني سمعت رسول الله - ﷺ - ينهى عن النعي » (٣٦٤) .

وأما المفروض من هذا الباب فهو أن يُدعى للصلاة على الميت من يقوم به سنة الصلاة عليه .

(٣٦٢) * صحيح * أخرجه أبو داود (٢١٠/٣) وابن ماجة (١٤٩٧) وابن حبان في « صحيحه » (٣١/٥) ، (٣٢) و « المشكاة » (١٦٧٤) والديلمي في « الفردوس » (١٠٣٣) و « صحيح الجامع » (٦٨٢) .

(٣٦٣) * صحيح * سبق الكلام عليه في (٣٥٩) وأنه من حديث ثوبان مولى رسول الله - ﷺ - وأبي هريرة وغيرهما ، أخرجه الشيخان وأصحاب السنن والبيهقي وابن الجارود و « صحيح الجامع » أرقام (٦٢٢٨ ، ٦٢٢٩ ، ٦٢٣٠ ، ٦٢٣١) و « الصحيحة » (٢٣٥١) وأحكام الجائز (ص - ١٦٨)

(٣٦٤) * صحيح * أخرجه الترمذي (٩٨٦) وابن ماجة (١٤٧٦) .

*** باب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له وقراءة القرآن عنده وذكر محاسنه والسكوت عن مساوئه**

٤٢٢- يروى عن أبى أمانة الباهلى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول : يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلاني بن فلانة الثانية فإنه يستوى قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فإنه يقول أرشدنا رحمك الله ولكنكم لا تسمعون فيقول أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنت رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً فإن منكراً ونكيراً [يأخذ] كل واحد منهما [بيد صاحبه] ويقول : انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لُقن حُجَّتَه ويكون الله حجيجه دونهما ، فقال رجل : يا رسول الله فإن لم يعرف أمه ؟ قال : ينسبه إلى أمه [حواء] (٣٦٥) .

٤٢٣- ويروى عن النبى - ﷺ - : أنه حضر جنازة رجل فلما دُفن قال : سلوا لأخيكم التثبيت فإنه الآن يُسأل (٣٦٦) .

٤٢٤- ويروى عن بعض الصالحين أنه قال : مات أخ لى فرأيتَه فى النوم فقلت له : يا أخى ما كان حالك حين وُضعت فى قبرك ؟ قال : أتانى آتٍ بشهاب من نار فلولاً أن داعياً دعا لى لهلكت .

(٣٦٥) * ضعيف * قال الإمام الهيثمى فى المجمع (٣٢٧/٢) : « رواه الطبرانى فى « الكبير » وفيه من لم أعرفه » .

(٣٦٦) * صحيح * سبق الكلام عليه ونريد هنا أن الحاكم أخرج عن أمير المؤمنين عثمان - رضى الله عنه - (٣٧٠/١) ، وبلغظه أورده السيوطى فى « الجامع الصغير » وصححه (٩٥٦) وعزاه للحاكم عن عثمان - رضى الله عنه - .

ويروى أن رجلاً قال : رأيت رجلاً - وذكر رجلاً معروفاً - قال : رأيته في النوم وكأنه قد مات وحمل إلى قبره فكنت ممن شاهده فرأيته قد وضع في قبره فرأيت باباً قد فتح في جانب القبر كأنه باب مغارة وهي مملوءة ظلمة ، فخرج من ذلك الباب أسودان مهييبي المنظر فأخذا ذلك الميت وجعلا يجبذانه إلى المغارة ، فجعل الناس أيديهم في ذلك الميت يجبذونه إليهم والأسودان يجبذانه إلى المغارة والميت ساكت فينما هم كذلك إذ أقبل رجل مشهور بالعبادة وكان ذلك الميت يحسن إليه فلما رآه الميت استغاث به : يا فلان . فقال له ذلك الرجل : سلامة لا بأس وأخذ بيده واستنقذه منهما ، فقعد الميت يذكر الله ، وإذا بثوب من السماء قد نزل فألبسه الرجل ذلك الميت ثم صعد إلى السماء . قال الراوى : فاستيقظت فوجدت ذلك الرجل المجهوذ قد مات وكنت ممن شهد جنازته .

فتأول أهل العلم بالتأويل ذلك الجبد الذى كان الناس يجبذون ذلك الميت دعاءهم له ورغبتهم إلى الله عز وجل فيه ، وأخذ ذلك الرجل بيد الميت هو دعاؤه له وثواب الخير الذى كان يعمل معه .

٤٢٥- وذكر مسلم بن الحجاج من حديث عبد الرحمن بن شماسه قال : « حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى طويلاً ثم حول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول له : ما ييكيك يا أبتاه ؟ أما بشرك رسول الله - ﷺ - بكذا ؟ أما بشرك رسول الله - ﷺ - بكذا ؟ قال فأقبل بوجهه فقال : إن أفضل ما بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله - ﷺ - أنى قد كنت على أطباق ثلاثة لقد رأيتنى وما أحداً أشد بغضاً لرسول الله - ﷺ - منى ولا أحب إلى من أن أكون قد استمكننت منه فقتلته فلومت على تلك الحال لكنت من أهل النار ، فلما جعل الله الإسلام في قلبى أتيت النبى - ﷺ - فقلت : ابسط يمينك فلأبايعنك ، فبسط يمينه قال : فقبضت يدى ، قال : مالك يا عمرو ؟ قلت : أردت أن اشترط . قال : تشترط ماذا ؟ قلت : أن يُغفر لى ، قال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله وما كان أحد أحب إلى من رسول الله - ﷺ - ولا أجل في عيني منه وما

كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه لما أطق لآني
لم أكن أملأ عيني منه ، فلو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل
الجنة ، ثم وليا أشياء ما أدري ما حالى فيها . فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة
ولا نار فإذا دفنتموني فشنوا على التراب شيئاً ثم أقيموا حول قبري قدر ما
تُنَحَّرُ جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم » يريد أن يستأنس بدعائهم له
وبذكرهم الله عز وجل عنده . (٣٦٧) .

٤٢٦- وذكر أبو عبد الرحمن النسائي رحمه الله من حديث معقل بن يسار المزني
عن النبي - ﷺ - أنه قال : « اقرؤا عند موتاكم » (٣٦٨) وهذا يحتمل أن
تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته ويحتمل أن تكون عند قبره
٤٢٧- ويروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب : أنه أمر أن يقرأ عند قبره سورة
البقرة وقد روى إباحة قراءة القرآن عند القبر عن العلاء بن عبد الرحمن .
٤٢٨- ويروى أيضاً أن أحمد بن حنبل رجع إلى هذا بعدما كان ينكره -
(الإحياء) .

٤٢٩- وذكر أبو داود من حديث عائشة - رضي الله عنها - عن النبي عليه السلام
أنه قال : « اذكروا محاسن موتاكم ، وكفوا عن مساوئهم » (٣٦٩) .
٤٣٠- وعن عائشة قالت : ذكر عند رسول الله - ﷺ - هالك بسوء فقال : « لا
تذكروا هلكاكم إلا بخير » (٣٧٠) .

(٣٦٧) قصة وفاة عمرو بن العاص - رضي الله عنه - « صحيح » أخرجه مسلم في « الصحيح » (١٣٧/٢) ،
١٣٨ ، ١٣٩ - نووي وغيره .

(٣٦٨) * خبر معقل هو في سنن النسائي (٥٢/٤) .

(٣٦٩) * خبر أم المؤمنين عائشة - مرضوعا - لا تسبو الأموات . الحديث أخرجه البخاري (٢٥٨/٣)
وأحمد (١٨٠/٦) والنسائي (٥٣/٤) من طرق عن الأعمش عن مجاهد عنها به مرفوعا .

(٣٧٠) * صحيح » أخرجه الحاكم في « المستدرک » (٣٨٥/١) وصححه ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن حبان في
« صحيحه » (١١/٥) وأحمد (١٨٠/٦) وغيرهم

٤٣١- وذكر البخارى عنها قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « لا تسبوا
الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » (٣٧١) .

(٣٧١) « ضعيف » هو فى « ضعيف الجامع » (٨٣٩) و « المشكاة » (١٦٧٨) - فيه عمران بن أنس المكى
وهو منكر الحديث .

** باب ذكر القبور

اعلم - رحمك الله - أن في القبر وظلمته وضيقه ووحشته وطرح الميت فيه غير ممهد ولا موسد قد باشر الثرى وواجه اليل وترك دنياه بالورى ، ونبذ منها ما كان بيديه بالعراء مع حبيب تركه وقريب أسلمه ونصير أفرده ، وترك ما كان منه عهده ما يفطم النفوس عن الشهوات وإن كانت صعبة الفطام ويقطعها عن اللذات وإن كان قطعها بعيد المرام إذا بحث عن الحقيقة ونظر بعين البصيرة وسمع النداء من قريب بينما المرء في بلهنيته مرتكضا في أمنيته غافلاً عن يوم صدعته وميته ، قد فتح للهو بابه وأرسل عليه حجابيه ولم يبال بمن لأمه على ذلك أو عابه إذ هجمت عليه المنية فهتكت أستاره وكسفت أنواره وطمست أعلامه وآثاره ، فأخرجته من ذلك القصر المشيد والمنزل المنجد والمتاع المزخرف المنقد ؛ إلى حفرة من الأرض سوداء ضيقة الجوانب والأرجاء مملوءة من الفزع والرعب ما تشاء ، فحذار - رحمك الله - حذار أن تنزع هذا المنزع وبدار عصمك الله بدار أن تصرع هذا المصرع فيفت في عضدك ويسقط في يديك ويرمى بك عن أهلك وولدتك بهواة تزدحم فيها الأهوال ، وتنقطع فيها الآمال قد جمعت فيها جمعاً ورصفت فيها رصفاً وتركت للدود والهوام طعماً .

وأنشد من قصيدة :

يا نائماً وأنانون يُقضى وغائباً والجِمام [يوفاً] .
جاءك أمر وأئى أمر [غطى] على غيره وعفا .
هل بعد هذا المشيب شئ غير تراب عليك يحفا .
وليس ذا الأمر بالهوينى ولا بشئ عليه يغفا .

ساكن نفس تدير غير يرشف لعز النعيم رشفاً .
فبات في أهله حصيداً قد جعفته الهون جعفاً .
وعاد ذلك النعيم يوماً وصار ذاك السكون رجفاً .
ومن سوقٍ إلى ضريح يرصف بالرُّغم فيه رصفاً .

(٢٧) باب ما جاء أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون

٤٣٢- ذكر مسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ - : « يقول عز وجل : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك . قال : يقول : أخرج بعث النار . قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون قال : فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . قال : فاشتد ذلك عليهم . قالوا : يا رسول الله أينما ذلك الرجل ؟ قال أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم رجل . قال : ثم قال : والذي نفسي بيده إنى لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة . فحمدنا الله عز وجل وكبرنا . ثم قال : والذي نفسي بيده إنى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا الله عز وجل وكبرنا . ثم قال : والذي نفسي بيده إنى لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو [كالرقمة] في ذراع الحمار » وفي بعض ألفاظ هذا الحديث من الزيادة « اللهم هل بلغت » وفي بعض طرقه من غير كتاب مسلم : « وذكر بعث النار . فقال رجل : فمن الناجي منا بعد ذلك ؟ فقال رسول الله ﷺ - : في الناس إلا كالشامة في صدر البعير » (٣٧٢) .

(٣٧٢) * صحيح * وهو في البخارى (٣٧٢/٦) ومسلم (٩٧/٣ ، ٩٨ - نووى) وأخرجه الترمذى (١٣٦٨) وقال . « حسن صحيح » وأحمد (٣٨٨/١) ، ١٦٦/٢ ، ٣٢/٣ - ٣٣ ، ٤٣٢/٤) وهو في « صحيح الجامع » (٧٩٩٨) .

(٢٨) باب ما جاء في أهل الفترة

٤٣٢- ذكر أبو بكر البزار في مسنده عن الأسود بن سريع عن النبي ﷺ -
قال : « يعرض على الله تبارك وتعالى الأصم الذي لا يسمع شيئاً والأحمق
والهرم ورجل مات في الفترة ، فيقول الأصم : رب جاء الإسلام وما أسمع
شيئاً ، ويقول الأحمق : رب جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، ويقول الذي
مات في الفترة : رب ما أتاني لك من رسول . قال أبو بكر : وذهب عني ما
قال الرابع . قال : فيأخذ مواعيقهم ليُطِيعُنَهُ فيرسل إليهم تبارك وتعالى :
ادخلوا النار . فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً
وسلاماً » (٣٧٣) قد جاء هذا الحديث وهو صحيح فيما أعلم والآخرة ليست
دار تكليف ولا عمل ولكن الله يخص من شاء بما شاء ويكلف من شاء ما
شاء حيث يشاء لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون .

(٣٧٣) * ضعيف * وهو في « مسند » الإمام أحمد (٢٤/٤) .

(٢٩) باب في سعة رحمة الله وأنها تغلب غضبه

حدث عن الجود وعن فيضه فالأمر مبنى على الجود .
واذكر لنا بعض أعاجيبه فلست تُحصيه بتعدد .
هيات ما جود ملك الورى وخالق الخلق بمحدود .
حدث عن البحر وما البحر في بعض أياديه بموجود .

ومن الذى أفاض هذه البركات وأنى بهذه الخيرات وامتن بهذه النعم التى ملأت
بين الأرض والسموات ؟ ومن الذى يستخرج من ظلمات الكفر ويستنقذ من
غمرات الجهل ؟ فيغفر الذنوب ويستر العيوب وينفس المكروب ويحيى المضطر إذا
دعاه ولا يبالى أطاعه أم عصاه ؟ من هو إلا أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين رب
العالمين إله الأولين والآخرين لا إله إلا هو الملك الحق المبين .

٤٣٣- ذكر مسلم عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبره قال سمعت رسول الله
ﷺ - يقول : « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة
وتسعين ، وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق
حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه » .

٤٣٤- ولمسلم فى لفظ آخر : « كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض ، فإذا
كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة » (٣٧٤) .

٤٣٥- وذكر مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « لما خلق الله

(٣٧٤) • صحيح • وهو عند البخارى (٤٣١/١٠) ومسلم (٦٨/١٧ - بوى) وابن ماجة (٤٢٩٣)
والترمذى (٣٥٤١) .

الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي» (٣٧٥).

٤٣٦- وذكر البزار عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله - ﷺ - : « مَا » خلق الله تبارك وتعالى من شيء إلا وقد خلق ما يغلبه ، وخلق رحمة تغلب غضبه» (٣٧٦).

٤٣٧- ومن مسند البزار أيضاً عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : « بلغني أن رسول الله - ﷺ - كان في بعض مغازيه ، فبينما هم يسرون إذ أخذوا فرخ طير ، فأقبل أحد أبويه حتى سقط في أيدي الذين أخذوا الفرخ ، فقال رسول الله - ﷺ - : ألا تعجبون لهذا الطير أخذ فرخه فأقبل حتى سقط في أيديهم والله الله أرحم بخلقه من هذا الطير بفرخه » قال : لا نعلم (٣٧٧) له طريقاً غير هذا الطريق .

٤٣٨- وذكر مسلم بن الحجاج عن أنس بن مالك عن النبي - ﷺ - قال : « يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله عز وجل فيلتفت أحدهم فيقول : أي رب إذا خرجتني منها فلا تعذبني فيها . قال : فينجيه الله عز وجل منها » (٣٧٨).

٤٣٩- ويروى عن أبي هريرة عن رسول الله - ﷺ - : « أن رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما فقال الرب عز وجل : أخرجوهما . فلما خرجا قال لهما لأي شيء اشتد صياحكما ؟ قالوا : فعلنا ذلك لترحنا ، قال : إن رحمتي

(٣٧٥) « صحيح » أخرجه مسلم (١٧/١٧ - نووي) والترمذي (٣٥٤٣) وابن ماجة (٤٢٩٥) ومطهرهم .

(٣٧٦) « صحيح » أخرجه الحاكم في « المستدرک » (٢٤٩/٤) وصححه وتعقبه الحاكم بأن فيه عبد الرحيم بن بردم ، قال ابن أبي حاتم (٣٣٩/٢/٢) « مجهول » ، والحديث في « ضعيف الجامع » (٥٠٦٣)

(٣٧٧) « أخرج أنه حسن » أخرجه أبو داود في « سه » (١٨٢/٣) وهو أيضا في « المشكاة » (٢٣٧٧) وذكره الهيثمي في عصبون حديث في ذكر معجزاته - ﷺ - وقال : رواه الطبراني في « الأوسط » والبرار باحتصار كثير ، وفيه عبد الحكيم بن سميان ذكره ابن أبي حاتم ولم يخرجه أحد ، وبقيّة رجاله ثقات ، اهـ « مجمع » (٩/٩) .

(٣٧٨) « صحيح » أخرجه مسلم وابن أبي عاصم (٨٥٣) وهو في « صحيح الجامع » (٧٩١٤)

إياكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار . فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه ، فيجعلها عليه برداً وسلاماً ، ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه فيقول له الرب عز وجل : ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول : رب إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعدما أخرجتني . فيقول له الرب سبحانه : لك رجاؤك فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله عز وجل « (٣٧٩) وهذا الحديث ذكره الترمذى وغيره .

٤٤٠- وذكر مسلم بن الحجاج من حديث أبي أيوب الأنصارى عن النبي ﷺ - قال : والذي نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم « (٣٨٠) .

٤٤١- وذكر ابن جهمم بإسناده إلى إبراهيم بن إبراهيم قال : « طفت ليلة بالبيت وكانت ليلة مطيرة شديدة الظلمة وقد خلا الطواف وطابت نفسى فوقفت عند الملتزم أدعو فقلت : اللهم أعصمني ، حتى لا أعصيك فهتف بى هاتف : يا إبراهيم أنت تسألنى أن أعصمك وكل عبادى يسألنى العصمة فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر . »

(٣٧٩) * ضعيف * وهو فى « جامع الترمذى » (٢٥٩٩) قال الترمذى إسناده هذا الحديث ضعيف لأنه عن رشدين بن سعد ، ورشدين بن سعد هو ضعيف عند أهل الحديث ، عن اس أنعم وهو الإفريقى ، والإفريقى ضعيف عند أهل الحديث « ١٠١ وهذا أعلاه شيخنا فى التعليق على « المشكاة » (٥٦٠٥) . والله تعالى أعلم

(٣٨٠) * صحيح * أخرجه مسلم (٦٤/١٧ - نووى) والبقوى فى « شرح السنة » (٧٧/٥) وأحمد (٣٠٥/٢) ، (٣٠٦) .

(٣٠) باب كثرة أمة محمد - ﷺ -

٤٤٢- ذكر مسلم بن الحجاج عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ - : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً » (٣٨١) .

٤٤٣- وذكر أبو بكر البزار من حديث أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « يأتي معي من أمتي يوم القيامة مثل الليل والليل فيحطم الناس حطمة فتقول الملائكة : لما جاء مع محمد أكثر مما جاء مع سائر الأمم أو الأنبياء » (٣٨٢) .

٤٤٤- وذكر مسلم بن الحجاج عن عبد الله بن مسعود : « خطبنا رسول الله ﷺ - فاستند ظهره إلى قبة آدم فقال : ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، اللهم هل بلغت ، اللهم اشهد أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ فقلنا : نعم يا رسول الله . فقال : أتحبون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قلنا : نعم يا رسول الله . قال : إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، ما أنتم

(٣٨١) « صحيح » أخرجه مسلم (٧٣/٣) والداري في « مقدمة » السس « (٢٧/١ ، ٢٨) وأبو عوانة في « صحيحه » (١٠٩/١ ، ١١٠) والديلمي في « الفردوس » (١٢١) وهو في « صحيح الجامع » رقم (١٤٦٣) .

(٣٨٢) « ضعيف » قال الإمام الهيثمي في المجمع (٣٤٧/١٠) أخرجه البزار وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف هـ.

وفي « المطالب العالية » (٣٧١/٤) أورد شيخ الإسلام الحديث وقال . « فيه ضعف » وعزاه لعبد بن حميد . والله تعالى أعلم

فيمن سواكم من الأمم إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة
البيضاء في الثور الأسود» (٣٨٣) .

٤٤٥- وذكر الترمذى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أهل الجنة عشرون
ومائة صف ؛ ثمانون من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم » (٣٨٤) .

(٣٨٣) * صحيح * أخرجه البخارى في « الأنبياء » و « الرقاق » و « الإيمان » و « التفسير » ، وكذا مسلم
والترمذى في « الحنة » وأبو داود في « الجهاد » وابن ماجة في « الزهد » وأحمد وعبرهم والله أعلم .
(٣٨٤) * حسن * الإمام أحمد (٤٥٣/١) والترمذى (٢٥٤٦) واس ماجة (٤٢٨٩) والدارمى (٣٨٧/٢) .

(٣١) باب ذكر كم يدخل الجنة بغير حساب

٤٤٦- ذكر مسلم من حديث ابن عباس أن النبي - ﷺ - قال : « عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيْطُ ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، [إِذْ] رَفَعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمْتِي فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَوْمُهُ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي : انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخَرَ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسَ فِي أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ : مَا الَّذِي تَخَوْضُونَ فِيهِ ؟ فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَهَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، فَقَامَ عَكَاشَةُ ابْنُ مَحْصَنٍ فَقَالَ : ادْعِ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ ، فَقَالَ : أَنْتَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ : ادْعِ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ ، فَقَالَ : سَبَقْتُكُم بِهَا عَكَاشَةُ » (٣٨٥) .

(٣٨٥) * صحيح * البخارى فى « الرقاق » و « الطب » و « اللباس » ومسلم (٩٤/٣ ، ٩٥) والترمذى فى « القيامة » والدارمى فى الرقاق (٣٢٩/٢) وأحمد (٢٧١/١ ، ٤٠١ ، ٣٠٢/٢ ، ٣٥١ ، ٤٠١ ، ٤٥٦ ، ٥٠٢ ، ٤٣٦/٤) وأبو عوامة فى « صحيحه » (٨٦/١) وغيرهم

٤٤٧- وذكر أبو بكر البزار عن الحسن والعلاء بن زياد عن عمران بن حصين [و] عبد الله بن مسعود قال : « تحدثنا عند رسول الله - ﷺ - ذات يوم حتى أكربنا الحديث ، ثم تراجعنا إلى البيوت ، فلما أصبحنا غدونا إلى النبي - ﷺ - ، فقال - ﷺ - : عُرِضَتْ على الأنبياء الليلة بأتباعها من أممها فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة من قومه والنبي ومعه العصاة من قومه والنبي ومعه النفر من قومه والنبي ليس معه من قومه أحد حتى أتى علي موسى بن عمران في كوكبة من بنى إسرائيل فلما رأيتهم أعجبوني فقلت : يا رب من هؤلاء ؟ فقال : هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بنى إسرائيل قلت : فأين أمتي ؟ قيل : انظر عن يمينك ، فإذا الظراب ظراب مكة قد سد بوجوه الرجال فقلت رب من هؤلاء ؟ قيل لي : أمتك ، فقيل لي : هل رضيت ؟ فقلت : رب رضيت رب رضيت ، فقيل لي : انظر عن يسارك فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال . فقلت : من هؤلاء ؟ قيل : أمتك . قال فقيل لي : هل رضيت ؟ قلت : رب رضيت رب رضيت ، ثم قيل : إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، فأنشأ عكاشة ابن محصن رجل من بنى أسد بن خزيمة فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : اللهم اجعله منهم ، ثم أنشأ رجل آخر فقال : يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة ، ثم قال رسول الله - ﷺ - : فداكم أي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا فإن عجزتم أو قصرتم فكونوا من أهل الظراب فإن عجزتم أو قصرتم فكونوا من أهل الأفق فإني رأيت ثم ناساً يتهوشون كثيراً ، ثم قال نبي الله - ﷺ - : إني لأرجو أن يكون من تبعني من أمتي ربع أهل الجنة قال : فكبرنا ، ثم قال : إني لأرجو أن يكونوا الثلث قال : فكبرنا ثم قال : إني لأرجو أن يكونوا الشطر فكبرنا ، فقل نبي الله - ﷺ - : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ فتراجع المسلمون من هؤلاء لا تراه إلا الذين ولدوا في الإسلام ولم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه قال : فما حديثهم إلى النبي - ﷺ -

قال : ليس كذا ولكنهم الذين لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون « (٣٨٦) .

٤٤٨- وذكر مسلم عن أنى هريرة قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « يدخل من أمتى زمرة هم سبعون ألفا تضییء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » (٣٨٧) وذكر الحديث .

٤٤٩- وقال في حديث سهل بن سعد عن النبي - ﷺ - : « متماسكون آخذ بعضهم بعضاً لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » (٣٨٨) ليس في هذا الحديث ذكر الجنة ، وذكره في حديث آخر (٣٨٩) .

٤٥٠- وذكر أبو داود الطيالسي من حديث رفاعة بن عراية قال : « كنا مع رسول الله - ﷺ - حتى إذا كنا [بالكديد] أو [قال] بقديد جعل رجال منا يستأذنون إلى أهلهم [فيأذن] لهم وحمد الله [وقال خيراً] ثم قال ما بال شق الشجرة الذى يلي رسول الله أبغض [إليكم] من الشق الآخر ؟ فلم تر عند ذلك من القوم إلا باكياً . فقال رجل : يا رسول الله إن الذى يستأذنك بعد هذا لسفيه [ويروى لشقى] فحمد الله وقال خيراً ، وقال : أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه ثم يسدد إلا سلك في الجنة ، قال : [وقد] وعدنى ربي أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب وإلى

(٣٨٦) في الذى قبله ، والحمد لله .

(٣٨٧) * صحيح * البخارى (٤٠٦/١١) ومسلم (٨٨/٣)

(٣٨٨) * صحيح * البخارى (٤٠٦/١١) ومسلم (٩٢/٣) .

(٣٨٩) * قول المصنف . عقب سوقه الحديث . (ليس في هذا الحديث ذكر الجنة ، وذكره في موضع آخر) (١)

* قلت . سبحانه الله (١) كيف والحديثان مُصَنَّرَانِ عندهما بلفظ « لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي . الحديث (١٢)

[لأرجو] أن لا يدخلوها حتى تَبَوُّوا أنتم ومن صلح من أزواجكم
[وَذَرَارِيكُمْ] مساكن الجنة» (٣٩٠).

٤٠١- وذكر الترمذى من حديث أبى أمامة الباهلى قال : سمعت رسول الله
ﷺ يقول : « وعدنى ربي أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً لا
حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثية من
حشاياه » (٣٩١).

٤٥٢- وذكر أبو بكر الشافعى من حديث حذيفة بن اليمان قال : « غاب عنا
رسول الله ﷺ - يوماً فلم يخرج حتى ظننا أن لن يخرج فلما خرج
سجد سجدة ظننا أن نفسه قد قبضت فلما رفع رأسه قال : إن ربي جل وعز
استشارنى فى أمتى : ماذا أفعل بهم ؟ قلت ما شئت يا رب ، هم خلقك
وعبادك . فاستشارنى الثانية فقلت له كذلك ، ثم استشارنى الثالثة فقلت له
كذلك ، فقال : إني لم أخزك فى أمتك وبشرنى أن أول من يدخل الجنة من
أمتى سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ، ثم أرسل إلى
ربي : ادعُ تُجِبْ وسلِّ تُعْطِه ، فقلت لرسوله : أو معطى ربي جل وعز
سؤالى ؟ قال : ما أرسل إليك إلا ليعطيك ولقد أعطاني ربي غير فجزائه غفر
لى ما تقدم وما تأخر وشرح صدرى وأعطاني أن لا تجوع أمتى ولا تُغَلَب
وأنه أعطاني الكوثر نهراً فى الجنة يسيل فى حوضى وأنه أعطاني العزة والنصر
والرعب وأنه أعطاني بأنى أول الأنبياء دخولاً الجنة وطيب لى ولأمتى الغنيمة
وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا فى الدين من حرج فلم
أجد شكراً إلا هذه السجدة » (٣٩٢).

(٣٩٠) * حسن * أخرجه ابن حبان فى « صحيحه » (٢١٧/١) وهو عند الهيثمى فى « المجمع » (٤١١/١٠)
معزو لاس ماجة والطبرانى والبرار قال : « ورحال بعضها عند الطبرانى رحال الصحيح »

(٣٩١) * صحيح * أخرجه الإمام أحمد فى « مسنده » (٢٦٨/٥) والترمذى (٢٤٣٧) والطبرانى فى « الكبير »
(١٢٩/٨/٩ ، ١٣٠) وابن أبى عاصم (٢٦١/١) والبخارى فى « شرح السنة » (١٦٤/١٥) وأورده
الدبلى فى « الفردوس » (٧١١٣) عن أبى أمامة - رضى الله عن سائر الأصحاب - .

(٣٩٢) * حسن * قال الإمام الهيثمى فى « المجمع » (٢٩٠/٢) : « رواه ابن لهيعة وفيه كلام » . اهـ قلت . فكان
ماذا ؟ ابن لهيعة لا ينحط حديثه عن رتبة الحسن !

قوله عليه السلام : « إنه أعطاني ألا تجوع أمتي ولا تغلب » أى لا تجوع كلها ولا تغلب كلها إنما هو إن جاعت في أرض شبت في أخرى وإن غلبت في موضع غلبت هي في موضع آخر .

٤٥٣- وذكر أبو بكر البزار في مسنده من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ - : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعون ألفاً » (٣٩٣) .

٤٥٤- وعن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أن رسول الله ﷺ - قال : « إن ربي عز وجل أعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ، فقال عمر : فهلا استزدته ؟ فقال : استزدته ، فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً قال : فهلا استزدته ، فقال : أعطاني هكذا وبسط باعه فقال هذا من الله تبارك وتعالى لا يدري ما عدده » (٣٩٤) .

(٣٩٣) * حسن * الخبر أورده الإمام الهيثمي في المجمع (٤٠٧/١٠) ساكتاً عليه بعد أن عراه لأبي يعلى (١) وفي « المطالب العالية » (٤٠٩/٤) عزاه شيخ الإسلام لأبي يعلى أيضاً ، وقال الوصيري « ... ورواته ثقات » ا.هـ .

(٣٩٤) * حسن * أورده الحافظ في « المطالب العالية » (٤٠٨/٤) وقال الأعظمي : « قال الوصيري رواه ابن أبي شبة ورواته ثقات ، وأحمد ، فذكره وراد وقال الهيثمي رحمه الله في « المجمع » (٤١٤/١٠) رواه أحمد والنزار سحوه والطبراني سحوه وفي أسابيدهم القاسم بن مهران عن موسى بن عبيد وموسى بن عبيد هذا هو مولى خالد بن عبد الله بن أسيد ذكره ابن حبان في الثقات والقاسم بن مهران ذكره الذهبي في الميراث وأنه لم يرو عنه إلا سليم بن عمرو النخعي . ، وباقي رجال إسناده محتج بهم في الصحيحين ا.هـ .

(٣٢) باب في الشفاعة الثانية في الخروج من النار وذكر خروج من يدخلها من الموحدين

اعلم أنه قد وجب في الحكم الأول والقصة السابقة دخول النار على طوائف من المؤمنين من أوبقتهم سيئاتهم وأحاطت بهم خطيئاتهم ولم تمحصها عنهم عقوبات الدنيا ولا عذاب القبر ولا أهوال يوم الحشر وكل إنسان منهم تنال منه النار بدار عمله وتأخذ منه إلى الحد الذي أمرت به ، ثم إن الله جل جلاله بفضله ورحمته يقبل فهم شفاعة الشافعين ورغبة الراغبين وسؤال السائلين من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين والعلماء وكل من له عند الله تعالى جاه ومنزلة قد بلغها بعمله ونالها بصالح سعيه فإن له شفاعة في أهله وبنيه وأوليائه وأقربيه بل ربما في الرجل كان يعرفه في الدنيا ولم يكن بينهما صحبة ولا كبير معرفة .

واعلم أن الجاه الذي تكون به الشفاعة ويقبل به السؤال وتقضى به الحوائج وتحصل به المنزلة عند الله تعالى إنما يكون اكتسابه في الدنيا وتحصيله هنا بالعمل الصالح على الحد الذي حد فيه والطريق الذي أمر أن يسلكه إليه ومن ذلك العمل : التواضع للمسلمين ولين الجناح لهم واحتمال الأذى منهم والصبر عليهم وإسقاط المنزلة عندهم وطلبها عند خالقهم جل جلاله .

٤٥٥- ذكر مسلم بإسناده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - :
« أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً » (٣٩٥) .

(٣٩٥) شفاعي لأهل الكبائر . * صحيح *

أخرجه الترمذي (٢٤٣٥) وقال . حسن صحيح عريب من هذا الوجه « وأخرجه أيضاً أحمد (٢١٣/٣) وأبو داود (٢٣٦/٤) وابن حبان (١٣٢/٨) والآثرى في « الشريعة » (ص - ٣٣٨) والحدث في « المشكاة » مرقمى (٥٥٩٨ ، ٥٥٩٩) وهو في « صحيح الجامع » (٣٦٠٨) وغيرهم والله تعالى أعلم .

٤٥٦- وذكر أبو عيسى الترمذى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ - : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » (٣٩٦) .

٤٥٧- ويروى عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ - قال : « نِعَم الرجل أنا لشرار أمتى . قالوا : فكيف أنت لخيارهم ؟ قال : أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرار أمتى فيدخلون الجنة بشفاعتى » (٣٩٧) ذكره أبو الحسن الدارقطنى .

٤٥٨- وذكر أبو بكر بن أبى شيبة بإسناده عن أبى موسى الأشعرى : « أن رسول الله ﷺ - كان يجرسه أصحابه قال : فقامت ذات ليلة فلم أره فى منامه فأخذنى ما حَدَّث وما قَدُم ، فقامت أنظر فإذا معاذ بن جبل لقى مثل الذى لقيت [فسمعنا] صوتاً مثل هزير الرِّحَا ، فوقفا على مكاتهما فجاء رسول الله ﷺ - من قِبَل البيوت فقال : تدريان أين كنت - أو فيم كنت ؟ قال : أين كنت ؟ قال : أتانى آتٍ من ربي يخبرنى بين أن يدخل شطر أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فقالا : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا فى شفاعتك فدعا لهما وأقبل وأقبلا معه فكلما لقيه رجل سأله حتى استقبله عظم الناس فأخبرهم فقالوا : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا فى شفاعتك قال : أنتم فى شفاعتى ومن لقى الله لا يشرك به شيئاً فهو فى شفاعتى » (٣٩٨) .

٤٥٩- الترمذى بإسناده عن الطفيل بن أبى عن أبيه عن النبى ﷺ - قال : « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبیین وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » (٣٩٩) .

(٣٩٧) « - ضعيف - » أورده الإمام الهيثمى فى المجمع (٣٨٠/١٠) وقال : رواه الطبرانى فى الكبير وفيه جميع من ثوب الرحبى - قال فيه البخارى « منكر الحديث وقال ابن عدى : رواياته تدل على أنه ضعيف » وبقية رجاله رجال الصحيح « ١٠١ قلت هو عبد الطبرانى فى الكبير برقم (٧٤٨٣) .

(٣٩٨) « صحيح » وهو فى « مسند » الإمام أحمد (٤٠٤/٤) وهو عند الترمذى (٢٤٤١) وغيرهم والله تعالى أعلم .

(٣٩٩) « - صحيح - » أخرجه الترمذى وابن ماجة (٤٣١٤) والحاكم فى « المستدرک » (٧١/١ ، ٧٨/٤) وهو فى « المشكاة » : تم (٥٧٦٨) و « صحيح الجامع » (٧٩٣) .

٤٦٠ - مسلم بن الحجاج من حديث يزيد الفقير قال : « كنت قد شغفني رأى من رأى الخوارج فخرجنا في عصابة ذوى عدد تُريد أن « نُحجَّ » ثم نخرج على الناس قال : فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالسا إلى سارية عن رسول الله - ﷺ - قال [فإذا] هو ذكر الجهنميين قال : فقلت له : يا صاحب رسول الله - ﷺ - ما هذا الذى تُحدثون والله يقول [إنك من تدخل النار فقد أخزيت] و [كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها] فما هذا الذى تحدثون ؟ قال : فقال : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم قال : فهل سمعت بمقام محمد - ﷺ - ؟ يعنى الذى يعثه الله نيه قال : قلت : نعم . قال : فإنه مقام محمد - ﷺ - - المحمود الذى يُخرج الله به من يخرج . قال : ثم [نعت] وضع الصراط ومَرَّ الناس عليه قال : وأخاف أن لا أكون أحفظ ذلك قال غير أنه قد زعم : أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعنى فيخرجون كأنهم عيدان السماسم [قال] فيدخلون [نهراً] من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس . فرجعنا فقلنا : ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله - ﷺ - ؟ فرجعنا قال : والله ما خرج منا غير رجل واحد [أو كما قال أبو نعيم] أراد (٤٠٠) بالراى الذى شغفه من رأى الخوارج تكذيبهم بالشفاعة وقولهم إنه من دخل النار من المذنبين فلن يخرج منها .

٤٦١ - وذكر مسلم أيضاً عن جابر عن عبد الله قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن قوماً يخرجون من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميون » (٤٠١) .

٤٦٢ - وعن أنس عن النبى - ﷺ - قال : « ليصين أقواماً سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون » (٤٠٢) .

(٤٠٠) * صحيح * وهو فى مسلم (٥٠/٣ ، ٥١ ، ٥٢ - نوى) وفى « صحيح أبى عوانة » (١٨٠/١) .

(٤٠١) * صحيح * أخرجه البخارى (٤١٦/١١) ومسلم (٤٩/٣ ، ٥٠) .

(٤٠٢) * صحيح * أخرجه البخارى (٤١٦/١١) وأحمد (١٢٥/٣) وهو فى « صحيح الجامع » (٥٣٣٣) و « صحيح أبى عوانة » (١٨٣/١) .

٤٦٣- وذكر أبو داود الطيالسي من حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ - قال : « ليخرجن أقوام من النار [مُتَّيِّنِينَ] قد [مَحَشَتْهُمْ] النار فيدخلون الجنة برحمة الله وشفاعة الشافعين فيسمون الجهنميين » (٤٠٣) .

٤٦٤- وذكر البزار في مسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي - ﷺ - قال : « أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين يريد الله تبارك وتعالى إخراجهم فتميتهم النار ثم يخرجون منها فيلقون على نهر الحياة فَيُرْسُ عِلْمُهُمْ من مائها فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ويدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين فيدعون الله تعالى فيذهب ذلك الاسم عنهم » (٤٠٤) .

٤٦٥- وذكر مسلم بإسناده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله - ﷺ - قال : « يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته ويدخل أهل النار النار ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون منها حمماً قد امتحشوا فيلقون في نهر الحياة أو الحياء فينبتون كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية » (٤٠٥) .

٤٦٦- وذكر الترمذي بإسناده عن جابر قال قال رسول الله - ﷺ - : « يُعَذَّبُ ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمماً ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما تنبت [العُثَاءَةُ] في حميل السيل ثم يدخلون الجنة » (٤٠٦) .

٤٦٧- ومن مسند أبي بكر بن أبي شيبة عن عمرو بن ميمون أن ابن مسعود حدثهم أن رسول الله - ﷺ - قال : « يكون في النار قوم ما شاء الله ثم

(٤٠٣) * صحيح * مسند الطيالسي (٤١٩) وأحمد من طريقين قال الهيثمي : « رجالهما رجال الصحيح » ١. هـ مجمع (٣٨٣/١٠) وما بين المعكفات بياض بالأصل أكملته من رواية الطيالسي والله تعالى أعلم

(٤٠٤) * صحيح * أخرجه مسلم (٣٧/٣ - نووي) وأبو عوانة في « صحيحه » (١٨٦/١) والآجزي في « الشريعة » (ص - ٣٤٥) .

(٤٠٦) * صحيح * أخرجه مسلم (٤٩/٣ - نووي) وأحمد (٧٧/٣ ، ٩٠) والترمذي (٢٥٩٧) وغيرهم .

- يرحمهم الله فيخرجهم فيكونون [أدنى] الجنة فيغتسلون في نهر الحياة
ويسمهم أهل الجنة الجهنميين لو [أضاف] أحدهم أهل الأرض لاطعمهم
وسقاهم وأحسبه قال وزوجهم لا ينقصه ذلك شيئا « (٤٠٧) .
- ٤٦٨- وذكر أبو بكر الشافعي بإسناده من حديث أبي أمامة عن النبي - ﷺ -
قال : « إن من المؤمنين من يدخل بشفاعته الجنة أكثر من ريعة
ومضر » (٤٠٨) .
- ٤٦٩- وذكر الترمذي من حديث ابن أبي الجداء قال : سمعت رسول الله
- ﷺ - يقول : « يدخل الجنة بشفاعته رجل من أمتي أكثر من بنى تميم .
قيل : يا رسول الله سواك ؟ قال : [سواي] » (٤٠٩) .
- ٤٧٠- وذكر البزار في مسنده عن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول
الله - ﷺ - : « إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة » (٤١٠) .
- ٤٧١- وعن أبي سعيد أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن من أمتي لمن يشفع في
الغمام من الناس ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من
يشفع لرجل وأهل بيته » (٤١١) .

-
- (٤٠٧) * صحيح * الإمام أحمد (٤٥٤/١) وإس حبان في « صحيحه » (٢٥٨/٩) وأورده الديلمي في
« الفردوس » (٨٩٠١) وأورده الهيثمي في « المجمع » (٣٨٦/١٠) وعزاه لأحمد وأبي يعلى وقال :
« رجالهما رجال الصحيح غير عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط » هـ.١
- (٤٠٨) * حسن إن شاء الله * رواه الطبراني في « الكبير » (٨٠٥٩) وفيه أبو غالب وبه علله الهيثمي في
« المجمع » (٣٨٤/١٠ ، ٣٨٥) قال « ... ، رجاله رجال الصحيح غير أبي غالب وقد وثقه غير واحد
وفيهِ ضعف » هـ.١ قلت : ولكن أحرجه بطريق أخرى أحسن من هذه (٧٦٣٨) ومنها أخرجه أحمد
(٢٥٧/٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٧) قال الهيثمي (٣٨١/١٠) رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد وأحد
أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة هـ.١
- (٤٠٩) * صحيح * أخرجه الترمذي (٢٥٥٥ - تحفة) والدارمي في « السنن » (٣٢٨/٢) بأسانيد صحاح والله
تعالى أعلم
- (٤١٠) * في إسناده ضعف * أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٠/٣) وفيه عطية العوفي عن أبي سعيد .
- (٤١١) * إسناده فيه ضعف * أحرجه ابن ماجة في « سننه » (٣٦٨٥) وفيه يريد الرقاشي عن أنس ، وهو في
« المشكاة » (٥٦٠٤) وأورده المنذرى في « الترغيب » (٥٠/٢ - ٥١) وعزاه للطبراني وقال : « وفيه

٤٧٢- وذكر الطحاوي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة صفوفاً وأهل النار صفوفاً فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول له : يا فلان أما تذكر يوماً اصطنعت معروفاً إليك ؟ فيقول : اللهم إن هذا اصطنع إلى في الدنيا معروفاً ، قال : فيقال له : خذ بيده ادخله الجنة برحمة الله عز وجل » قال أنس : أشهد أني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول (٤١٢) .

٤٧٣- وذكر الطحاوي أيضاً من حديث أنى بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : « أصبح رسول الله - ﷺ - ذات يوم فذكر حديثاً طويلاً من حديث يوم القيامة ، ثم ذكر فيه : شفاعة الشهداء قال : ثم يقول الله عز وجل أنا أرحم الراحمين انظروا في النار هل فيها من أحد عمل خيراً قط ؟ فيجدون في النار رجلاً فيقال له : هل عملت خيراً قط ؟ فيقول : لا غير أني قد أمرت ولدي إذا مت فاحرقوني بالنار ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر فاذروني في الريح فوالله لا يقدر على رب العالمين أبداً فيعاقبني إذا عاقبت نفسي في الدنيا عليه قال فيقول الله : لم فعلت ذلك ؟ قال : من مخافتك . فيقول : انظر [إلى] مُلْكٍ أعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثاله » (٤١٣) .

٤٧٤- وذكر أبو بكر البزار من حديث أنى بكرة الثقفي عن النبي - ﷺ - قال : « يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فتقاذع بهم جنبتا الصراط تقاذع الفراش في النار [فينجي الله تعالى برحمته من يشاء] ثم يؤذن

== أبو طلال هلال بن سويد أو ابن أنى سويد ، وثقه البخاري وابن حبان فقط والخر في « ضعيف الجامع » (٦٤٤٧) معرو لا بن ماجه وأخرجه أيضا البغوي في « شرح السنة » (١٨٥/١٥) وفيه أيضا سيء الحفظ ! والله أعلم .

(٤١٣) * صحيح * أخرجه البخاري (٣١٢/١١ ، ٣١٣) ومسلم (٧٠/١٧ - ٧٤ - نووي) وأبو عوانة في « صحيحه » (١٧٥/١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨) ، وعزاه الهيثمي في الجمع (٣٧٧/١٠ - ٣٧٨) لأحمد وأنى يعلى بنحوه والبزار وقال . « ورحلهم ثقات » ا.هـ

للملائكة والنبیین والشهداء والصالحین [أن یشفعوا] فیشفعون ویخرجون ویشفعون ویخرجون » (٤١٤) .

٤٧٥- وذكر مسلم من حدیث أی سعید الخدری « أن ناساً فی زمن رسول الله ﷺ - قالوا : یا رسول الله هل نرى ربنا یوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ - : نعم هل تضارون فی رؤية الشمس بالظهيرة صحواً لیس معها سحاب ؟ وهل تضارون فی رؤية القمر لیلۃ البدر صحواً لیس فیها سحاب ؟ قالوا : لا یا رسول الله . قال : ما تضارون فی رؤية الله تبارک وتعالی یوم القيامة إلا کما تضارون فی رؤية أحدهما ، إذا کان یوم القيامة أذن مؤذن لتتبع کل أمة ما كانت تعبد فلا یبقی أحد کان یعبد غیر الله [سبحانه] من الأصنام والأنصاب إلا یتساقطون فی النار حتی إذا لم یبق إلا [من] کان یعبد الله من برٍّ وفاجر غیر أهل الکتاب فیدعی اليهود فیقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : کنا نعبد عزیر ابن الله ، فیقال : کذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا یا رب فاسقنا فیشار إلهم ألا تردون ؟ فیحشرون إلى النار كأنها سراب یحطم بعضها بعضاً فیتساقطون فی النار ثم یدعی النصارى فیقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : کنا نعبد المسيح ابن الله ، فیقال لهم : کذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد . فیقال لهم : ماذا تبغون ؟ فیقولون : عطشنا یا ربنا فیشار إلهم : ألا تردون ؟ فیحشرون إلى جهنم كأنها سراب یحطم بعضها بعضاً فیتساقطون فی النار حتی إذا لم یبق إلا من کان یعبد الله من برٍّ وفاجر أتاهم رب العالمین [سبحانه] فی أدنى صورة من التی رأوه فیها قال : فما تنتظرون تتبع کل أمة ما كانت تعبد قالوا : یا ربنا فارقنا الناس فی الدنیا ما کنا إلهم ولم نصاحبهم فیقول : أنا ربکم فیقولون : نعوذ بالله منك لا [نشرك] بالله شیئاً مرتین أو ثلاثاً حتی أن بعضهم لیکاد أن ینقلب . فیقول : هل بینکم

(٤١٤) * صحیح * أخرجه الإمام أحمد (٤٣/٥) والطبرانی فی « الصغیر » (٥٦/٢ ، ٥٧) وقال الإمام الهیثمی فی المجمع (٣٦٢/١٠) : « رواه أحمد ورحاله رجال الصحیح ، ورواه الطبرانی فی « الصغیر » و « الکبر » بنحوه ، ورواه النزار أيضاً ورحاله رجال الصحیح » ا.هـ وما بین المعکفات مه

وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون : نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خَرَّ على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا . ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون : اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ . قيل : يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : دَحْضٌ مَزَلَةٌ فيها خطاطيف وكلايب [وحسك] تكون [بنجد] فيها شويكة يقال لها السَّعْدَان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مُسَلِّمٌ ومخدوشٌ مرسل ومكدوسٌ في نار جهنم ، حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد منا شدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون وَيُحْجُّون فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فَتَحَرَّمْ صُورُهُمْ على النار فيُخْرِجُونَ خَلْقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون يا ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا . ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا فيقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا . ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً . وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حُمَمًا [فيلقمهم] في نهر في [أفواه] الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل يكون

أبيض ؟ فقالوا : يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية . قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين . فيقول : لكم عندى أفضل من هذا . فيقولون : يا ربنا أى شيء أفضل من هذا ؟ فيقول رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبداً « (٤١٥) » .

٤٧٦- قال مسلم قال أبو سعيد الخدرى : « بلغنى أن [الصراط] أدق من الشعرة وأحد من السيف » (٤١٦) .

٤٧٧- وذكر مسلم أيضاً من حديث أبى هريرة : « أن ناساً قالوا يا رسول الله - ﷺ - هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله - ﷺ - : « هل تضارون من القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا . قال : فإنكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من [كان] يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من [كان] يعبد القمر القمر ، ويتبع من [كان] يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها [منافقوها] - وذكر الحديث - قال : ويضرب الصراط بين ظهراى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلّم سلّم وفى جهنم كالليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم [المؤمن يقى] بعمله ، ومنهم المجازى حتى ينجى ، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار

(٤١٥) « صحيح » أخرجه البخارى (٢٩٢/٢ ، ٢٩٣ - فتح) وأحمد (٢٩٣/٢ ، ٢٩٤) والنسائى كما فى تحفة الأشراف (٢٧١/١٠) .

(٤١٦) « صحيح » أخرجه مسلم (٣٣/٣ ، ٣٤) وأحمد (١١٠/٦) وأورده الحافظ فى « المطالب العالىة » وسكت عليه البوصرى كما أفاد الأعظمى ر (٣٦٩) وهو فى « الترغيب » (٢١١/٤)

من كان لا يشرك بالله شيئاً فمن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل ، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة فيقول : أى رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبنى ريحها وأحرقنى [ذكاؤها] فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى : هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا أسألك غيره ويعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء [الله] [فيصرف الله وجهه عن النار ؛ فإذا أقبل على الجنة ورآها سكنت ما شاء الله أن يسكت] ثم يقول : أى رب قدمنى إلى باب الجنة فيقول الله له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألنى غير الذى أعطيتك ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك . فيقول : أى رب ويدعو الله ، حتى يقول له : فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك فيعطى ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة [انْفَهَقَتْ] له الجنة فيرى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول : أى رب أدخلنى الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك ألا تسأل غير ما أعطيت ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك . فيقول : أى رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه فإذا ضحك الله منه قال : أدخل الجنة فإذا دخلها قال الله له : تَمَنَّه فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وكَذَا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل : ذلك له ومثله معه . »

قال عطاء بن يزيد : وأبو سعيد الخدرى مع أبى هريرة لا [يَرُدُّ] عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حَدَّثَ أبو هريرة : « إن الله قال لذلك الرجل ومثله معه » قال أبو سعيد : « وعشرة أمثاله معه » يا أبا هريرة ، قال أبو هريرة : ما حفظت إلا قوله : « ذلك لك ومثله معه » قال أبو سعيد : أشهد أنى

حفظت من رسول الله - ﷺ - قوله : « ذلك لك وعشرة أمثاله » قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة (٤١٧) .

٤٧٨- وذكر عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله - ﷺ - قال : « آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها وقال : تبارك الذى نجانى منك لقد أعطانى الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين ثم ترفع له شجرة فيقول : أى رب [أدننى] من هذه الشجرة فلاستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله [عز وجل] : يا ابن آدم لعلى إن أعطيتكها سألتنى غيرها . فيقول : لا يارب ويُعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه . فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها [ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول : أى رب أدننى من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها] لا أسألك غيرها فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدنى ألا تسألنى غيرها ؟ فيقول : لعلى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها ؟ فيعاهده ألا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها [فيستظل] بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولين فيقول : أى رب [أدننى] من هذه فأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدنى ألا تسألنى غيرها ؟ قال : بلى يارب هذه لا أسألك غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول : يارب أدخلنها . فيقول : يا ابن آدم ما [يصبرينى منك] أيرضيك أن [أعطيك] الدنيا ومثلها معها ؟ قال : يارب أتستهزىء منى وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألونى مم أضحك ؟ قالوا : مم تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله - ﷺ - فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزىء

(٤١٧) * صحيح * متفق عليه عند الشيخين ، وتقدم

منى وأنت رب العالمين فيقول : إني لا أستهزئ منك ولكنى على ما أشاء
قادر» (٤١٨) .

٤٧٩- وعن أبي سعيد الخدري عن النبي - ﷺ - في هذا الحديث قال فيه :
« وَيُذَكِّرُهُ اللَّهُ سَلْ كَذَا وَكَذَا فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : هُوَ
لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ . قَالَ : ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ
فَيَقُولَانِ لَهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا وَأَحْيَانَا لَكَ فَيَقُولُ مَا
أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ » (٤١٩) .

٤٨٠- وذكر مسلم من حديث معمر بن هلال العنزي قال : « انطلقنا إلى أنس بن
مالك وتشفعنا بثابت فانتبهنا إليه وهو يصلي [الضحى] فاستأذن لنا ثابت
فدخلنا عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال له : يا أبا حمزة إن إخوانك
من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة قال : [حَدَّثْنَا] محمد
- ﷺ - قال : إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم
فيقولون : يا آدم اشفع لذريتك . فيقول : لست لها ولكن عليكم بنوح
فيأتون نوحاً فيقول : لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الله فيأتون
إبراهيم عليه السلام فيقول : لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كلم الله
فيؤتي موسى فيقول : لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته
[فيؤتي] عيسى عليه السلام فيقول : لست لها ولكن عليكم بمحمد فأؤتي
فأقول : أنا لها فأنتطلق فأستأذن علي ربي فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده
بمحامد لا أقدر [عليه] إلا أن [يُلْهِمُنِيهِ] الله ثم أخرج له ساجداً فيقال لي :
يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تُعْطَهُ واشفع تُشَفَّع . فأقول :
رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقَال : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بَرٍّ أَوْ شَعِيرَةٍ
من إيمان فأخرجه منها فأنتطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم

(٤١٨) * صحيح * أخرجه الإمام أحمد (٤٣/٣ ، ٤٤) ومسلم (٤٢/٣ ، ٤٣) والبخاري (١٨٦/١٥ ، ١٨٧ ،

(٤١٩) * صحيح * وهو في صحيح مسلم (٤٣/٣ ، ٤٤)

(٤٢٠) * صحيح * أخرجه البخاري (٣٩٦/١٣) ومسلم (٦١/٣ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤) والبخاري (١٥٧/١٥) -
(١٦٠) .

آخر له ساجداً فيقال لى : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول : رب أمتى أمتى فيقال لى : انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى [ربى] فأحمده بتلك المحامد ثم أخبر له ساجداً فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول : يا رب أمتى أمتى فيقال لى : انطلق فمن كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل » (٢٠٤) هذا حديث أنس الذى أنبأنا به فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الجبان قلنا : لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مُسْتَحْفٍ فى [دارِ أبى] خليفة قال : فدخلنا عليه فسلمنا عليه فقلنا : يا أبا سعيد جئنا من عند أخيك أبى حمزة فلم نسمع بمثل حديث حدثناه فى الشفاعة ، قال : هيه ، فحدثناه الحديث فقال : هيه ، قلنا : مازادنا ، قال قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع ولقد ترك شيئاً ما أدرى أنسى الشيخ أم كره أن يحدثكم فَتَتَكَلَّمُوا قلنا له : حدثنا ، فضحك وقال : خلق الإنسان من عَجَل ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أُحَدِّثْكُمْ قال : ثم قال : « ثم أرجع إلى روى فى الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم آخر له ساجداً فيقال لى : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول : يا رب إئذن لى فيمن قال لا إله إلا الله قال : ليس ذلك لك أو قال : ليس ذلك إليك ، ولكن وعزى وكبريائى وعظمتى [وجبريائى] لأخرجن من قال لا إله إلا الله » قال فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك أراه قال قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع .

(٣٣) باب ذكر من يخرج من النار برحمة الله تعالى من غير شفاعة أحد

- ٤٨١- قد تقدم حديث مسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي - ﷺ - وذكر خروج من يخرج من النار بشفاعة الملائكة والنبين وغيرهم : « قال فيقول الله عز وجل قد شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط وذكر الحديث » . وقوله عز وجل في الحديث قبل هذا : « وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله » .
- ٤٨٢- وروى سنان بن حرب العباسي سمع ابن عمر عن النبي - عليه السلام - قال : « اشتكت النار إلى ربها عز وجل ضيقها بما فيها من أهلها وحرها وزمهريرها فغمزها فقال : حسبي على عبادي فأخرج منها عدد الجراد والذباب » (٤٢١) ذكره أبو الحسن الدارقطني .
- ٤٨٣- وذكر أبو بكر البزار عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « يأتي على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد يعنى من الموحدين » (٤٢٢) هكذا رواه موقوفاً من حديث عبد الله بن عمر وليس فيه ذكر النبي - ﷺ - .

(٤٢١) * لم أقف عليه ١ فالله تعالى أعلم .

(٤٢٢) * - ضعيف * وقد بينت في حطبة الكتاب أن ليس من شأن تحريج الآثار أو الموقوفات ، ولكن لا بأس من الإشارة هنا إلى أن المصنف لو استغنى عن إيراد هذا الأثر لكان حيراً له ولنا (١) لاسيما وأنه أورد من الأخبار الصحيحة في شأن إخراج الموحدين من النار الشيء الكثير مما يجعل تأثير هذا الأثر هيناً إلى

٤٨٤- ويروى عن سلمان الفارسي - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ - : « لا يدخل الجنة أحد إلا بجوار بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية » (٤٢٣) روى من مسند أحمد بن خالد .

حوارها هذا لو صحّ ، فضلاً عن كونه مثار حذل وأخذ ورد بين علماء المسلمين ، وقد أوردته بعضهم مستنداً به على القول بفناء النار خالف فيه الناس (١) وفيه مسائل ضيقة وعرة لا أحب الخوض فيها - أصلاً - فأورد الهيئى رحمه الله فى المجمع (٣٦٣/١٠) عن أبى أمامة قال قال - ﷺ - : « ليأتين على جهنم يوم كأنها ررع هاح وأحمر تحفّق أنوابها » قال : رواه الطبرانى وفيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف » ١. هـ. وراجع كتاب « الصواعق المرسلة » لابن القيم رحمه الله .

(٤٢٣) « ضعيف » أخرجه الطبرانى (٢٧٢/١٨/٦) وفيه عبد الرحمن ابن زياد ابن أنعم وهو الإفريقى وهو ضعيف . راجع « المجمع » (٤٠١/١٠) .

(٣٤) باب ما أول طعام أهل الجنة

٤٨٥ - ذكر البخاري من حديث أنس بن مالك : « أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم نبي الله - ﷺ - المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال إني سألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرني بهن جبريل آنفاً قال ابن سلام : ذلك عدو اليهود من الملائكة ، قال : أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . قال : يا رسول الله إن اليهود قومٌ بُهتٌ فسَلُّهُمْ عَنِّي قبل أن يعلموا بإسلامي فجاءت اليهود فقال : أَيُّ رَجُلٍ عبد الله فيكم ؟ قالوا : خَيْرُنَا وابنُ خَيْرِنَا وَأَفْضَلُنَا وابنُ أَفْضَلِنَا ، فقال النبي - ﷺ - : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عبد الله بن سلام ، قالوا : أعاده الله من ذلك فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك . فخرج إليهم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قالوا : شَرُّنَا وابنِ شَرِّنَا وَتَنْقِصُوهُ ، قال : هذا أخاف يا رسول الله » (٤٢٤) .

(٣٥) باب من صفة الجنة وما أعد الله لأهلها

قال الله عز وجل : ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ [البقرة / ٢٥]
﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴾ [النساء / ٥٧] ، ﴿ إن المتقين فى جنات وعيون ، ادخلوها بسلام آمين ، ونزعنا ما فى صدورهم من غل ، إخواناً على سرر متقابلين ، لا يمسهم فيها نصب ، وما هم عنها بمخرجين ﴾ [الحجر / ٤٥ - ٤٨] ﴿ وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ [فاطر / ٣٤ - ٣٥] ، ﴿ إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ، ووقاهم عذاب الجحيم ، فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [الدخان / ٥٢ - ٥٧] ، ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [الواقعة / ١٠ - ٢٤] ، ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة إنا أنشأناهم لإنشاء فجعلناهم أبكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين ﴾ [الواقعة / ٢٧ - ٣٨] ، ﴿ وجوه

يومئذ ناعمة لسعها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية ﴿ [الغاشية / ٨ -
١١] ﴾ (٤٢٥) .

٤٨٦- أبو بكر البزار من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي - ﷺ - قال :
« خلق الله تبارك وتعالى الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك
وقال لها : تكلمي فقالت : قد أفلح المؤمنون فقالت الملائكة : طوبى لك
منزل الملوك » (٤٢٦) وهذا يروى موقوفاً عن أبي سعيد قال : « خلق الله الجنة
لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها وقال لها : تكلمي ، فقالت : قد أفلح
المؤمنون ، فدخلتها الملائكة فقالت : طوبى لك منزل الملوك » .

٤٨٧- وذكر الترمذي عن أبي هريرة قال : « قلت يا رسول الله مم خلق الخلق ؟
قال : من الماء . قلنا : الجنة ما بناؤها ؟ قال : لبنة من ذهب ولبنة من فضة
وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من
يدخلها ينعم لا يبؤس ويخلد لا يموت لا يفنى شبابهم ولا تبلى
ثيابهم » (٤٢٧) .

٤٨٨- ومن حديث مسلم عن أبي سعيد الخدري : « أن ابن صياد سأل النبي
- ﷺ - عن تربة الجنة فقال [دَرَمَكَة] بيضاء مسك خالص » (٤٢٨) .

(٤٢٥) « ياهادى الطريق جُرْتُ (!) إنما هو الفَجْرُ أو البَجْرُ (١)
هذا هو ما أعلمنا عليه ونها إليه من حطر سياق الآيات كلها سياقاً واحداً ملائمة إلى سورة أو فواصل
بينها. هذا فضلاً عن الخطأ الفاحش في كتابة الآية (٥٧) من سورة النساء والمشتكى لله وحده .

(٤٢٦) « خير أبي سعيد راجع له « مجمع الزوائد » (١٠/٤٠٠) .

(٤٢٧) « ضعيف » وهو في « جامع الترمذي » (٢٦٤٦ تحفة) وفي إسناده زياد الطائي ، « وهو مجهول من
السادسة أرسل عن أبي هريرة (تقريب ١/٢٧١)

(٤٢٨) « صحيح » وهو في « صحيح مسلم » (٥٢/١٧) نووى

- ٤٨٩- وعن أنس بن مالك عن النبي - عليه السلام - قال : « ادخلت الجنة فإذا فيها جنانذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » (٤٢٩) الجنابذ : القباب واحدها جنبذة .
- ٤٩٠- وذكر مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مصداق ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿ [السجدة / ١٧] فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ » (٤٣٠) .
- ٤٩١- وذكر مسلم أيضاً من حديث سهل بن [سعد] عن رسول الله - ﷺ - قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » (٤٣١) قال أبو حازم : فحدثت به النعمان بن أبي عياش [الزرق] فقال : (٤٣٢) حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي - ﷺ - قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب ذو الجواد المضمر السريع مائة عام لا يقطعها » .
- ٤٩٢- وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يقول الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها و اقرؤا إن شئتم ﴿ وظل ممدود ﴾ ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها و اقرؤا إن شئتم ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ » (٤٣٣) .

(٤٢٩) * أرجو أنه حسن (الترغيب ٤/٢٥٢) .

(٤٣٠) * صحيح * متفق عليه البخارى (٤١٥/٨) ومسلم (١٦٥/١٧) .

(٤٣١) * صحيح * أخرجه البخارى في « بدء الخلق » وفي « التفسير » وفي « الرقاق » (٤١٥/١١) ومسلم (١٦٧/١٧) .

(٤٣٢) * نسبه ليست بالخطوط تميزاً له عن غيره فقال حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي - ﷺ - قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب بالجواد المضمر ... الحديث » وهو صحيح .

(٤٣٣) * صحيح * أخرجه البخارى (٣١٩/٦) والترمذي (٣٢٩٢) وقال : « حسن صحيح » وأحمد (٤٣٨/٢) والنفوى في « شرح السنة » (٢٠٩/١٥) وصححه .

٤٩٣- وأما ما أخرجه البخارى من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال :
« إن فى الجنة شجرة يستظل الراكب فى ظلها مائة سنة وافرؤا إن شتم
﴿ وظل ممدود ﴾ [ولقَابُ قَوْسٍ أْحَدُكُمْ مِنْ] الجنة خير مما طلعت عليه
الشمس أو تغرب » (٤٣٤) .

٤٩٤- وذكر الترمذى من حديث أبى هريرة : قال : قال رسول الله - ﷺ - :
« ما فى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » (٤٣٥) .

٤٩٥- ومن مسند البزار عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله - ﷺ - :
« إن فى الجنة شجرة مستقلة على ساق واحدة عرض ساقها ثنتان وسبعون
سنة » (٤٣٦) .

٤٩٦- وذكر ابن المبارك عن سليم بن عامر قال : « كان أصحاب النبى - ﷺ -
يقولون : إنه لينفعنا الله بالأعراب ومسائلهم أقبل أعرابى يوماً فقال :
يا رسول الله لقد ذكر الله فى الجنة شجرة مؤذية وما كنت أدرى فى الجنة
شجرة تؤذى صاحبها فقال رسول الله - ﷺ - : وما هى ؟ قال السدر
فإن له شوكة مؤذياً فقال رسول الله - ﷺ - : أو ليس يقول ﴿ سدر
مخضود ﴾ خضد الله شوكه فجعل مكان كل ذى شوكة ثمرة فإنها لتنبت ثمراً
تفريق التمرة منها على اثنين وسبعين لوناً طعام ما فيه لون يشبه الآخر » (٤٣٧)
ويروى ثمراً بالثاء المثلثة فيها كلها .

٤٩٧- وقال عليه السلام : « وذكر سدره المنتهى وإذا ثمرها كالقلال » (٤٣٨) ذكره

(٤٣٤) * صحيح * أخرجه البخارى (٣١٩/٦ ، ٣٢٠) والترمذى (٢٥٢٤) وما بين المعكفين أكملته من رواية
البخارى .

(٤٣٥) * حسن * الترمذى فى جامعه من طريق زياد بن الحسن بن الفرات القزاز عن أبيه عن أبى حارم عن أبى
هريرة وقال حديث حسن غريب من حديث أبى سعيد .هـ. وأخرجه ابن حبان فى صحيحه (٢٥٠/٩)
والبيهقى فى « العث والشور » (ص ١٦٧) .

(٤٣٦) * حسن * قال الإمام الهيثمى فى « المجمع » رواه الرار والطبرانى وإسناد الطبرانى حسن

(٤٣٧) * صحيح * أورده السيوطى فى « الدر المنثور » (١٥٦/٦) وأخرجه الحاكم فى « المستدرک » (٤٧٦/٢)
وقال « صحيح الإسناد » ولم يخرجاه ووافقه الدهمى وهو كما قالوا والله أعلم .

(٤٣٨) - صحيح * أخرجه البخارى (٣٠٢/٦) ومسلم (٢٠٩/٢ - ٢١٥) .

مسلم بن الحجاج رحمه الله .

٤٩٨- وذكر مسلم أيضاً عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة . فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟ فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب وأى شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أجل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً » (٤٣٩) وذكر مسلم أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن أهل الجنة ليتراءون [أهل الغرف] من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغائر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم . قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » (٤٤٠) .

٥٠٠- وذكر مسلم أيضاً عن محمد بن سيرين قال : « أما تفاخروا وأما تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء » فقال أبو هريرة ألم يقل أبو القاسم - ﷺ - : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي بعدها على أضواء كوكب دري في السماء لكل إمريء منهم زوجتان اثنتان يرى نغ سوقها من وراء اللحم وما في الجنة أعزب » (٤٤١) .

٥٠١- وذكر الترمذي عن أبي سعيد عن النبي - ﷺ - : « إن أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب في السماء لكل واحد منهم زوجتان

(٤٣٩) * صحيح * متفق عليه البخاري (٤١٥/١١) ومسلم ، وأبو عوانة (١٨٢/١ ، ١٨٣) من طريق جعفر بن عوف قال ثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم به كما عند الشيخين .

(٤٤٠) صحيح متفق عليه أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد وكذا مسلم (٢٨٣٠) وأحمد (٣٤٠/٥) والطبراني في الكبير (٥٧٦٢)

(٤٤١) * صحيح . متفق عليه أخرجه البخاري (٣١٨/٦) ومسلم (١٧٠/١٧) .

على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها» (٤٤٢) .
 ٥٠٢- وذكر مسلم بن الحجاج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - :
 « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على
 أشد كوكب درى في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخضون
 ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم
 الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً
 في السماء» (٤٤٣) .

٥٠٣- وذكر مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - :
 « إن أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين
 يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك منازل لا يتغوطون ولا
 يبولون ولا يتمخضون ولا يبصقون أمشاطهم الذهب ومجامرهم الألوة
 ورشحهم المسك أخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم آدم عليه
 السلام ستون ذراعاً في السماء» ويروى : على خلق (٤٤٤) .

٥٠٤- وذكر أيضاً من حديث أبي هريرة عن رسول الله - ﷺ - قال : « أول
 زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا
 يتمخضون فيها ولا يتغوطون فيها أنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة
 ومجامرهم من الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ
 ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباعض ، قلوبهم
 قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا» (٤٤٥) .

٥٠٥- وذكر من حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله - ﷺ - :
 « يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يتمخضون ولا يبولون

(٤٤١) صحيح - متفق عليه . البخارى (٣١٨/٦) ومسلم (١٧٣/١٧) .

(٤٤٢) صحيح - متفق عليه : البخارى (٣١٨/٦) ومسلم (١٧١/١٧) .

(٤٤٤) صحيح - متفق عليه . البخارى (٣٢٦/٦) ومسلم (١٧٢/١٧) .

(٤٤٥) صحيح - متفق عليه : البخارى (٣١٨/٦) ومسلم (١٧٣/١٧) .

ولكن طعامهم ذلك [حُشَاء] كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس « (٤٤٦) » .

٥٠٦- وذكر النسائي من حديث زيد بن أرقم قال : « جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ - فقال : يا أبا القاسم أتزعمون أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ فقال : إى والذي نفسى بيده إن الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة . قال الرجل : فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس فى الجنة أذى فقال النبي ﷺ - : حاجة أحد منهم رشح يفيض من جلده فإذا بطنه قد ضمير (٤٤٧) » .

٥٠٧- وذكر الترمذى من حديث أنس بن مالك قال : « سئل رسول الله ﷺ - : « ما الكوثر ؟ قال : ذلك نهر أعطانيه الله ، يعنى فى الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجُزر ، قال عمر : إن هذه لناعمة . قال رسول الله ﷺ - : آكلها أنعم منها » (٤٤٨) » .

٥٠٨- ومن مسند البزار عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ - : « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتبهه فيجىء مشويا بين يديك » (٤٤٩) » .

٥٠٩- أبو بكر بن عبد الله الشافعى من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ - : « يبعث أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد ثلاث وثلاثين سنة »

(٤٤٦) صحيح - أخرجه مسلم (١٧٣/١٧) والترمذى (٢/١٠) عارضة

(٤٤٧) * صحيح * أخرجه ابن حبان فى « صحيحه » (٢٥٦/٩) والبيهقى فى « البعث والشور » (ص ١٨٦) سحوه

(٤٤٨) * صحيح - متفق عليه : أخرجه البخارى (٧٣١/٨) ومسلم (١١٢/٤) .

(٤٤٩) * ضعيف * قال الإمام الهيثمى فى « المجمع » (٤١٧/١٠) رواه البزار وفيه حميد ابن عطاء الأعرج وهو ضعيف وقال المدرى فى « الترغيب » (٢٦٠/٤) رواه ابن أبى الدنيا والبرار والبيهقى قلت : هو فى كتاب « البعث والشور » وليس فى السنن - تبا يتبادر - عند إطلاق لفظ البيهقى (ص ١٨٧) وفى إسناده حلف ابن خليفة ذكره الإمام الدهمى فى « الميراث » وذكر له هذا الخبر من منكره

(٤٥٠) صحيح بمجموع طرقه - أخرجه الترمذى (٢٦٦٩-تحفة) وكذا أخرجه أحمد وابن أبى الدنيا والطبرانى والبيهقى وقال الترمذى حديث عريب وبعض أصحاب قتادة رواوا هذا عن قتادة مرسلاً ولم يسندوه . قال الهيثمى فى « المجمع » (٤٠١/١٠) رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده جيد

- جُرْدًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ ثُمَّ يَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ فَيَكْسُونَ مِنْهَا لَا تَبْلَى ثِيَابَهُمْ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ» (٤٥٠) ذكره الترمذى وحديث أبى بكر أكمل .
- ٥١٠- وذكر الترمذى أيضاً عن أبى سعيد الخدرى عن النبى - ﷺ - قال : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يُرَدُّونَ بنى ثلاثين فى الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار » .
- كذا قال ثلاثين (٤٥١) ، والأول أحسن إسناداً .
- ٥١١- وذكر مسلم من حديث أبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » (٤٥٢) .
- ٥١٢- وذكر مسلم أيضاً من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى - ﷺ - قال : « ينادى مناد إن لكم أن تصيحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٥٣) .
- ٥١٣- وعن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى - ﷺ - قال : « إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم فلا يرى بعضهم بعضاً » (٤٥٤) .
- ٥١٤- وبهذا الإسناد أن رسول الله - ﷺ - قال : « فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً فى كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين يطوف عليهم المؤمن » (٤٥٥) .

(٤٥١) * صحيح * وهو فى « صحيح الجامع » (٧٩٢٨) وأخرجه أحمد (٢٤٣/٥) والترمذى (٢٥٤٥) وهو فى « المشكاة » برقم (٥٦٣٩) وأورده الديلمى فى « الفردوس » (٨٩١٠) وقال الهيثمى فى « المجموع » رواه الطبرانى فى « الصغرى » والأوسط وإسناده حسن

(٤٥٢) صحيح * أخرجه مسلم (١٧٤/١٧) وأحمد (٣٧٠/٢) و٤٠٧ و٤١٦ والدارمى (٣٣٢/٢) والعمري فى « شرح السنة » (٢٢٠/١٥) .

(٤٥٣) تقدم فى الذى قلبه والحمد لله أولاً وآخراً .

(٤٥٤) صحيح أخرجه البخارى (٣١٨/٦) ومسلم (١٧٥/١٧)

(٤٥٥) قوله : وهذا الإسناد . إلخ

٥١٥- وذكر الترمذى من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ - : « إن أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم وإثنتان وسبعون زوجة وتنصب لهم قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين [الجابية] إلى صنعاء » (٤٥٦) .

٥١٦- وذكر الترمذى من حديث على بن أبى طالب قال : قال رسول الله ﷺ - : « إن فى الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام إليه أعرابى فقال : [لِمَنْ هى] يا رسول الله ؟ قال : هى لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى الله بالليل والناس نيام » (٤٥٧) .

٥١٧- وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ - : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لَمَنْ ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية » ثم قرأ رسول الله ﷺ - : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ (٤٥٨) وهذا يروى عن ابن عمر موقوفاً .

٥١٨- وذكر الترمذى عن أنس أن رسول الله ﷺ - قال : « لغدوة فى سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع يده فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى

== قلت : أين هو (؟) يرحمك الله (١٢) قال : قال رسول الله ﷺ - فى الحنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ..
إلخ الحديث تقدم تحريمه آنفاً عند الشيخين وغيرهما والله تعالى أعلم .

(٤٥٦) ضعيف « أخرج الترمذى (٢٦٨٧) وفيه رشدين بن سعد ودراج عن أبى الهيثم وهذا إسناد واحد بمرّة .

(٤٥٧) إسناده ضعيف وهو صحيح أخرجه الترمذى (٢٦٤٧ - تحفة) وأبو يعلى (٤٢٨ ، ٤٣٨) وعبد الله بن أحمد فى « روائد المسند » وابن السنّى فى « عمل اليوم والليلة » (٣٢٠) قال الترمذى هذا حديث غريب لا يعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحق وقد تكلم بعض أهل الحديث فيه من قبل حفظه . والله تعالى أعلم .

(٤٥٨) ضعيف « رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى أسانيدهم ثوير بن أبى فاختة وهو مجمع على ضعفه . هـ .
(٤٠٤/١٠) .

الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا [ولنصيفها] على رأسها
خير من الدنيا وما فيها» (٤٥٩) .

٥١٩- وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي - ﷺ - قال : « لو أن ما يقل
[ظُفر] [مما] في الجنة بذا [لترخرفت] له ما بين [خوافق] السموات
والأرض ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدت أساوره لطمس ضوء
الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم » (٤٦٠) .

٥٢٠- وعن أبي سعيد الخدري عن النبي - ﷺ - قال : « إن عليهم التيجان إن
أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب » (٤٦١) .

٥٢١- وذكر الترمذى أيضاً عن عبد الله بن مسعود عن النبي - ﷺ - قال :
« إن المرأة من نساء أهل الجنة ليُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتّى
يُرى مُخْهَا » وذلك بأن الله عزّ وجل يقول : ﴿ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ
وَالْمَرْجَانُ ﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته
لأرّيته من وراءه » ويروى هذا عن عبد الله بن مسعود قوله .

٥٢٢- وذكر مسلم من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله
- ﷺ - : « إني [لأُعرف] آخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج
منها زحفا فيقال له : انطلق ادخل الجنة ، قال : فيذهب فيدخل الجنة فيجد
الناس قد أخذوا المنازل ، فيقال له : أتذكر الزمان الذي كنت فيه ؟ فيقول :

(٤٥٩) صحيح * أخرجه البخارى (١٣/٦) ومسلم (٢٦/١٣ - ٢٧) .

(٤٦٠) إسناده ضعيف وهو صحيح أخرجه أحمد (١٧١، ٦٩/١) ونعيم بن حماد في « زوائد الزهد » (٤١٦)
والبغوى في شرح السنة (٢١٤/١٥) والترمذى (٢٦٦١ تحفة) وقال غريب لا يعرفه هذا الإسناد إلا من
حديث ابن لهيعة . وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث وقال عن عمر ابن سعد عن النبي - ﷺ -
١. ورواية يحيى بن أيوب التي أشار إليها الترمذى أخرجه البخارى في « التاريخ الكبير »
(٢٠٨/٢/٣) ،... والترمذى بهذا القول يريد أن يعلل رواية ابن لهيعة - والواقع أن رواية ابن لهيعة أصح
من رواية يحيى بن أيوب قطعاً لأن الراوى عنه ابن المبارك وهو أحد الذين سمعوا عنه قبل الاختلاط ١. هـ
والله أعلم

(٤٦١) ضعيف * أخرجه الترمذى والحاكم (٤٢٦/٢ ، ٤٢٧) وهو في « المشكاة » (٥٦٤٨) و « ضعيف
الجامع » (١٨٨٠) .

نعم ، فيقال : له [تَمَنَّ] فيتمنى فيقال له : لك الذى تمنيت وعشرة
أضعاف الدنيا ، فيقول : أتسخر بى وأنت الملك ؟ قال فلقد رأيت رسول
الله - ﷺ - ضحك حتى بدت نواجذه « (٤٦٣) » .

٥٢٣- وعنه قال قال رسول الله - ﷺ - : « إني لأعلم آخر أهل النار خروجا
منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبواً فيقول له الله :
اذهب فادخل الجنة فيأتها فيخيّل إليه أنها [ملأى] فيرجع فيقول : يارب
إنها [ملأى] فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة قال : فيأتها فيخيّل إليه أنها
[ملأى] فيرجع فيقول : يارب وجدتها [ملأى] فيقول الله له : اذهب
فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها - أو فإن لك عشرة أمثال
الدنيا - قال : فيقول : أتسخر بى أو تضحك بى وأنت الملك ؟ فلقد رأيت
رسول الله - ﷺ - ضحك حتى بدت نواجذه قال وكان يقال ذلك أدنى
أهل الجنة منزلة « (٤٦٤) » .

٥٢٤- وذكر مسلم أيضاً عن المغيرة بن شعبة عن النبى - ﷺ - قال : « سأل
موسى عليه السلام ربه قال ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء
بعدهما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له : ادخل الجنة فيقول : [أى] رب
كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أحذاتهم فيقال : له أترضى أن يكون
لك مثل مُلْكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ، فيقول : ذلك
لك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة : رضيت رب ، قال : رب
فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردتُ غرست كرامتهم بيدى [أى]
وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر » قال

(٤٦٢) « ضعيف » أخرجه الترمذى (٢٦٥٤ تحفة) وإسناده ليس بذلك وإس حبان فى « صحيحه » (٢٤٤/٩)
وهو فى ضعيف الجامع (١٧٧٦) .

(٤٦٣) « صحيح » أخرجه مسلم فى « صحيحه » (٣٩/٣ ، ٤٣) .

(٤٦٤) « صحيح » وما أدرى السر فى تكرير الرواية وقد مرت قل فى الرواية الفاتنة مباشرة من طريق عثمان بن أبى
شبة وإسحق بن إبراهيم الحنظلى كلاهما عن جرير عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال .
فذكره مرفوعاً وما بين المعكفات من رواية الصحيح .

ومصادقه من كتاب الله عز وجل : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ (٤٦٥) الآية .

٥٢٥- وذكر النسائي من حديث أنس عن النبي - ﷺ - قال : « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » (٤٦٦) قالوا يا رسول الله أو يطيق ذلك قال : يعطى قوة مائة .

٥٢٦- وذكر البزار في مسنده عن أبي هريرة قال : « قيل يا رسول الله أنفضى إلى نسائنا في الجنة ؟ قال : إى والذي نفسى بيده إن الرجل ليفضى في اليوم الواحد إلى مائة عذراء » (٤٦٧) .

٥٢٧- وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله - ﷺ - : « أهل الجنة إذا جامعوا نسأهم عادوا أبكاراً » (٤٦٨).

٥٢٨- وذكر الترمذی من حدیث سلیمان بن بريدة عن أبيه : « أن رجلاً سأل النبي ﷺ - فقال : يا رسول الله هل في الجنة من خيل ؟ قال : إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها [على] فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت [إلا فعلت] » (٤٦٩) .

قال : وسأله رجل فقال : يا رسول الله هل في الجنة من إبل ؟ قال : فلم يقل له ما قال لصاحبه [فقال] إن يُدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتيت نفسك ولذت عينك .

٥٢٩- وذكر الترمذی من حدیث عبادة بن الصامت أن رسول الله - ﷺ - قال : « فی الجنة مائة درجة ما بین کل درجتین کما بین السماء والأرض

(٤٦،٥) - صحيح أخرجه مسلم في صحيحه (٤٤/٣ - ٤٦).

(٤٦٦) - صحيح أئرحه الترمذى (٢٦٥٩ تحفة).

(٤٦٧) - حسن إن شاء الله الديلمي في « الفردوس » (٧٠٨٥) قال الإمام الهيثمي في « المجمع » (٤٢٠/١٠) رواه الطبراني في « الصعبر » و « الأوسط » ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن ثواب وهو ثقة.

(٤٦٨) ضعيف - أورده الإمام الهيثمي وقال عقمة رواه البزار والطبراني في الصغیر وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب ا.هـ قلت . راجع المطالب العاليه (٤٠١/٤)

(٤٦٩) حسن إن شاء الله^{تعالى} أخرجه الترمذی (٢٦٦٦ تحفة) وفي إسناده المسعودی وهو ثقة كان احتلط والله أعلم.

والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألت الله فاسأله الفردوس» (٤٧٠).

٥٣٠- وذكر الترمذى أيضا من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ - : « في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين عام » (٤٧١).

٥٣١- وذكر الترمذى أيضا عن أبى سعيد الخدرى عن النبى - ﷺ - قال : « إن في الجنة مائة درجة لو أن [العالمين] اجتمعوا في إحداها لوسعتهم » (٤٧٢).

٥٣٢- وذكر النسائى من حديث أبى هريرة أن النبى - ﷺ - قال : « من ليس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة ، ومن شرب في آنية الذهب والفضة في الدنيا لم يشرب بها في الآخرة » (٤٧٣) ثم قال رسول الله - ﷺ - : « لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة » .

٥٣٣- وذكر مسلم من حديث أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى - ﷺ - قال : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » (٤٧٤).

٥٣٤- وذكر الترمذى عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبى - ﷺ - قال : « إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعده » (٤٧٥).

(٤٧٠) صحيح - أخرجه الترمذى (٢٦٥١) وهو في المشكاة برقم (٥٦١٧) « صحيح الجامع » والصحيحة (٩٢٢).

(٤٧١) صحيح إن شاء الله أخرجه الترمذى (٢٦٤٩) وقال : حسن عريب وأورده المذرى في « الترغيب » (٢٥٠/٤) وقال رواه الطبرانى في « الأوسط » وهو في « صحيح الجامع » (٤١٢١) وراجع « الصحيحة » (٩٢٢).

(٤٧٢) * ضعيف * أخرجه الترمذى (٢٦٥٣) من طريق ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد

(٤٧٣) صحيح . متفق عليه أخرجه البخارى في « اللباس » وسلم (١٦٤٥).

(٤٧٤) صحيح - متفق عليه البخارى (٦٢٣/٨) ومسلم (١٦/٢).

(٤٧٥) صحيح إن شاء الله أخرجه الترمذى (٢٥٧١) وأحمد (٥/٥) واس حيان (٢٦٢٣) والدارمى (٢٤٣/٢)

٥٣٥- ويروى عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « أنهار الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال مسك » ذكره [ابن حبان وغيره] (٤٧٦) .

٥٣٦- وذكر من حديث علي بن أبي طالب قال قال رسول الله - ﷺ - : « إن في الجنة مجتمعا للحدود العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن : نحن الخالدات فلا نبئد ونحن الناعمات فلا [نبأس] ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له » (٤٧٧) .

٥٣٧- وذكر البخاري عن سهل بن سعد عن النبي - ﷺ - قال : « للجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون » (٤٧٨) .

٥٣٨- وذكر الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله - ﷺ - : « المؤمن إذا اشتى الولد في الجنة كان حمله ووضع وسنه في ساعة كما يشتهى » (٤٧٩) .

قال إسحاق بن إبراهيم : إذا اشتى ولكن لا يشتهى يريد أنه لا توالد في الجنة كما جاء عن النبي - ﷺ - .

= وأبو نعم في الحلية (٢٠٤/٦) كلهم من طريق سعيد بن إياس الحريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه مرفوعاً به وعنه أخرجه النهقي في « البعث والنشور » ص (١٦٧) وفي الدر المنثور (٤٩/٦) عزاه السيوطي لاس المنذر وابن مردويه والنهقي في « البعث » وفي « المطالب العالة » (٤٠٢/٤) عزاه شيخ الإسلام للحارث وقال الأعظمي قال الموصري رواه الحارث مرسلأ ورواه تقات

(٤٧٦) حسن إن شاء الله أخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٢٤٩/٩) .

(٧٧) : إسناده ما هو بذلك قال الهيثمي في « المجمع » (٤٢٠/١٠) رواه الطبراني في الأوسط والكمير سحوه وفي إسنادهما سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف .

(٧٨) : صحيح . متفق عليه أخرجه البخاري (٣٢٨/٦) ومسلم (٢٢/٨) .

(٤٧٩) أرجو أنه حسن أخرجه الترمذي (٢٦٨٨) وقال حسن غريب .

(٣٦) باب ما جاء أن أهل الجنة لا ينامون

٥٣٩- ذكر البزار في مسنده عن جابر بن عبد الله قال : قيل يا رسول الله : « أينام أهل الجنة ؟ قال : لا ، النوم أخو الموت (٤٨٠) . زاد أبو الحسن الدار قطنى « والجنة لا موت فيها » ذكره من حديث جابر أيضا .

(٣٧) باب ما جاء في زيارة أهل الجنة ربهم

٥٤٠- ذكر الترمذى عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة : « أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة فقال سعيد أفهما سوق ؟ قال : نعم ، أخبرنى رسول الله - ﷺ - أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من يافوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فهم من دنى على كئبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا قال أبو هريرة : قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا ؟ قال : نعم هل تتأرون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا ، قال : كذلك لا تتأرون فى رؤية ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل [إلا] حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل فهم : يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته فى

(٤٨٠) صحيح : قال الهيثمى (١٨/١٠) رواه الطبرانى فى الأوسط والزار ورجاله رجال الصحيح - قلت وأخرجه البيهقى فى العث ص ٢٣٧ .

الدنيا فيقول : يارب أفلم تغفر لي ؟ فيقول بلى فبسعة مغفرتي بلغت بك منزلتك هذه [فبينما] هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ويقول ربنا قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما [اشتهيتم] فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة [فيه] ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يُبَاعُ فيها ولا يُشْتَرَى وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً قال : فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فهم دَنَى فَيَرَوْعُهُ ما يرى عليه من اللباس [فما] ينفضي آخر حديثه [حتّى] يتخيل [عليه] ما هو أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلفانا أزواجنا فيَقُلْنَ : مرحباً وأهلاً لقد جئت وإن [لك] من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فيقول : إنا جالسنا اليوم رَبَّنَا الْجَبَّارَ جَلَّ جَلَالُهُ [وَيَحِقُّ لَنَا] أن ننقلب بمثل ما انقلبنا (٤٨١) .

(٤٨١) صحيح . أخرجه مسلم (١٧٠/١٧) والترمذي (٢٦٧٣) وابن ماجة (٤٣٣٦) والدارمي (٣٣٨/٢) والمهقي في « العث والنشور » (ص ٢٠٤) .

(٣٨) باب

٥٤١- وذكر الترمذى من حديث صهيب عن النبي - ﷺ - في قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس / ٢٦] قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مُنادٍ : إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، قالوا : ألم يُبَيِّضْ وجوهَنَا ؟ ألم يُنَجِّنَا من النار ؟ ألم يدخلنا الجنة ؟! قالوا : بلى ، فيُكشَفُ الحجابُ فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه (٤٨٢) .

(٣٩) باب ما جاء أن في الجنة سوقاً

٥٤٢- ذكر مسلم من حديث أنس بن مالك أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم ويزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلهم : والله لقد ازدددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون : وأنتم والله لقد ازدددتم بعدنا حسناً وجمالاً » (٤٨٣) .
وأنشدوا :

لمن ظل بجنات الخلود يبرد حراً بقاس العميد .
برد من الصبا ما كان غصاً ويطلع فوقه نجم الصعود .
ويجمع قاضيات للأمانى شردن عليك أيام الشرود .

(٤٨٢) صحيح : أخرجه الترمذى وكان من الألبق عزوه إلى مسلم فقد أخرجه في كتاب « الإيمان » من « صحيحه » (١٨١) والبعوى (٣٢٠/١٥) .

(٤٨٣) صحيح . أخرجه مسلم (١٧٠/١٧) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله - ﷺ - قال : مذكره

وزد ما شئت من أمل بعيد فقد أسعفت بالأمل البعيد .
 لمن تلك القصور مشيدات وليس كما عهدت من المشيد .
 قصور ما قصور ما قصور تريك عجائب الملك الحميد .
 ذهبت لوصفها فعجزت عنه كعجز الماء يذهب للصعود .
 لمن تلك القباب مكللات يصيب العيش والعمر المديد .
 أمان من تصاريف الليالي ويأسعاد جديد في جديد .
 ملين بكل قاصرة لغوب تاللاً فوق مطلعها السعيد .
 كأن الحسن خص به رواها فليس على رواها من مزيد .
 تماشى من شداها في رياض وتخطو من سناها في برود .
 يحار الطرف إن ينظر إليها ويشخص في حدود أو قدود .
 عجبته لها ولي تدنو وأتأني وتدعوني وأعرض في صدود .
 وما هذاكم إلا لأنى نزلت بهمتي تحت الصعيد .
 وأعظم حسرة من ذاك جهلى بخالقها وجهلى بالرعيد .
 ولو أنى استضأت بنور علم يوقفنى على رأى السديد .
 لآثرت الإله ولم ألاحظ سواه من طريف أو تليد .
 ولكنى وردت جياض دنيا شرعت بهن في ماء صديد .
 على علم وردت بسوء رأى وجهلى بالمقاصد والقصود .
 فمن لى والمنا خلو جناها ومهلها شهى للورود .
 بعلم مؤيد [فطن] لبيب وتوبة حازم جلد شديد .
 تريحه البدر في ظلم الدياجى وتنهضه بأثقال العهود .
 لعل عوارف الرحمن تصفو بذاك على سؤال مستريد .
 فتورده موارد صافيات فطعم المسك بالعذب البرود .
 وإلا صب في مهوى عميق ودُحرج من ذرى طود بعيد .

(٤٠) باب من صفة النار وصفة أهلها وما أعد الله لهم فيها

قال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نَصْلِبُهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء / ٥٦] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف / ٤٠] ، ﴿ ٤١ ﴾ ، ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ ﴾ [الأنبياء / ٣٩] ، ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ تَصِيبُ مِنْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمَ . يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ . وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ . كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج / ١٩ - ٢٣] ، ﴿ تَلْفَحُ وَجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ [المؤمنون / ١٠٤] ، ﴿ أُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر / ٧٢] ، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ . وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ . فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [فاطر / ٣٦ ، ٣٧] ، ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ خَذُوهُ فاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴾ [الدخان / ٤٣ - ٤٨] ، ﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وظل من يحموم لا بارد ولا كريم ﴾ [الواقعة / ٤١ - ٤٤] ، ﴿ خَذُوهُ فَعُْلُوهُ ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلَّوهُ ثُمَّ فِي

سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون ﴿ [الحاقة / ٣٠ - ٣٧] ، ﴿ إن لدينا أنكالا وجحيما . وطعاما ذا غصة وعذابا أليما ﴾ [المزمل / ١١ ، ١٢] ، ﴿ إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لآبئين فيها أحقابا لا يذوقون فيها برّداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً جزاءً وفاقاً إنهم كانوا لا يرجون حساباً وكذبوا بآياتنا كذباً وكل شيء أحصيناه كتاباً فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ [النبا / ٢١ - ٣٠] ، ﴿ هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تُسقى من عين آية ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع ﴾ [الغاشية / ١ - ٧] .

٥٤٣- وذكر الترمذى من حديث أبى هريرة عن رسول الله - ﷺ - قال : « لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال : انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال : فجاءها فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها قال : فرجعي إليه [قال : فوعزتك] لا يسمع بها أحد إلا دخلها فأمر بها فحُفَّت بالمكاره فقال : ارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها قال : فرجع إليها فإذا هي قد حُفَّت بالمكاره فرجع إليه فقال : وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد . قال : اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هي يركب بعضها بعضاً فرجع إليه فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فأمر بها فحُفَّت بالشهوات فقال : ارجع إليها فرجع إليها ﴿ فإذا هي قد حُفَّت بالشهوات فرجع إليه ﴾ فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها » (٤٨٤) .

٥٤٤- وذكر مسلم من حديث شقيق عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يؤتى بجهنم يومئذ ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » (٤٨٥) .

(٤٨٤) صحيح - أخرجه البخارى (٣٢٠/١١) ومسلم (١٦٥/١٧) .

(٤٨٥) صحيح - أخرجه مسلم (١٧٩/١٧) والترمذى (٢٦٩٨ تحفة) .

٥٤٥- ومن حديث مسلم أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « ناركم هذه التي يُوقَدُ ابنُ آدمَ جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم . قالوا : والله إن كانت لكافية يا رسول الله . قال : فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها » (٤٨٦) .

٥٤٦- وذكر سفيان بن عيينه من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - : « ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ولولا أنها ضربت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة » (٤٨٧) .

٥٤٧- وذكر الترمذى من حديث أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة » (٤٨٨) .

٥٤٨- ومن حديث مسلم عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « كنا مع رسول الله - ﷺ - إذ سمع وجبة فقال النبي - ﷺ - : تدرون ما هذا ؟ قال : قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا حجر رمى به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار ، الآن حين انتهى إلى قعرها » (٤٨٩) .

ويروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير البشر فإذا رفعهم أشرفوا على [أهل] الجنة وبينهم وبينهم حجاب فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾ وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يرون الأنهار تطرد بينهم : ﴿ أن أفيضوا علينا من

(٤٨٦) صحيح ، أخرجه مسلم (١٧/١٧٩) والترمذى (٢٧١٥ تحفة) .

(٤٨٧) صحيح . أخرجه الإمام مالك (٢/٩٩٤) والبخارى (٦/٣٣٠) .

(٤٨٨) ضعيف بهذا الإسناد أخرجه الترمذى (٢٧١٧ - تحفة) من طريق يحيى بن بكير أحبرنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال الترمذى وحديث أبي هريرة هذا موقوف أصح ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك هـ .

(٤٨٩) صحيح * أخرجه مسلم في الصحيح (١٧/١٧٩) والعمري (١٥/٢٥٣) .

الماء أو مما رزقكم الله قالوا : إن الله حرمهما على الكافرين ﴿ فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر النار ﴾ (٤٩٠) .

قال بعض [المفسرين] (١) هو معنى قول الله تعالى : ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ [السجدة / ٢٠] .

ولعلك تقول وكيف يرى أهل الجنة أهل النار وأهل النار أهل الجنة ؟ أو كيف يسمع بعضهم كلام بعض ؟ وبينهم ما بينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب فيقال لك : لا تقل هذا فإن الله تعالى يُقَوِّى أَبْصَارَهُمْ وَأَسْمَاعَهُمْ حتى يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا ، وهذا قريب في القدرة جدا ، وإذا تأملته وجدته .

٥٤٩- وذكر الترمذى من حديث ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - قرأ هذه الآية : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران / ١٠٢] قال رسول الله - ﷺ - : « لو أن قطرة من الزقوم مطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم ، فكيف بمن يكون طعامه » (٤٩١) .

٥٥٠- ومن حديثه أيضاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله - ﷺ - : « لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت إلى الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قال قعرها » (٤٩٢) .

٥٥١- ومن حديث قاسم بن أصبغ عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله

(٤٩٠) السيوطى فى « الدر المنثور » (٦٠/٣ - ١٥٨) والبيهقى فى « المعجم » ص ٢٧٧

(٤٩١) صحيح - أخرجه الترمذى (٢٧١١ تحفة) وقال حسن صحيح وأحمد (٣٠٠/١) وابن حبان (٢٦١١ موارد) والعمى (٢٤٦/١٥)

(٤٩٢) ضعيف - وهو فى « جامع الترمذى » وفيه سعيد بن زيد وهو صدوق له أوهام عن أبى السمع وقد عرفت حاله

- **عليه السلام** - قال : « لو أن ذلوا من غسّلين يُهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا » (٤٩٣) .

- وبهذا الإسناد عن رسول الله - **عليه السلام** - قال : « ويل وادٍ في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً ، ثم يهوى كذلك أبداً » .

- قال قاسم بن أصبغ - وبهذا الإسناد عن رسول الله - **عليه السلام** - قال : « لو أن مقمعاً من حديد وضع في الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض » .

٥٥٢- وبهذا الإسناد عن النبي - **عليه السلام** - قال : « قال لو ضرب بمقمع من حديد الجبل لتفتّت غباراً » (٤٩٤) .

٥٥٣- وذكر الترمذى من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله - **عليه السلام** - : « يخرج عُتُق من النار يوم القيامة [له] عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إني وكلت [بثلاثة] بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبالمُصَوِّرِينَ » (٤٩٥) .

٥٥٤- وذكر من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبي - **عليه السلام** - قال : ﴿ وهم فيها كالحون ﴾ [المؤمنون / ١٠٤] قال : « تشويه النار فتقلص شفّته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفّته السفلى حتى تضرب سرّته » (٤٩٦) .
وذكر من حديث أبى أمامة عن النبي - **عليه السلام** - في قوله : ﴿ يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ﴾ [إبراهيم / ١٦ ، ١٧] قال : « يُقَرَّب

(٤٩٣) ضعيف - أخرجه الترمذى (٢٧١٠) تحفة) وفيه دراج عن أبى الهيثم وقبله فيه رشدين بن سعد ورشدين فيه مقال والخير في ضعيف الجامع (٤٨٠٦) .

(٤٩٤) ضعيف . قال الهيثمى رحمه الله في « المجمع » (٣٩١/١٠) رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ضعف قد وثقوا...
ا.هـ.

(٤٩٥) صحيح - وهو في جامع الترمذى (٢٧٠٠) وقال : حسن صحيح غريب وهو في « المشكاة » (٤٥٠٢) وقال في « المجمع » (٣٩٥/١٠) رواه البرار وأحمد واحتصار وأبو يعلى بحوه والطبرانى في الأوسط وأحد إسادى الطبرانى رحاله رجال الصحيح ا.هـ.

(٤٩٦) ضعيف * أخرجه الترمذى (٢٧١٣) تحفة) عن أبى السمع عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النسي - **عليه السلام** - قال : فذكره .

إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله عز وجل : ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴾ [محمد - ﷺ - / ١٥] ويقول : ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ [الكهف / ٢٩] الآية (٤٩٧) .

٥٥٥- وذكر من حديث أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « إن الحميم يُصَبَّ على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يَمْرُقَ من قدميه وهو الصَّهْرُ ثم يُعَادُ كما كان » (٤٩٨) .

٥٥٦- وذكر مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « رأيت عمرو بن لحي بن فمعه بن جندب أخا بني كعب هؤلاء يَجْرُ قَصَبَهُ فِي النَّارِ » وقد تقدم والقصب : الأمعاء (٤٩٩) .

٥٥٧- ومن حديث مسلم عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فيقول : لا والله يارب . ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بؤساً قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فيقول : لا والله يارب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط » (٥٠٠) .

٥٥٨- وذكر البزار في مسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لو أن في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرفهم » (٥٠١) .

(٤٩٧) حسن * هو في « سنن الترمذى » (٢٧٠٩) تحفة) .

(٤٩٨) ضعيف - أخرجه الترمذى (٢٧٠٨) وأورده المذرى (٢٢٨/٤) وعراه للترمذى والمهقى .

(٤٩٩) صحيح - أخرجه مسلم (١٨٨/١٧ - ١٨٩ نووى) .

(٥٠٠) صحيح - وهو في صحيح مسلم والنفوى (٢٤٢/١٥) .

(٥٠١) ضعيف * أورده الإمام الهيثمى في « المجمع » (٣٩٤/١٠) وقال رواه أبو يعلى عن شقيقه إسحق ولم يسهه فإن كان ابن راهوية فرحاله رجال الصحيح وإن كان غيره فلم أعرفه .

- ٥٥٩- ومن حديث مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ - : « ضيرس الكافر مثل أحد وغُلظُ جلده مسيرة ثلاث » (٥٠٢) .
- ٥٦٠- وذكر مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رفعه قال : « ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاث للراكب المسرع » (٥٠٣) .
- ٥٦١- وذكر الترمذی من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ - قال : « إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة » (٥٠٤) .
- ٥٦٢- وروى الترمذی من حديث أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ - : « يلقي على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يُسَمِّن ولا يغني عن جوع ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غُصَّة فيذكرون أنهم كانوا يُجيزون الغصص في الدنيا بالشراب ، فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون : ادعوا خزنة جهنم ، فيقولون : ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ، قالوا : بلى قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال . قال : فيقولون : ادعوا مالكم ، فيقولون : يا مالك ليقض علينا ربك . قال : فيجيئهم : إنكم ما كنون ؟ قال سليمان بن مهران الأعمش [نُبِئتُ] أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال : فيقولون : ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون

(٥٠٢) صحيح : أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٦/١٧) بووي) والبغوي (٢٤٩/١٥) .

(٥٠٣) صحيح متفق عليه . أخرجه البخاري (٤١٥/١١) ومسلم (١٨٦/١٧) والبغوي في « شرح السنة » (٢٥٠/١٥) .

(٥٠٤) - حسن - وهو في جامع الترمذی (٢٧٠٣- تحفة) واستعره وقال المنذرى بعد إirاده قال الترمذی حديث حسن غريب صحيح (١) وأخرجه الحاكم (٥٩٥/٤) وابن حبان في صحيحه (٢٨٤/٩) والديلمي في « الفردوس » (٣٨٨٢) .

قال . فيجيبهم : اخسثوا فيها ولا تُكَلِّمُون . قال : فعند ذلك يشسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل « (٥٠٥) .

٥٦٣- وعن ابن عمر قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن الكافر لیسحب لسانه الفرسخ والفرسخین [يتوطأه] الناس » (٥٠٦) .

٥٦٤- ويروى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يكون فى النار الدموع حتى تنقطع ثم يكون الدماء حتى تصير فى حدودهم كأمثال الجداول ولو أجريت فيها السفن لجرت » ذكره الترمذى وغيره (٥٠٧) .

٥٦٥- وذكر مسلم عن أنس بن مالك عن النبى - ﷺ - قال : « يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً : لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها ؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تُشرك - أحسبه قال ولا أدخلك النار - فأبيت إلا الشرك » (٥٠٨) .

٥٦٦- وذكر البخارى عن أنس عن النبى - ﷺ - قال : « يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة : لو أن لك ما فى الأرض من شىء أكنت تفتدى به ؟ فيقول : نعم . فيقول : أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك بى شيئاً فأبيت إلا أن تشرك » (٥٠٩) .

(٥٠٥) ضعيف « وهو فى « جامع الترمذى » (٢٧١٢ تحفة) مرفوعاً قال الترمذى قال عبد الله بن عبد الرحمن (يعنى شيخه) والباس لا يرفعون هذا الحديث . وإنما روى عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قوله وليس بمرفوع ... ا.هـ وهو فى « ضعف الجامع » (٦٤٦١) .

(٦٠٦) ضعيف « أخرجه الترمذى (٢٧٠٥ تحفة) وقال هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه . ، ، وأبو المحارق ليس بمعروف ا.هـ وأورده المدرى فى الترغيب (٢٣٧/٤) وهو فى « ضعف الجامع » .

(٥٠٧) الإسناد فيه مقال والحديث حسن إن شاء الله أخرجه ابن ماجة بلفظ المصنف بإسناد فيه يزيد الرقاشى وهو ضعيف وأخرجه الحاكم (٦٠٥/٤) والاحدود هو الشق العظيم فى الأرض « مندرى ٢٤٢/٤ »

(٥٠٨) صحيح . متفق عليه أخرجه البخارى (٣٦٧/١١) ومسلم (٢٨٠٥)

(٥٠٩) صحيح متفق عليه أخرجه البخارى فى « الرقاق » ومسلم فى « صفات المنافقين » .

٥٦٧- ويروى من حديث أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « إن جهنم لما سيق إليها أهلها تلقتهم — فنفختهم نفخة لم تترك لحماً على عظم إلا ألقتة على العرقوب » (٥١٠) .

(٥١٠) لم أقف عليه فليحرر والله تعالى أعلم .

(٤١) باب ذكر أهون أهل النار عذاباً

٥٦٨- ذكر مسلم عن العباس أنه قال : « يا رسول الله هل نفعنا أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويفضبك لك قال نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » (٥١١) .

٥٦٩- وذكر مسلم أيضاً من حديث عبد الله بن الحارث قال : سمعت العباس يقول : « قلت يا رسول الله : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويفضبك لك فهل نفعه ذلك ؟ قال : نعم ، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح » (٥١٢) .

٥٧٠- وذكر مسلم عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشيراكا [ن] من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً » (٥١٣) .

٥٧١- وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله - ﷺ - ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبه يغلى منه دماغه » (٥١٤) .

(٥١١) صحيح : أخرجه مسلم (٨٤/٣) النووي) .

(٥١٢) صحيح • وهو عند مسلم (٨٤/٣)

• أما الضحضاح : فهو بضادين معجمتين مفتوحتين والضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين واستعير في النار ، وأما العمرات فبفتح الغين والميم واحدها غمرة بإسكان الميم وهي المعظم من الشيء . اهـ نووى رحمه الله .

(٥١٣) صحيح : وهو في صحيح مسلم (٨٥/٣ - ٨٦ - نووى) .

(٥١٤) صحيح متفق عليه البخارى (٤١٦/١١) ومسلم (٨٥/٣) .

- ٥٧٢- وذكر مسلم أيضاً من حديث ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - قال :
« أهون الناس عذاباً أبو طالب وهو منتعل بعلين يغلى منهما دماغه » (٥١٥) .
- ٥٧٣- وذكر مسلم أيضاً من حديث النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في
أخص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه » (٥١٦) .

(٥١٥) صحيح وهو في صحيح مسلم (٨٥/٣ - نووي) .

(٥١٦) صحيح - أخرجه مسلم (٨٥/٣ - ٨٦ نووي)

(٤٢) باب ذكر : مَنْ أشد الناس عذاباً

٥٧٤- ذكر قاسم بن اصبغ من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ - « إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي أو مُصَوِّر يصور التماثيل » (٥١٧) .

(٤٣) باب أخذ النار من المعذبين على قدر أعمالهم

٥٧٥- ذكر مسلم من حديث سمرة بن جندب أنه سمع النبي - ﷺ - يقول : « إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى حُجْزَتِهِ ومنهم من تأخذه إلى عنقه » (٥١٨) .

٥٧٦- وعنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : « منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حُجْزَتِهِ ومنهم من تأخذه النار إلى تَرْقُوتِهِ » (٥١٩) .

٥٧٧- وذكر البزار من حديث أبي سعيد عن النبي - ﷺ - : « إن أهون أهل النار عذاباً رجل منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من في النار إلى صدره مع أجزاء العذاب ، ومنهم من في النار إلى تَرْقُوتِهِ مع أجزاء العذاب ، ومنهم من قد انغمس فيها » (٥٢٠) .

(٥١٧) صحيح متفق عليه البخاري (٣٧٢/٧) ومسلم (١٧٩٣)

(٥١٨) صحيح . أخرجه أحمد (١٠١/٥) ومسلم (١٨٠/١٧) .

(٥١٩) صحيح . وهو في صحيح مسلم (١٨٠/١٧) (بووي) .

(٥٢٠) صحيح : أخرجه مسلم كما مرّ لك وأخرجه بتمامه الترمذي على ما في « مجمع الروائد » (٢٩٨/١٠) قال : « ورحاله رجال الصحيح » ١ هـ .

(٤٤) باب ذكر الخلود

٥٧٨- ذكر الترمذى من حديث أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول : ألا يتبع كل إنسان ما كانوا يعبدون . فيمثل لصاحب الصليب صليبه ، ولصاحب التصاوير تصاويره ، ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين فيقول : ألا تتبعون الناس ؟ فيقولون : نعوذ بالله منك نعوذ بالله منك ، الله ربنا هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم ثم يتوارى ثم يطلع فيقول : ألا تتبعون الناس ؟ فيقولون : نعوذ بالله منك ، نعوذ بالله منك ، الله ربنا هذا مكاننا حتى نرى ربنا وهو القمر ليلة البدر قالوا : لا يا رسول الله قال فإنكم لا تضارون فى رؤيته تلك الساعة ثم يتوارى ثم يطلع فيعرفهم نفسه ثم يقول : أنا ربكم فاتبعونى فيقوم المسلمون ويوضع الصراط فيمر عليه مثل جياذ الخيل والركاب وقولهم عليه : سلم سلم ، ويبقى أهل النار فيطرح منهم فيها فوج ثم يقال : ﴿ هل امتلأت فتقول : هل من مزيد ﴾ ثم يطرح فوج فيقال : ﴿ هل امتلأت فتقول هل من مزيد ﴾ حتى إذا أوعبوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها وأزوى بعضها إلى بعض ثم قالت قط قط فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال أتى بالموت ملبياً فيوقف على السور الذى بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال : يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال : يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء : قد عرفناه هذا الموت الذى وكل

بنا . فيضجَع فيُذَبَّح ذبْحاً على السور ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت
ويا أهل النار خلود لا موت « (٥٢١) .

٥٧٩- وذكر هناد بن السرى من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله
ﷺ - : « يُؤْتَى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال : يا أهل
الجنة ، فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ثم
يقال : يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم
الذى هم فيه ، فيقال هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ربنا هذا الموت ،
فيؤمر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين كلاهما : خلود فيما تجدون لا
موت فيها أبداً « (٥٢٢) .

٥٨٠- وذكر مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله
ﷺ - : « يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة
والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون
فيقولون : نعم هذا الموت ، قال ثم يقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟
قال فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح
قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار خلود بلا
موت . ثم قرأ رسول الله - ﷺ : ﴿ وأُنذِرهم يوم الحسرة إذ قضى
الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ وأشار بيده إلى الدنيا « (٥٢٣) .

٥٨١- وذكر مسلم من حديث نافع أن عبد الله بن عمر قال : إن رسول الله
ﷺ - قال : « يُدْخِلُ الله أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار ثم يُؤذَّن
مؤذَّن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، كلَّ
خالِدٍ فيما هو فيه « (٥٢٤) .

(٥٢١) صحيح ، وهو أشهر من أن يعرف : البخارى ، مسلم وعمرهم .

(٥٢٢) صحيح : متفق عليه البخارى (٤٢٨/٨) ومسلم (٢٨٤٩) .

(٥٢٣) صحيح « أحرجه مسلم (١٧/١٨٤- نووى) .

(٥٢٤) صحيح « أحرجه مسلم فى صحيحه (١٧/١٨٥ ، ١٨٦) .

٥٨٢- وذكر أيضاً من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت . فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزاد أهل النار حزناً إلى حزنهم » (٥٢٥) .

٥٨٣- وذكر الترمذى من حديث أبى سعيد رفعه قال : « إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار » (٥٢٦) .

٥٨٤- وذكر البزار من حديث أبى سعيد أن رسول الله - ﷺ - قال : « من كتب عليه الخلود لم يخرج منها يعنى من النار » (٥٢٧) .
وأنشدوا :

أما سمعت بأهل النار في النار وعن مقاساتٍ ما يلقون في النار .
أما سمعت بأكباد لهم صُدعتْ خوفاً من النار فانذابت على النار .

(٥٢٥) صحيح : أخرجه مسلم في صحيحه (١٧/١٨٦ نووى) .

(٥٢٦) صحيح بمتابعاته . وهو في « جامع الترمذى » راجع كلام ابن العرى القاضى رحمه الله في عارضة الأحوذى . وكلام المباركفورى في التحفة (٢٧٨/٧ ، ٢٧٩) .

(٥٢٧) خبر أبى سعيد أن رسول الله - ﷺ - قال : من كتب عليه الخلود لم يخرج منها (يعنى النار) (١) جهدت - ما علم رى تقدست أسماؤه - فلم أقع له على عين ولا أثر (١) وفي الجملة فإنه يشهد له ما قبله من الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة في شأن الخلود والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم وهو حل شأنه حسبنا ونعم الوكيل وهو تعالى ذكره من وراء القصد « رَتْنَا لَا تَوَاخِدُنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَهْطَأْنَا ، رَتْنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الدِّينِ مِنْ قَبْلُنَا ، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْمُرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » .

قاله بلسانه ، وقَيَّده بيناته

راجى عفو رتّه الغفور

عبيد الله أبو عبد الرحمن المصرى الأثرى

عامله الله بطلعه الخفى

أما سمعت بأغلال لهم تناط بهم فيسحبون سحباً على النار .
 أما سمعت بضيق في مجاهم وفي القرار ولا قرار في النار .
 أما سمعت بأنفاس لهم حُبست عن التنفس من حرارة النار .
 أما سمعت بأجساد لهم نضجت من العذاب ومن غلى على النار .
 أما سمعت بما يكلفون به من ارتقاء جبال النار في النار .
 حتى إذا ما علوا على شواهدقها صُبوا بعنف إلى أسافل النار .
 أما سمعت بزقوم يسوغه ماء صديد ولا تسويغ في النار .
 يسقون منه كؤوساً مُلئت سُقماً ترمى بامعائهم رمياً على النار .
 يشوى الوجوه وجوهاً ألبست ظلماً ييس الشراب شراب ساكن النار
 ولا ينامون إن طاف المنام بهم ولا منام لأهل النار في النار .
 إن يستقيلوا فلا تقال عثرتهم أو يستغيثوا فلا غياث في النار .
 وإن أرادوا خروجاً رُدَّ خارجهم بمجمع النار مدحوراً إلى النار .
 فهم إلى النار يُدفعون بالنار وهم من النار يهربون للنار .
 ما إن تحفّف عنهم من عذابهم لا يفتّر عنهم سورة النار .
 وهذه صدعت أكباد سامعها من ذى الحجا وهي التخليد في النار .
 ولو يكون إلى وقت عذابهم في النار هون ذاكم لفحة النار .
 فيا إلهي ومن أحكائيه سبقت في الفرقتين من الجنات والنار .
 رحماك يارب في ضعفي وفي ضعتي فما وجودك لي صبر على النار .
 ولا على حر شمس إن برزت لها فكيف أصبر يا مولاي للنار .
 فإن تغمدني عفو وثقتُ به منكم وإلا فإني طعمة النار .

ونحن نستعيد بالله من عذابه الذى لا يقوم له جميع الوجود فكيف الحشرات
 منه والدود ، ومن غَصَّه الذى لا يُستطاع سمعه فكيف نزوله ووقعه ، ونسأله رحمته
 التى نتفلت عنها بأفعالنا ونتباعد عنها بقييح أعمالنا ، بمنه وطوله لا رب غيره ولا
 معبود سواه ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه

وسلم تسليماً وشرف وكرم عدد ما ذكره الذاكرون وقد [ر ما] غفل عنه
الغافلون ، والحمد لله رب العالمين .

كامل نسخاً والحمد لله حق حمده وصلى الله على النبي المصطفى محمد عبده
ورسوله ، وذلك ليلة الخميس الحادى عشر من شهر شوال فى سنة ثمانى وأربعون
وستائة بمدينة تونس قدرها الله على يد العبد الفقير إلى رحمة مولاه القائل بأن لا إله إلا
الله ولا معبود سواه محمد بن موسى بن مسبح المحلاوى بن الخزرجى ثم القرطى
الراغب فى بركة دعاء قارئه أن يغفر الله له ولمؤلفه وقارئه ومسمعه، وصلى الله على
محمد وسلم .

(١) موضوعات الكتاب وأبوابه [حسب تقسيم المصنف]

الفهارس

(٢) فهارس الأحاديث المرفوعة فقط

حسب إيراد المصنف رحمه الله

صفحة	أبواب وفصول الكتاب وموضوعاته	مسلسل
	» بتقسيم المُصنف	
٢٠	المقدمة له	١
٢٢	فصل في الموت وأحواله	٢
٥١	فصل في شدة الموت وهوله	٣
٥٥	فصل في المحتضرين وأحوالهم	٤
	باب ما يستحب من أحوال الميت عند الموت وفي تلقين	٥
	الشهادتين للمسلم وما يستحب للمسلم من حسن الظن بالله	
	تعالى عند الموت	
٨٩	باب في الجنائز وفضل إتيانها	٦
١٢٨	باب ذكر منامات رثيت لبعض الصالحين	٧
١٣٧	ذكر منامات رثيت لرجال تدل على ما هم فيه من سوء الحال	٨
١٣٩	ذكر الأرواح أين يذهب بها وما جاء في عذاب القبر	٩
١٥٤	ذكر يوم القيامة وأسمائه	١٠
١٥٦	ذكر النفخ في الصور ، النفخة الأولى والثانية .	١١
	باب في انبعاث الناس من قبورهم وصفة الأرض التي يحشرون	١٢
١٦٩	عليها وكيف يحشرون .	
١٨٥	باب دنو الشمس من الناس يوم القيامة	١٣
١٨٧	باب طول يوم القيامة	١٤
١٩٣	باب ذكر الحوض .	١٥
	باب ذكر الشفاعة الأولى التي تكون لفصل القضاء بين	١٦
٢٠١	الناس .	
٢٠٥	باب المسائلة والتقرير والمحاسبة والقصاص .	١٧

صفحة-	أبواب وفصول الكتاب وموضوعاته	مسلسل
	» بتقسيم المصنف	
٢١٧	باب ذكر أول ما يحكم فيه يوم القيامة وأول من بدعى للخصومة .	١٨
٢١٩	باب الخصومة بين المسلمين ورد المظالم والانتصاف منها بالحسنات والسيئات .	١٩
٢٢١	باب في الموازين والكتب .	٢٠
٢٢٥	باب ذكر ما يتكلم من الإنس أول وما جاء في شهادة جوارح ابن آدم عليه يوم القيامة .	٢١
٢٢٩	باب ذكر الصراط ودرجات الناس في المرور عليه .	٢٢
٢٣١	باب في السهو والغفلة وطول الأمل .	٢٣
٢٤٩	باب في نعي الميت والإعلام بموته .	٢٤
٢٥٣	باب في الثناء الحسن على الميت والثناء السوء .	٢٥
٢٦١	باب ما يقال عند حضور الميت .	٢٦
٢٧١	باب تلقين الميت والدعاء له	*
٢٧٥	باب ذكر القبور	**
٢٧٧	باب ما جاء أن بعث النار من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون .	٢٧
٢٧٩	باب : ما جاء في أهل الفترة .	٢٨
٢٨١	باب في سعة رحمة الله وأنها تغلب غضبه .	٢٩
٢٨٥	باب كثرة أمة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم .	٣٠
٢٨٧	باب ذكر : كم يدخل الجنة بغير حساب .	٣١
٢٩٣	باب في الشفاعة الثانية في الخروج من النار ، وذكر خروج من يدخلها من الموحدين .	٣٢

صفحة-	أبواب وفصول الكتاب وموضوعاته	مسلسل
	» بتقسيم المصنف	
٣٣	باب ذكر من يخرج من النار برحمة الله تعالى من غير شفاعة أحد .	٣٠٧
٣٤	باب ما أول طعام أهل الجنة .	٣٠٩
٣٥	باب من صفة الجنة وما أعد الله لأهلها .	٣١١
٣٦	باب ما جاء أن أهل الجنة لا ينامون .	٣٢٥
٣٧	باب ما جاء في زيارة أهل الجنة ربههم .	٣٢٥
٣٨	باب	٣٢٧
٣٩	باب ما جاء أن في الجنة سوقاً .	٣٢٧
٤٠	باب من صفة النار وصفة أهلها وما أعد الله لهم فيها .	٣٢٩
٤١	باب ذكر أهون أهل النار عذاباً .	٣٣٨
٤٢	باب ذكر من أشد الناس عذاباً .	٣٤٠
٤٣	باب أخذ النار من المعذنين على قدر أعمالهم .	٣٤٠
٤٤	باب ذكر الخلود .	٣٤١

فهارس أحاديث الكتاب ، حسب ترتيب المصنف

مستسل	طرف الحديث	الصحابى (الراوى) رقم الصفحة	
١	إنما أستراح من غُفَرٍ لَهُ ...	عائشة	٢٤
٢	لا يتمنّ أحدكم الموت ... ، ...	أبو هريرة	٢٩
٣	لا يتمنّ أحدكم الموت .. ، إما محسنًا	أبو هريرة	٢٩
٤	لا تمنّوا الموت فإن هول المطلع شديد	جابر	٢٩
٥	أكثرُوا ذكر هادم اللذات ...	عائشة	٣١
٦	مرّ - ﷺ - بمجلس قد ارتفع فيه الضحك فقال أما أنكم ...	عبد الله بن الزبير	٣١
٧	لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ..	عائشة	٣٢
٨	أتيتُ النبى - ﷺ - عاشر عشرة ...	ابن عمر	٣٢
٩	أنا النذير والموت المغر ...	أبو هريرة	٣٢
١٠	تركت فيكم واعظين ناطقًا وصامتًا ..	زيد بن أرقم	٣٢
١١	عش ما شئت فإنك ميت ..	جابر	٣٢
٢٢	لو أن البهائم تعلم من الموت ...	أم حبيبة الجهنية	٣٧
٣٤	إني لأعلم ما يلقي ، ما فيه عرق ..	سلمان	٥٤
٣٦	اللهم أعنّى على سكرات الموت ...	عائشة	٥٤
٤٤	تحدثوا عن بنى إسرائيل فإنه كانت فيهم العجائب ..	جابر	٥٧
٤٥	إن العبد ليعالج سكرات الموت وكروبه أنس وإن مفاصله ...		٥٧

٤٨	إذا أحب عبدى لقائى أحببت لقاءه	عائشة	٦٠
٥٣	كُفِّنَ في ثلاثة أثواب بيض سحولية	عائشة	٦٤
٨٢	لا يزال قلب الشيخ شاباً في اثنتين	أبو هريرة	٧٦
٨٣	هذا الأجل وخط في وسطه خطأ ..	ابن مسعود	٧٦
٨٤	ألا تستحيون من الله ؟ ..	أم الوليد بنت عمرو	٧٧
٨٥	ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى	أبو سعيد	٧٧
	شهر		
٨٦	المؤمن يموت بعرق الجبين ..	بريدة بن الحصيب	٧٩
٨٧	ارقبوا الميت عند ثلاث ...	سلمان	٧٩
٨٨	من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل	معاذ	٧٩
	الجنة ..		
٨٩	من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله	عثمان	٨٠
٩٠	لقنوا موتاكم لا إله إلا الله	أبو هريرة	٨٠
٩١	حضر ملك الموت رجلاً يموت فنظر	أبو هريرة	٨٠
٩٣	لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول	سعيد بن المسيب	٨٠
	الله - ﷺ - فوجد عنده أبا جهل ابن عن أبيه		
	هشام		
٩٤	أسلم ، الحمد لله الذى أنقذه لى من النار أنس		٨١
٩٨	أنا عند ظن عبدى لى فليظن لى ما شاء وائلة		٨٧
٩٩	كيف تجددك .. ؟	أنس	٨٧
١٠٣	من تبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً	أبو هريرة	٨٩
١٠٥	يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جمعاً ..	أبو هريرة	٩٤
١٠٦	ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك ..	عبد الله بن عمرو	٩٥
١٠٩	كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل	ابن عمر	٩٥
١١٥	يُبعث الميت في ثيابه التى مات فيها ..	أبو سعيد	٩٨
١١٦	يبعث الناس حفاة عراة ..	عائشة	٩٨

١١٧	اغتنم خمساً قبل خمس ...	ابن عباس	١٠٣
١١٨	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ...	ابن عباس	١٠٣
١١٩	ما ينتظر أحدكم من الدنيا ...؟	أبو هريرة	١٠٣
١٢٠	من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل	أبو هريرة	١٠٣
١٢١	أنا النذير والموت المغير والساعة الموعده ..	أبو هريرة	١٠٤
١٢٢	كان رسول الله - ﷺ - إذا خطب جابر	جابر	١٠٤
	رفع صوته وأحمرت عيناه كأنه منذر		
	جيش ..		
١٢٣	إن النور دخل إذا دخل القلب إنفسح ..	ابن مسعود	١٠٤
١٣٥	لم يضع لبنة على لبنة - ﷺ -	أبو عبيدة الناجي	
١٣٨	ما من أحد يموت إلا ندم ..	أبو هريرة	١١٧
١٣٩	زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله	أبو هريرة	١٢٠
	- ﷺ -		
١٤٤	ما من رجل يزور قبر أخيه ...	عائشة	١٢١
١٤٥	إن لله ملائكة سياحين يبلغونني ..	عبد الله	١٢١
١٤٦	ما من أحد يسلم على إلا رد الله على	أبو هريرة	
	روحي		
١٤٨	السلام عليكم أهل الديار ...	عائشة	١٢٢
١٤٩	إنما الصبر عند الصدمة الأولى ...	أنس	١٢٢
١٥٠	يا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم ..	أبو هريرة	١٢٣
١٥١	إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من	أبو هريرة	١٢٤
	ثلاث .		
١٥٧	إن الميت ليتأذى بالجار سوء ..	أبو هريرة	١٢٨
١٥٨	إن الرسالة والنبوة قد إنقطعت ..	أنس	١٢٨
١٥٩	الرؤيا الصالحة بشرى من الله ..	أبو هريرة وغيره	١٢٩
١٦١	يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا	طارق بن عبد الله	
١٦٥	إن المؤمن إذا حضر أتمه الملائكة بحريرة .	أبو هريرة	١٣٩

١٦٧	إنما نسمة المؤمن طائر يُعلق في شجر الجنة كعنب ابن مالك	١٤٠
١٦٨	رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر قصبه أبو هريرة في النار ..	١٤١
١٦٩	بينما النبي - ﷺ - في حائط لبنى أبو سعيد أو زيد النجار .. ، حادت البغلة به فكادت ابن ثابت تلقيه ...	١٤١
١٧٠	يهود تُعذب في قبورها .. أبو أيوب	١٤١
١٧١	إنما تُفتن يهود عائشة	١٤٢
١٧٣	استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت عثمان	١٤٢
١٧٤	نزلت في عذاب القبر يُقال له من ربك ؟ البراء	١٤٢
١٧٥	قد أُوحى إلى أنكم تفتنون في القبور .. أسماء	١٤٣
١٧٨	إذا أقبر الميت أتاه ملكان أسودان أبو هريرة	١٤٤
١٨٠	إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل أبو هريرة صالحاً	١٤٥
١٨١	خرجنا مع رسول الله - ﷺ - في البراء جنازة رجل من الأنصار فجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير	١٤٦
١٨٣	يا أيها الناس إن هذه الأمة تُسأل في قبورها أبو سعيد	١٤٨
١٨٤	يُسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون أبو سعيد تيناً	١٤٩
١٨٥	إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير .. ابن عباس	١٤٩
١٨٦	هذا الذي تحرك له العرش .. ابن عمر	١٥٠
١٨٧	إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد عائشة	١٥٠
١٨٨	إن أحدم إذا مات عُرض عليه مقعده ابن عمر بالغداة والعشي ..	١٥٠
١٨٩	القبر أول منازل الآخرة .. عثمان	١٥١

- ١٩٠ إن القبر روضة من رياض الجنة أو .. أبو سعيد وغيره ١٥١
- ١٩١ إنهم ليعذبون عذاباً تسمعه البهائم .. ١٥٣
- ١٩٣ لما نزل ﴿ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ وثب قائماً ابن عباس ١٥٧
- ﷺ - فلما نزل ﴿ فلا
تستعجلوه ﴾ جلس ...
- ١٩٤ بعثت أنا والساعة كهاتين ... أنس وغيره ١٥٨
- ١٩٦ لو عاش هذا قامت عليه قيامتكم .. ١٥٨
- ١٩٧ لما كانت ليلة أسرى برسول الله - ﷺ - ابن مسعود ١٥٩
لَقِيَ إبراهيم ...
- ١٩٨ خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ... أبو هريرة ١٦٠
- ١٩٩ كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم أبو هريرة ١٦٠
القرن ...
- ٢٠٠ كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم أبو سعيد ١٦٠
القرن
- ٢٠١ مازال صاحب الصور مذوكل به أبو هريرة ١٦١
مستعداً ينظر ...
- ٢٠٢ ذكر رسول الله - ﷺ - صاحب الصور فقال : عن يمينه جبريل أبو سعيد ١٦١
- ٢٠٣ قرن يُنفخ فيه ... عبد الله بن عمرو ١٦١
- ٢٠٤ الصور كهيفة القرن ... عبد الله بن مسعود ١٦١
- ٢٠٥ لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان أبو هريرة ١٦١
- ٢٠٦ تتركون المدينة على خير ما كانت ... أبو هريرة ١٦٢
- ٢٠٨ يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين عبد الله بن عمرو ١٦٣
- ٢٠٩ وعزني وجلالي ليرجعن كل روح إلى لقيط بن عامر ١٦٤
جسده ...

٢١٠	ما بين النفختين أربعون ...	أبو هريرة	١٦٤
٢١١	يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا	أبو سعيد	١٦٤
	عجب الذنب ...		
٢١٢	ثم تليثون ما لبثتم ثم تُبعث الصيحة	لقيط بن عامر	١٦٥
٢١٣	قال الله تبارك وتعالى : كذبنى ابن آدم	أبو هريرة	١٦٦
	ولم يكن له ...		
٢١٤	يعوذ عائز بالبيت ...	أم سلمة	١٦٩
٢١٥	إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب	عبد الله بن عمرو	١٦٩
	منى ...		
٢١٦	يبعث كل عبد على ما مات عليه	جابر	١٦٩
٢١٧	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ..	أنس	١٧٠
٢١٨	أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة	أبو هريرة	١٧٠
٢١٩	فأكون أول من يفيق ...	أبو سعيد	١٧٠
٢٢١	الشام أرض المحشر والمنشر ...	أبو ذر	١٧٢
٢٢٢	أيها الناس إنكم محشورون إلى الله ...	ابن عباس	١٧٥
٢٢٣	إذا كان يوم القيامة مُدَّت الأرض مد	ابن عباس	١٧٥
	الأديم ...		
٢٢٤	إنكم محشورون إلى الله عز وجل رجالاً	بهر بن حكيم عن	١٧٦
	وركبائاً ...	أبيه عن جده	
٢٢٥	يُحشر الناس يوم القيامة على أرض	سهل ابن سعد	١٧٧
	بيضاء عفراء ..		
٢٢٦	يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد	أنس وغيره	١٧٧
	واحد ..		
٢٢٧	﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض	ثوبان	١٧٧
	والسموات ﴾ .. الحديث		
٢٢٩	يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً	عائشة	١٧٨
٢٣٠	تُحشرون حفاة عراة غرلاً ...	ابن عباس	١٧٩

٢٣١	يحشر الناس يوم القيامة على وجوههم .. أبو هريرة	١٨٠
٢٣٧	تُدنى الشمس يوم القيامة على قدر ميل .. أبو أمامة	١٨٥
٢٣٨	يقوم أحدهم في رشحه .. ابن عمر	١٨٦
٢٣٩	إن العرق ليذهب يوم القيامة في الأرض أبو هريرة	١٨٦
	سبعين ...	
٢٤٠	إن العرق ليلزم المرء في الموقف حتى جابر	١٨٦
	يقول يارب ...	
٢٤١	ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي	١٨٨
	منها حقها إلا ... أبو هريرة	
٢٤٤	إني لبعقر حوضي أذود الناس عنه ... ثوبان	١٩٣
٢٤٦	والذى نفسى بيده لآيته أكثر من عدد أبو ذر	١٩٤
	نجوم السماء ...	
٢٤٧	ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد أنس	١٩٤
	نجوم السماء ...	
٢٤٩	حوضي من عدن إلى عمان البلقاء .. ثوبان	١٩٤
٢٥٠	حوضي من كذا إلى كذا فيه من الآنية	١٩٥
	عدد النجوم ... أنس	
٢٥٢	إني على الحوض أنتظر من يرد على منكم عائشة	١٩٥
٢٥٤	حوضي مسرة شهر وزواياه سواء .. عبد الله بن عمرو	١٩٥
٢٥٥	إني على الحوض أنظر من يرِدُ عَلَيَّ منكم أسماء	١٩٦
٢٥٦	إني لكم فرط ... أم سلمة	١٩٦
٢٥٧	يا أيها الناس بينا أنا على الحوض	١٩٦
٢٥٨	السلام عليكم دار قوم مؤمنين .. أبو هريرة	١٩٦
٢٥٩	إني فرط لكم على الحوض من مرّ شرب سهل بن سعد	١٩٧
٢٦١	بيننا أنا نائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم أبو هريرة	١٩٧
٢٦٣	إني ممسك بحجزكم عن النار ... عمر	١٩٨
٢٦٤	أنا فرط بين أيديكم ... جابر	١٩٨

- ٢٦٦ لَتَزْدَجِمَنَّ هذه الأمة على الحوض إزدحام العرياض بن ١٩٩
الإبل .. سارية
- ٢٦٧ بينا رسول الله - ﷺ - ذات يوم بين أنس ١٩٩
أظهرنا إذ غفا إغفاءة ..
- ٢٧٠ إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون .. سمرة بن جندب ٢٠٠
- ٢٧٢ إن لي حوضاً ما بين بيت المقدس إلى ابن عمر ٢٠٠
الكعبة ...
- ٢٧٣ إن الناس يصمرون يوم القيامة جثاً كل ابن عمر ٢٠١
أمة تتبع نبها ...
- ٢٧٤ أنا سيد الناس يوم القيامة ... أبو هريرة ٢٠١
- ٢٧٥ لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى أبو بردة الأسلمي ٢٠٥
يُسأل عن أربع ...
- ٢٧٦ يدنو أحدكم من ربه حتى يضع عليه كنفه ابن عمر ٢٠٥
- ٢٧٧ من حوسب يوم القيامة عُذْب ... عائشة ٢٠٦
- ٢٧٨ يُخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين أنس ٢٠٦
- ٢٧٩ يؤتى بالملك والمملوك والزوجة ابن عمر ٢٠٦
- ٢٨٠ لَتُسْأَلَنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة أبو بكر وعمر ٢٠٧
- ٢٨٢ قال : نعم ، قال : إن الأمر إذاً الزبير بن العوام ٢٠٧
لشديد ... (١)
- ٢٨٣ إذا أسلم العبد فحسن إسلامه ... أبو سعيد ٢٠٧
- ٢٨٤ أتدرون من المفلس ؟ أبو هريرة ٢٠٨
- ٢٨٥ يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على أبو سعيد ٢٠٨
قنطرة ...
- ٢٨٦ لَتَوَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة أبو هريرة ٢٠٨
- ٢٨٧ وهل تدري فيمَ يَتَّطِحَان ... ؟ أبو ذر ٢٠٩
- ٢٨٨ من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتبوء له أبو هريرة ٢٠٩
منها

٢٨٩	الظُّلُمُ ثلاث ... ، ، أنس	٢٠٩
٢٩٠	إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً .. أبو ذر	٢٠٩
٢٩١	يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه يذج أنس	٢١٠
٢٩٥	يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك أبو سعيد	٢١٢
	وسعديك ...	
٢٩٧	إذا جمع الله عباده يوم القيامة كان أول حيان بن أبي حبله	٢١٣
	من يدعى إسرافيل	
٢٩٨	أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة ابن مسعود	٢١٧
	الدماء	
٣٠٢	يحشر الله العباد - أو قال الناس - وأوماً عبد الله بن أنيس	٢١٩
	بيده	
٣٠٣	أنا فاعل ... ، (١) ، أنس	٢٢١
٣٠٤	إن الله تعالى سيخلص رجلاً من أمتي .. عبد الله بن عمرو	٢٢١
٣٠٦	يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات. أبو موسى	٢٢٢
٣٠٧	الْكُتُبُ كُلُّهَا تحت العرش ... أنس	٢٢٣
٣٠٨	يُدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه .. أبو هريرة	٢٢٣
٣٠٩	تحيون يوم القيامة وعلى أفواهكم الكلام معاوية بن حيدة	٢٢٥
٣١٠	هل تضارون في رؤية الشمس في الظهر أبو هريرة	٢٢٥
٣١١	هل تدرون مِمَّ أضحك ؟ أنس	٢٢٦
٣١٢	إني لأعلم آخر رجل من أمتي يجوز أبو أمامة	٢٢٦
	الصراط ...	
٣١٣	أما عند ثلاث فلا ، أما عند الميزان .. عائشة	٢٢٩
٣١٤	يَجْمَعُ الله تبارك وتعالى الناس فيقوم . أبو هريرة وحذيفة	٢٢٩
	المؤمنون ...	
٣١٥	فيمرّ المؤمنون كطرف العين . وكالبرق . أبو سعيد	٢٣٠
	وكالطير	
٣١٦	يضرب الصراط بين ظهري جهنم ... أبو هريرة	٢٣٠

٢٣١	المغيرة بن شعبة	شعار المؤمنين على الصراط سَلَّم سَلَّم	٣١٧
٢٣٢	عثمان ابن عفان	القبر أول منازل الآخرة ...	٣١٨
٢٣٤	ابن عباس	ما تدري لَعَلِّي لا أبلغه ... (١٩)	٣٢٢
٢٣٤	معاوية بن حيدة	نجا أول هذه الأمة باليقين والزُّهد ..	٣٢٣
٢٣٦	أسامة بن زيد	إن لله ما أخذ والله ما أعطى ...	٣٢٥
٢٣٧	أنس	ولد لي الليلة غلام فسميته إبراهيم ..	٣٢٦
٢٣٧	عبد الله بن عمر	اشتكى سعد بن عبادة - ، فأتى رسول الله ﷺ - يعبده	٣٢٧
٢٣٧	أبو هريرة	دعهن يا عمر فإن النفس مصابة ..	٣٢٨
٢٣٧	جابر	قتل ألى يوم أحد فجعلت أكشف الثوب جابر	٣٢٩
		عن وجهه	
٢٣٨	عائشة	لما مات عثمان بن مظعون كشف النبي	٣٣٠
		- ﷺ - الثوب عن وجهه وقبل بين	
		عينه وبكى بكاء طويلاً ...	
٢٣٩	ابن عمر	إن الميت يُعذب في قبره ببكاء أهله	٣٣٢
٢٣٩	المغيرة ابن شعبة	من نيح عليه فإنه يُعذب بما نيح عليه	٣٣٤
		يوم القيامة	
٢٤٠	التعمان بن بشير	أغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت	٣٣٦
		عمره أخته تبكى	
٢٤١	أبو موسى	ليس منامن سلق ولا خرق ولا حلق	٣٣٧
٢٤١	أبو هريرة	ثلاث هي الكفر بالله النياحة وشق	٣٤٠
		الجيب و... ،	
٢٤٢	أبو مالك الأشعري	أربع في أمتي من أمر الجاهلية	٣٤١
٢٤٤	عائشة	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن	٣٤٥
		كره لقاء الله كره الله لقاءه	
٢٤٧	أنس	لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به	٣٤٧
٢٤٧	جابر بن عتيك	غلبنا عليك يا أبا الربيع ...	٣٤٨

٢٤٧	دعهن ييكن فإذا وجب فلا تكن باكية	٣٤٩
٢٤٨	اتقى الله وأصبرى	٣٥١
٢٤٩	لكن حمزة لا بواكى له ... عبد الله بن عمر	٣٥٢
٢٤٩	نعي النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه أبو هريرة	٣٥٣
٢٤٩	نعي النبي - ﷺ - زيداً بن حارثة أنس وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة .	٣٥٤
٢٥٣	وجبت ، ثم مروا بأخرى فأثوا عليها أنس شراً فقال وجبت	٣٥٥
٢٥٣	من شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة عمر	٣٥٧
٢٥٤	إن الله عز وجل إذا أحب عبداً دعا أبو هريرة جبريل ...	٣٥٨
٢٦٤	من صلى على جنازة فله قيراط فإن شهد ثوبان دفنها ..	٣٥٩
٢٦٦	إذا وضعت الجنازة فأحتملها الرجال على أبو سعيد أعناقهم ...	٣٦١
٢٦٩	إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء أبو هريرة	٣٦٢
٢٦٩	من صلى على جنازة ولم يتبعها فله قيراط . ثوبان	٣٦٣
٢٦٩	نهى - ﷺ - عن النعي حذيفة	٣٦٤
٢٧١	إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب أبو أمامة فليقم أحدكم على رأس قبره ولبقل ...	٣٦٥
٢٧١	سلوا لأخيكم التثبيت فإنه الآن يسأل . عثمان	٣٦٦
٢٧٢	لا تسبوا الأموات ... عائشة	٣٦٩
٢٧٣	لا تذكروا هلكاكم إلا بخير ... عائشة	٣٧٠
٢٧٣	اذكروا محاسن موتاكم ... عائشة وغيرها	٣٧١

٢٧٧	يقول عز وجل : يا آدم أخرج بعث النار أبو سعيد	٣٧٢
٢٧٩	يعرض على الله تبارك وتعالى الأصم ... الأسود بن سريع	٣٧٣
٢٨١	جعل الله الرحمة مائة جزء ... أبو هريرة	٣٧٤
٢٨١	لما خلق الله الخلق كتب في كتابه ... أبو هريرة	٣٧٥
٢٨٢	ما خلق الله تبارك وتعالى من شيء إلا أبو سعيد	٣٧٦
	وقد خلق ما يغلبه	
٢٨٢	كان - ﷺ - في بعض مغازيه فبينما عمر	٣٧٧
	هم يسرون إذ أخذوا فرخ طير	
٢٨٢	يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله	٣٧٨
	عز وجل أنس	
٢٨٢	إن رجلين ممن دخل النار إشتد	٣٧٩
	صياحهما أبو هريرة	
٢٨٣	والذى نفسى بيده لو لم تذبوا لذهب الله أبو أيوب	٣٨٠
	بكم ...	
٢٨٥	أنا أول الناس يشفع في الجنة أنس	٣٨١
٢٨٥	يأتى معى من أمتى يوم القيامة مثل الليل أبو هريرة	٣٨٢
	والسيل	
٢٨٥	ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة عبد الله	٣٨٣
٢٨٦	أهل الجنة عشرون ومائة صف عبد الله	٣٨٤
٢٨٧	عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ وَمَعَهُ	٣٨٥
	الرهيطة ابن عباس	
٢٨٩	يدخل الجنة من أمتى زمرة هم سبعون	٣٨٧
	ألفاً أبو هريرة	
٢٨٩	متناسكون آخذ بعضهم بعضاً سهل بن سعد	٣٨٨
٢٨٩	كنا مع رسول الله - ﷺ - حتى إذا رفاعه بن عرابة	٣٩٠
	كنا بالقديد	
٢٩٠	وعدنى رى أن يدخل الجنة من أمتى أبو أمامة	٣٩١
	سبعين ألفاً	

- ٣٩٢ غاب عنا رسول الله - ﷺ - يوماً فلم حذيفة
يخرج
- ٣٩٣ يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً مع أنس
كل واحد ...
- ٣٩٥ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي .. أنس
- ٣٩٧ نعم الرجل أنا لشرار أمتي .. أبو أمامة
- ٣٩٨ هل تدرون أين كنت وفيم كنت ؟.. أبو موسى
- ٣٩٩ إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين أيّ بن كعب
وخطيبهم
- ٤٠٠ هل سمعت بمقام محمد - ﷺ - الذي جابر
يبعثه الله فيه ؟
- ٤٠١ إن قوماً يخرجون من النار بشفاعة محمد جابر
- ﷺ -
- ٤٠٢ ليصيبن أقواماً سفح من النار بذنوب أنس
أصابوها
- ٤٠٣ ليخرجن أقوام من النار منتنين قد محشتم حذيفة
- ٤٠٤ أما أهل النار الذين هم أهلها ... أبو سعيد
- ٤٠٥ يدخل الله أهل الجنة الجنة - يدخل من أبو سعيد
يشاء برحمته
- ٤٠٦ يُعذب ناس من أهل التوحيد في النار .. جابر
- ٤٠٧ يكون في النار قوم ما شاء الله ثم يرحمهم ابن مسعود
- ٤٠٨ إن من المؤمنين من يدخل بشفاعته الجنة أبو أمامة
أكثر ...
- ٤٠٩ يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر
من بني تميم ... ابن أبي الجداء
- ٤١٠ إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة .. أنس
- ٤١١ إن من أمتي لمن يشفع في الفئام من الناس أبو سعيد

٢٩٨	٤١٢	إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة صفوفاً
٢٩٨	٤١٣	يقول الله عز وجل أنا أرحم الراحمين ... أنس الصديق الأكبر
٢٩٨	٤١٤	يُحمل الناس يوم القيامة على الصراط أبو بكرة
		فتقادع بهم ...
٢٩٩	٤١٥	هل تضارون في رؤية الشمس بالظهرة أبو سعيد
٣٠١	٤١٦	الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف
		أبو سعيد
٣٠١	٤١٧	هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ أبو هريرة
٣٠٣	٤١٨	آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ابن مسعود
		ويكبو مرة ...
٣٠٤	٤١٩	ويذكره الله سل كذا وكذا ... أبو سعيد
٣٠٤	٤٢٠	حديث الشفاعة الطويل ... أنس (معبد بن
		إلى أنس ... الحديث هلال)
	٤٢٢	ليأتين على جهنم يوم كأنها زرع هاج أبو أمامة
		وأحمر ...
٣٠٨	٤٢٣	لا يدخل الجنة أحد إلا بجوار بسم الله
		الرحمن الرحيم ... سلمان
٣٠٩	٤٢٤	إني سألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا أنس
		نبي ...
٣١٢	٤٢٧	مم خلق الخلق ؟ قال من الماء ... أبو هريرة
٣١٢	٤٢٧	بيضاء مسك خالص ... أبو سعيد
٣١٣	٤٢٩	أدخلت الجنة فإذا فيها جنايد اللؤلؤ .. أنس
٣١٣	٤٣٠	قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت
٣١٤	٤٣١	إن في الجنة لشجرة يسر الراكب في ظلها مئة عام ... سهل بن سعد

٣١٣	أبو سعيد	٤٣٢	إن في الجنة شجرة يسير الراكب بالجواد المضمر
٣١٣	أبو هريرة	٤٣٣	لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها
٣١٣		٤٣٤	إن في الجنة شجرة ﴿ وظل ممدود ﴾
٣١٤	أبو هريرة	٤٣٥	ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب
٣١٤	سمرة	٤٣٦	إن في الجنة شجرة مستهلة على ساق واحدة ...
٣١٤	سليم بن عامر	٤٣٧	أو ليس يقول : ﴿ سدر مخضود ﴾
٣١٤	أنس بن مالك	٤٣٨	وذكر سدره المنتهى وإذا ثمرها كالقلال
٣١٥	أبو سعيد	٤٣٩	إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة ...
٣١٥	أبو سعيد	٤٤٠	إن أهل الجنة ليتراءون من فوقهم ..
٣١٥	أبو هريرة	٤٤١	إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ...
٣١٥	أبو سعيد	٤٤٢	إن أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء ...
٣١٦	أبو هريرة	٤٤٣	إن أول زمرة يدخلون الجنة ... لا يبولون ولا يتغوطون
٣١٦	أبو هريرة	٤٤٥	إن أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر
٣١٦	جابر	٤٤٦	يأكل أهل الجنة فيها ويشربون أ ولا يتغوطون
٣١٧	أنس	٤٤٨	ذلك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة ..
٣١٧	عبد الله بن مسعود	٤٤٩	إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتيه ..

٤٥٠	يُبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد	أنس	٣١٧
٤٥١	من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يُردُّون ...	أبو سعيد	٣١٨
٤٥٢	من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ؛ لا تبلى ثيابه	أبو هريرة	٣١٨
٤٥٤	إن للمؤمن في الجنة لحيمة من لؤلؤة ..	عبد الله بن قيس	٣١٨
٤٥٥	في الجنة خيمة من لؤلؤة ...	عبد الله بن قيس	٣١٨
٤٥٦	إن أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم ،	أبو سعيد	٣١٩
٤٥٧	إن في الجنة لغرفاً يُرى ظهورها من بطونها ...	علي ابن طالب	٣١٩
٤٥٨	إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه ...	ابن عمر	٣١٩
٤٥٩	لغدوة في سبيل الله أو رَوْحَةً خير من الدنيا	أنس	٣١٩
٤٦٠	لو أن ما يقل ظفر من الجنة بدا لُزخرفت له ...	سعد بن أبي وقاص	٣٢٠
٤٦١	إن عليهم التيجان ...	أبو سعيد	٣٢٠
٤٦٢	إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها	عبد الله بن مسعود	٣٢٠
٤٦٣	إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً منها	عبد الله بن مسعود	٣٢١
٤٦٥	سأل موسى عليه السلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة	المغيرة بن شعبة	٣٢١
٤٦٦	يعطى المؤمن قوة كذا وكذا من الجماع.	أنس	٣٢٢
٤٦٧	قيل يا رسول الله أنفضي إلى نساءنا في الجنة ؟..	أبو هريرة	٣٢٢

٤٦٨	أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكارا	أبو سعيد	٣٢٢
٤٦٩	إن الله أدخلك الجنة فلا تشأ أن تُحمل	بريدة	٣٢٢
٤٧٠	إن في الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين كما ...	عبادة بن الصامت	٣٢٢
٤٧١	في الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين مائة ...	أبو هريرة	٣٢٣
٤٧٢	إن في الجنة مئة درجة لو أن العالمين اجتمعوا ...	أبو سعيد	٣٢٣
٤٧٣	من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ...	أبو هريرة	٣٢٣
٤٧٤	جنتان من فضة آيتهما وما فيهما ..	عبد الله بن قيس	٣٢٣
٤٧٥	إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر ..	معاوية ابن حيدة	٣٢٣
٤٧٦	أنهار الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال مسك	أبو هريرة	٣٢٤
٤٧٧	إن في الجنة لمجتمعًا للحوار العين	علي ابن أبي طالب	٣٢٤
٤٧٨	للجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريان	سهل ابن سعد	٣٢٤
٤٧٩	المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله	أبو سعيد	٣٢٤
٤٨٠	النوم أخو الموت ...	جابر	٣٢٥
٤٨١	إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل.	أبو هريرة	٣٢٥
٤٨٢	إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد إن لكم عند الله موعدا	صهيب	٣٢٧
٤٨٣	إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة ..	أنس	٣٢٧
٤٨٤	لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل ..	أبو هريرة	٣٣٠
٤٨٥	يؤتى بجهنم يومئذ ولها سبعون ألف زمام	ابن مسعود	٣٣٠
٤٨٦	ناركم هذه التي يوقد بها ابن آدم جزء من سبعين ...	أبو هريرة	٣٣١

٤٨٧	ناركم هذه جزء ...، ولولا أنها ضربت بالماء ...	أبو هريرة	٣٣١
٤٨٨	أوقد على النار ألف سنة حتى أحمرت ..	أبو هريرة	٣٣١
٤٨٩	تدرون ما هذا ؟..	أبو هريرة	٣٣١
٤٩١	لو أن قطرة من الزقوم مُطرت في الدنيا لأفسدت ..	ابن عباس	٣٣٢
٤٩٢	لو أن رصاصة مثل هذه - وأشار إلى الجمجمة - أرسلت	عبد الله بن عمرو	٣٣٢
٤٩٣	لو أن ذلّوا من غسيلين يهراق في الدنيا لأنتن	أبو سعيد	٣٣٣
٤٩٤	لو ضرب بمقمع من حديد الجبل لتفتت..	أبو سعيد	٣٣٣
٤٩٥	تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان.	أبو هريرة	٣٣٣
٤٩٦	تشويه النار فتقلص شفته العليا ..	أبو سعيد	٣٣٣
٤٩٧	يُقرّب إلى فيه فيكرهه ..	أبو أمامة	٣٣٣
٤٩٨	إن الحميم ليصب على رؤسهم ..	أبو هريرة	٣٣٤
٥٠٠	يؤتى بأنعم أهل النار من أهل الدنيا ..	أنس	٣٣٤
٥٠١	لو أن في المسجد مئة ألف ..	أبو هريرة	٣٢٤
٥٠٢	ضرس الكافر مثل أخذ ..	أبو هريرة	٣٢٥
٥٠٣	ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاث	أبو هريرة	٣٢٥
٥٠٤	إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون	أبو هريرة	٣٢٥
٥٠٥	يُلْقَى على أهل النار الجوع ..	أبو الدرداء	٣٢٥
٥٠٦	إن الكافر ليسحب لِسَانَهُ الفرسخ والفرسخين	ابن عمر	٣٢٦
٥٠٧	أيّها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا	أنس	٣٣٦
٥٠٨	يقول الله لأهون أهل النار عذابًا ..	أنس	٣٣٦

٣٣٩	يا رسول الله هل نفعت أبا طالب	٥١١
	بشيء ..	
٣٣٩	العباس وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى	٥١٢
	ضحضاح	
٣٣٩	إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان . النعمان بن بشير	٥١٣
٣٣٩	لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة .. أبو سعيد	٥١٤
٣٤٠	أهون أهل النار عذابًا أبو طالب .. ابن عباس	٥١٥
٣٤٠	إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة النعمان بن بشير	٥١٦
	لرجل ...	
٣٤١	إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتل عبد الله بن مسعود	٥١٧
	نبيًا ..	
٣٤١	إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه .. سمرة	٥١٨
٣٤١	إن أهون أهل النار عذابًا رجل منتعل بنعلين .. أبو سعيد	٥٢٠
٣٤٤	يُؤْتَى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط .. أبو هريرة	٥٢٢
٣٤٤	يُجَاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح أبو سعيد	٥٢٣
٣٤٤	يدخل الله أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار .. ابن عمر	٥٢٤
٣٤٥	إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار	٥٢٥
٣٤٥	إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح أبو سعيد	٥٢٦

إِذَا الصَّابِرُ لِلشَّرِّ ابْتِغَا بَطْنًا

شارع المديرة - أمام محطة بنزين النماور

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

ت ٣٣١٥٨٧٠ ص ب ٤٧٧